تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر

إعداد

دكتور

أحمد عبد العزيز على عيسى

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب - جامعة دمنهور

دكتورة

فايزة محمد ملوك

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد

كلية الآداب - جامعة دمنهور

الفهرس

المقدمة

تعتبر دراسة تاريخ الشرق الأقصى من الدراسات المهمة،وذلك لاسهامه فى تشكيل خريطة العالم بدوله المهمة مثل الصين واليابان ،وتنقسم هذه الدراسة بالاضافة إلى المقدمة إلى ستة فصول ،يتحدث الفصل الأول عن الصين من مطلع العصور الحديثة حتى قيام الحرب العالمية الأولى ،سابقا الحديث بذلك عن بعض الملامح الجغرافية والسكانية والحضارية ، ثم الأطماع الأوربية فى الصين ممثلة فى الكشوف الجغرافية،والتى شملت أدوار البرتغال وأسبانيا وهولندا، وغيرهم بالاضافة إلى المصالح الأوربية فى القرن التاسع عشر من خلال التعرض للنفوذ التجارى البريطانى فى الصين ومحاولة بعض الدول الأوربية الأخرى منافسة انجلترا مما دفع الأخيرة إلى تدعيم نفوذها بتوقيع معاهدات غير متكافئة مع الصين، مما كان دافعاً للدول الأخرى أن تطمع فى الحصول على نفس الامتيازات لتفتح الصين أمام هذه الدول.

أما عن الفصل الثانى فيتناول الصين ما بين الحربين العالميتين وتطور علاقاتها الدولية من خلال دخولها الحرب العالمية الأولى ، ثم التعرض بعد ذلك للاضطرابات الاقتصادية التى واجهتها الصين خاصة بعد وفاة يوان تشى۔ كاى وظهور نفوذ القادة العسكريين والثورة الشيوعية، ثم تطرق الحديث بعد ذلك عن العلاقات الصينية السوفيتية من خلال مرحلة التحالف بين الدولتين، ثم الصراع بينهما والأسباب التى أدت إلى ذلك ، ثم ينتقل الحديث بعد ذلك عن العلاقات الصينية الأمريكية من خلال التعرض للمسألة الكورية ،ومبدأ نيكسون، ثم مشكلة تايوان.

ويتناول الفصل الثالث اليابان من مطلع العصور الحديثة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سابقا الحديث عن ذلك بدراسة الملامح الجغرافية والسكانية والحضارية، ثم الأطماع الأوربية من خلال بعثة بيرى ١٨٥٣، ومعاهدة كاناجاوا ١٨٥٤، وسقوط الشوجنية ، ثم الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى عصر۔ أسرة ميجى لتأثرهم بالنظم الأوربية، كما يتناول هذا الفصل التوسع اليابانى فى الصين من خلال الحرب الصينية اليابانية(١٨٩٤-١٨٩٥) والحرب اليابانية الروسية ١٩٠٥.

والفصل الرابع يتعرض لسياسة اليابان الخارجية (١٩٤٥-١٩٧٠) والتى شملت الولايات المتحدة الأمريكية، وكوريا، والاتحاد السوفيتى، وأثرذلك على اليابان دولياً. أما الفصل الخامس فقد تعرض للصين واليابان (١٩٣١-١٩٧٨) من خلال حدثين مهمين الأول الحرب اليابانية الصينية الثانية(١٩٣١-١٩٤٥) والثانى معاهدة السلام والصداقة بين البلدين ١٩٧٨.

أما الفصل السادس والأخير فيتعرض للفلبين من مطلع العصور الحديثة حتى القرن العشرين ، سابقا الحديث عن الملامح الجغرافية والسكانية ، ثم الاستعمار الأسبانى لها، ونتائجه، لتنضم إنجلترا إلى أسبانيا فى تحقيق أطماعها فى الفلبين، ثم يتطرق الحديث للعلاقات بين الولايات المتحدة والفلبين فى تلك الفترة ، وتأتى نهاية هذا الفصل عن المشكلات المعاصرة فى الفلبين.

وفى النهاية نرجو من الله عز وجل أن ترسم هذه الدراسة صورة أوضح عن تاريخ الشرق الأقصى من خلال دوله التى لعبت دوراً مهماً ليس فى تاريخ الشرق الأقصى فحسب ،بل فى تاريخ العالم،

والله الموفق

الفصل الأول

الصين من مطلع العصور الحديثة حتى قيام الحرب العالمية الأولى

أولاً – الملامح الجغرافية والسكانية والحضارية

ثانياً – الأطماع الأوروبية فى الصين

١- الكشوف الجغرافية

٢- المصالح الأوروبية

الفصل الأول

الصين من مطلع العصور الحديثة حتى قيام الحرب العالمية الأولى

أولاً – الملامح الجغرافية والسكانية والحضارية

تقع الصين فى أقصى شرق أسيا بين خط عرض ٥٢٠ و ٥٤٠ درجة شمالاً، وتبلغ مساحتها ٩,٦ مليون كيلو متر مربع، وتعتبر ثانى أكبر دولة فى العالم من حيث المساحة (بعد كندا)، وعدد سكانها طبقاً لإحصاء عام ١٩٩٢ – نحو ١,٢ مليار نسمة يمثلون أكثر من ٢١,٥% من سكان الأرض، فهى أول دول العالم سكاناً.

والصين ذات المساحة الضخمة تتمتع بطبوغرافية متنوعة تجمع بين الجبال والسهول وتتخللها صحارى شاسعة ومناطق خصبة وأنهار كبرى من أهمها النهر الأصفر ((هوانج هو)) Hwang – Ho واليانجتسى Yangtze وهو أكثر صلاحية للملاحة من النهر الأصفر – وكان لهذه الأنهار دوراً هاماً فى ظهور حضارة مبكرة فى بلاد الصين. والصين يحدها من الشرق والجنوب الشرقى المحيط الهادى (الباسفيكى). ومن الجنوب الشرقى شبه جزيرة الهند الصينية وشبه القارة الهندية الباكستانية، ومن الغرب ومن الشمال تركستان الغربية (الروسية السابقة أو دول آسيا الإسلامية الحالية) وسيبيريا الروسية .[i]

ويتألف سكان الصين من عدة فروع من الجنس شبه المغولى تتخاطب بلغات ولهجات متعددة. وقد اعترفت جمهورية الصين التى قامت رسمياً فى عام ١٩١٢ بخمس مجموعات عنصرية كبرى، منها العنصر الأصفر، والعنصر المغولى، والعنصر التركى، والعنصر التبتى، وقد تم التزاوج بين هذه العناصر مكونة الشعب الصيني، وإن اختلف سكان الصين بين شمالها وجنوبها فى طباعهم ومميزاتهم العنصرية. ويجمع الباحثون على أن الإنسان قد استوطن الصين منذ العصر الجليدى الأول حيث أثبت ذلك اكتشاف بقايا هياكل عظيمة عام ١٩٢٨ لإنسان أطلق عليه اسم ((إنسان بيكين)). وقد خطى أسلاف الصينين خطوات مطردة نحو المدنية، ورغم بعدهم عن المدنيات القديمة الأخرى فى وادى النيل ووادى دجلة والفرات ، وأراضى الهند، فقد جمعوا المعلومات لطريقة استنباط الأقوات من الأشجار، كما زرعوا الحبوب، واستأنسوا بعض الحيوانات وبدأوا يستخدمون الخوف، واتخذوا الأصداف وسيلة بدائية لاستخدام النقود، ثم اخترعوا الأوانى والأدوات التى يستخدمونها فى حياتهم وأدخلوا عليها التحسينات ثم بدأوا ينشئون نظاماً سياسياً خاصاً بهم تطول على النحو التالى [ii]:

١- عصر ما قبل الأسرات:

يتضمن سلسلة من الأباطرة الأسطوريين الحكماء والأبطال الثقافيين.

وتذكرهم المصادر الصينية : تارة باسم ((الحكام الثلاثة)). وطوراً باسم ((الأباطرة الخمسة))، وهم : فوهسى شين فونج، هوانج تى (الامبراطورية الأصفر). ياو، شون.

٢- أسرة هسى (٢٢٠٥ – ١٧٦٦ قبل الميلاد):

مؤسسها الإمبراطورية ((يو)) . ويؤثر عنه إنقاذه للصين من فيضان مدمر، استمر تسع سنوات .

٣ـ أسرة شانج أوين (١٧٦٥ – ١١٢٣ قبل الميلاد) :

أيدت الحفائر والسجلات المكتشفة، تولى هذه الأسرة حكم الصين. بيد أن التاريخين السالفي الذكر غير محققين .

٤ـ أسرة تشو (١١٢٢ – ٣٥٦ قبل الميلاد) :

أسسها الملك " ون " وتجعل الكونفوشيوسية منه ومن دوق تشو أبطالاً عظامًا .

٥ـ فترة الربيع والخريف (٧٢٢ – ٤٨١ قبل الميلاد) :

أسفر تحلل سلطان بيت "تشو" عن انبعاث حكام اقطاعيين، تلقب كل منهم بلقب السيد الحامي، أو الطاغية بالمعنى اليوناني .

وقد عاش كونفوشيوس خلال السنوات : ٥٥١ – ٤٧٩ قبل الميلاد .

٦ـ عصر الدول المتحاربة (٤٠٣ – ٢٢١ قبل الميلاد) :

تعتبر هذه الفترة ، عصر الفلسفة الصينية الذهبي .

٧ـ أسرة تشين (٢٥٥ – ٢٠٧ قبل الميلاد) :

توحدت الصين لأول مرة في تاريخها في إمبراطورية مركزية، قضت على الإقطاع، وفي عام ٢١٣ قبل الميلاد صدر قرار إمبراطوري بإحراق الكتب .

٨ ـ أسرة هان (٢٠٦ قبل الميلاد – ٢٢٠ ميلادية)

يتضمن عصر هذه الأسرة فترتين :

الأولى : من عام ٢٠٦ قبل الميلاد إلى عام ٢٤ ميلادية .

ثم اغتصب "وان مانج" العرش خلال الأعوام ٩ – ٢٣ ميلادية .

الثانية : من عام ٢٥ ميلادية – ٢٢٠ ميلادية .

٩ـ عصر الانشقاق (٢٢١ ميلادية – ٥٨٩ ميلادية) :

وحكمت الصين خلالها عدة أسر منها :

أسرة "وى" (٢٢٠ – ٢٦٥ ميلادية) .

أسرة تشين (٢٦٥ – ٤١٩ ميلادية) .

١٠ـ أسرة سوى :

لبث حكمها من عام ٥٩٠ ميلادية حتى ٦١٧ ميلادية .

١١ـ أسرة تانج :

لبث حكمها من عام ٦١٨ ميلادية حتى ٩٠٦ ميلادية .

١٢ـ عهد الأسر الخمس :

ظل اثنين وخمسين عامًا، من عام ٩٠٧ إلى ٩٥٩ ميلادية .

١٣ـ أسرة سونج :

وتنقسم إلى :

(أ) أسرة سونج الشمالية (٩٦٠ - ١١٢٦ ميلادية) .

(ب) أسرة سونج الجنوبية (١١٢٧ - ١٢٧٩ ميلادية) .

١٤ـ أسرة يوان :

أسرة منغولية الأصل، تولت حكم الصين خلال السنوات ١٢٨٠ - ١٣٦٧ ميلادية .

١٥ـ أسرة مينج :

حكمت الصين طوال الفترة ١٣٦٨ - ١٦٤٣ .

١٦ـ أسرة تشينج :

أسرة منشورية الأصل حكمت البلاد منذ عام ١٦٤٤ ثم اقتلعتها ثورة ١٩١١ تحت قيادة "ص يات صن " .

١٧ـ عهد الكومنتانج :

ظلت الصين خاضعة للنظام الجمهوري الذي أعلنه صن يات - سن، ثم تولى زعامة حزبه المعروف باسم "الكومنتانج" تشانج كاى تشك، إلى أن أمكن للحزب الشيوعي القضاء عليه عام ١٩٤٩ .

١٨ـ النظام الاشتراكي :

تولى الحزب الشيوعي الصيني عام ١٩٤٩ حكم البلاد في ظل منحى تفكيري جديد على البلاد .

أما عن الحضارة فيرى بعض المؤرخين أن الشعب الصيني هاجر في البداية من أواسط أسيا إلى أعالي وادي النهر الأصفر في فترة زمنية تمتد من ٣٠٠٠ - ٢٥٠٠ قبل الميلاد، ومع ذلك فإن الكشوف الأثرية تحملنا على الاعتقاد بأن الصينين يحتمل أن يكونوا قد وفدوا إلى شمال الصين قبل ذلك بعدة آلاف من السنين [iii].

ومن المعلوم أن الحضارات القديمة مثل حضارة السومريين (Sumers) وحضارة مصر القديمة ، والحضارة البابلية، والهندية كلها نمت وازدهرت في وديان ، وعلى ضفاف أنهار كبرى، فكذلك الحال بالنسبة للصين التي أنشأت حضارتها على ضفاف نهر الهوانجهو "النهر الأصفر" في شمال الصين وفي منطقة تبعد حوالي ٣٢٠ كيلو مترا جنوبي مدينة بكين الحالية .

وفي حين تذهب الأساطير الصينية القديمة إلى القول بأن الحضارة الصينية تمتد جذورها إلى نحو ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد ـ إلا أنه ليس هناك من الدلائل التاريخية أو الأثرية ما يدعم هذا القول . وتذكر بعض المصادر التاريخية الصينية المكتوبة أنه كانت هناك أسرة حاكمة صينية تسمى أسرة هسيا (Hsia) بدأت حكمها للصين في حوالي عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد .

بيد أن أقدم الشواهد الأثرية تدل على وجود أسرة حاكمة صينية تسمى أسرة شانج (Shang) كان أول أباطرتها يسمى تانج (Tang) وقد امتد حكمه خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد، في الفترة من ١٦٠٠ – ١٥٠٠ ق . م وكان هذا الحاكم يمارس سلطاته في العاصمة تشنج – تشو التي تقع على نهر الهوانجهو [iv].

ومن الخواص التى ميزت الحضارة الصينية أنها اخترعت العجلة كوسيلة لتحريك المركبات – دون أن تنقلها عن أية حضارة أخرى من حضارات الشرق الأدنى. ومن ثم استطاع الصينيون صنع المركبات ذات العجل والمحاور واستخدموها فى حياتهم اليومية فى زمن مبكر.

ومن ناحية أخرى فقد كان الصينيون أول من اهتدى إلى سر غزل الحرير من شرنقة دودة القز، واحتفظوا بهذا السر لعدة مئات من السنين.

ولقد حاولت بقية الحضارات الاهتداء إلى أهمية الحرير وطريقة صنعه فقنعت باستيراده من الصين. ومن العجيب أن اليابانيين كانوا أول من نقل هذا السر من الصينيين.

ولقد استمرت أسرة شانج فى ممارسة نفوذها لعدة قرون بسبب مهارتها فى صهر المعادن، واستخدام المركبات ذات العجل التى تجرها الخيول، الأمر الذى دفع عنهم غائلة الغزو، ومن ناحية الشمال والغرب من جانب القبائل الهجمية التى كانت تتحين الفرص لمداهمة الحضارة المزدهرة فى وادى النهر الأصفر.

ولم يكن لدى أسرة شانج الرغبة فى الغزو والتوسع وإنما كانوا يرغبون فى نشر أسلوب حضارتهم المتفوقة بين جيرانهم.

ثم ما لبث أن ظهرت مجموعة بشرية صينية يطلق عليها اسم تشو (Chous) وفدت على البلاد من المرتفعات الغربية واتجهت صوب الوادى الأوسط فى المنطقة ما بين نهر الهوانجهو ونهر اليانجستى واستوعبت هذه الموجة البشرية حضارة أهل الشانج، وانتهى الأمر بأن تمكن أهل تشو من الإطاحة بأمبراطور الشانج فى عام ١٠٢٧ق.م.

وحقيقة الأمر أن حضارة التشو التى شهدتها الصين فى عهد هذه الأسرة التى نسبت إليها هذه الحضارة قد نمت بشكل هائل حتى أصبح من المتعين تقسيم البلاد إلى عدة مناطق ليسهل إدارتها، وأصبحت هذه المناطق بمرور الزمن تتنازع مع بعضها البعض وكان أقوى هذه المناطق وأشدها بأسا هى منطقة تشو (Ch'u) فى جنوب البلاد، ومنطقة التشين (Ch'in) فى غربها، وانتهى الأمر بإنتصار التشين وسيطرتها على كامل أراضى الصين. ومن هنا اتخذت الصين اسمها.

على أنه فى عصر هذه الأسرة ظهر عدد من المفكرين والفلاسفة كان ابرزهم: كونج فى تزى (Kung Fu-tze) حوالى عام ٥٥٠ ق.م. وهو ذلك المفكر والمصلح المشهور كونفوشيوس (Confucius) ولقد تقلد كونفوشيوس منصب القاضى لمعظم حياته وانصبت اهتماماته على تحسين أحوال معيشة البشر من حوله، وكان هذا المفكر يظن أن ذلك التحسين لن يتأتى إلا عن طريق موقف معقول يتخذه المرء بازاء الحياة والناس من حوله.

وفى حوالى عام ٢٢٠ق.م. قام أحد الأباطرة الصينيين المشهورين بقوة شكيمته وشدة البأس هو: تشين شيه هوانج تى (Chin Shih Huang-ti) بالقبض على زمام السلطة بيد من حديد، وتمكن فى ظرف عشر سنوات من ضم كافة مناطق الصين فى دولة قوية واحدة، وتمكن فى الوقت ذاته من صد غارات البرابرة، وشرع فى بناء سور الصين

العظيم فى الفترة ما بين ٢١٨-٢٠٤ق.م. ذلك السور العظيم الذى لا يزال الجزء كبير منه يطاول الزمان حتى يومنا هذا، وكان طول السور عند الإنتهاء من تشييده ١٥٠٠ ميلاد ويعد بذلك أروع مشروع دفاعى فى العصور شرقا بوجه عام حتى بلاد تركستان الصينية متمشياً مع طبيعة سطح الأرض. وقد سخر الإمبراطور تشين نحو من ربع مليون عامل ووضع ملايين من الدواب فى بنائه مما يشهد على ما يتمتع به الصينيون من صبر وجلد[v].

الصين تحت حكم أسرة هان Han العظيمة

رأينا أن أخر أباطرة أسرة تشين وهو شيه هوانج تى قد مهد السبيل أمام مزيد من ازدهار الصين، حيث خلف نظاماً إدارياً كان فى حقيقة الأمر النواة السليمة لقيام البيروقراطية المدنية العظيمة التى اشتهرت بها الصين منذ أقدم العصور، ذلك الجهاز البيروقراطى الذى سبق نظيره الرومانى بنحو قرنين كاملين من الزمان، كما سبق النظام المدنى البيروقراطى فى غرب أوروبا بنحو ١٧٠٠ عاما على أقل تقدير.

ولما توفى هوانج تى عام ٢١٠ق.م. قامت ردة على إصلاحاته، وخلفه أحد الفلاحين الصينيين ممن توافرت لهم القدرة والشجاعة يدعى هوليوبانج (٢٠٦-١٩٥ق.م.)، وكان هوليو أول حاكم من أسرة جديدة شهيرة فى تاريخ الصين القديم هى أسرة هان (Han)، هذه الأسرة التى دام حكمها للصين نحو أربعة قرون.

والجدير بالذكر أن ثقل وأهمية أسرة هان فى منطقة الشرق الأقصى كانت تضاهى ثقل وأهمية الامبراطورية الرومانية فى الغرب، فقد كانت الإصلاحات الإقتصادية والإجتماعية التى أنجزتها أسرة هان سبيلاً يكفل وحدة الصين وإزدهارها.

ومما يذكر فى هذا السياق أنه فى عصر هان تمكن الصينيون من إكتشاف أن صب الماء الساخن على أوراق شجر الشاى تنتج مشروب الشاى المعروف لنا حاليا، وعلى هذا النحو إزدهرت زراعة الشاى وإنتشر استخدامه والمتاجرة فيه. كذلك بدأ أباطرة هذه الأسرة فى مد نطاق أراضيهم لتشمل جنوب شرق أسيا وأواسطها. وسيطر الصينيون بهذه الكيفية على مساحات من الأراضى تضاهى ما سيطر عليه الرومان فى أقصى اتساع بلغته إمبراطوريتهم.

ومن المظاهر الأخرى التى أثارت انتباه المؤرخين وجعلتهم ينظرون باحترام إلى حضارة الشعب الصينى هو إختراع الصنيين للورق فى نحو عام ١٠٠ بعد الميلاد وكذلك إنتشار الكتابة لديهم بإستخدام الفرشاة والمحبرة. وفى هذه المرحلة التاريخية من حياة الصينيين قام كُتابهم بتأليف معاجم لغوية، ووضع قواعد اللغة وفضلا عن ذلك تمكن الصينيون خلال حكم أسرة هان من إكتشاف البارود وإن كانوا لم يستخدموه إلا فى الألعاب النارية[vi].

وفى بداية القرن السابع استولت أسرة تانج على السلطة فى الصين وبدأ بذلك عصر جديد من عصور الحضارة الصينية تميز بموجة جديدة من الإختراعات الصينية مثل الطواحين المائية وتطور نظام الطباعة والأوانى دقيقة الصنع من البورسلين. وإشتهر عصر أسرة تانج بجمال النقوش والرسوم، وكذلك تم تطور نظام الخدمة المدنية فى عهد هذه الأسرة حتى أصبح لديها نظام متطور استطاع التنسيق الدقيق بين كافة أجهزة الحكم.

ومن الجدير بالذكر إنه فى هذه الفترة المزدهرة من التاريخ الصينى، إنتشرت الأفكار الصينية من كل من اليابان، وكوريا وكافة منطقة جنوب شرق آسيا ووصلت إلى منطقة التبت غربا. وفى هذه الآونة بدأت اليابان تظهر وتنفض عنها أحوالها البدائية، وكان إنتشار البوذية فى اليابان سبباً فى تطوير سلوك وأفكار الياباني، وقامت اليابان من ناحيتها بعملية نقل حضارى واسعة، سواء فى نقل البوذية كفكرة وعقيدة أو فى نقل أسلوب المعيشة والعادات الإجتماعية ونظم الإدارة المدنية الصينية.

وعلى الرغم من إزدهار الصين فى هذا العهد إلا أن الصين تعرضت لمخاطر الغزوات من جانب الأتراك ، والمغول، ففى حوالى عام ٩٠٠ ق.م أصبحت أسرة تانج من الضعف بحيث لم يعد يتسنى لها مقاومة هذه الضغوط الخارجية وبدأت هذه الإمبراطورية تخضع - ولاية بعد أخرى - لوطأة البرابرة حتى أن كيان الحضارة الصينية أصبح فى مجمله مهدداً بالإنهيار حينما بدأ القائد المغولى المشهور جنكيز خان سلسلة هجماته وغزواته. ففى بداية القرن الثالث عشر اتجه هذا القائد العسكرى ببصره ناحية الصين وأعد نفسه لغزوها[vii].

وتم كتابة التاريخ الصينى. وعاش أباطرتها فى بذخ شديد وقصور فخمة لكن ما لبثت الصين أن تعرضت إلى غزوة مغولية جديدة. وكان هؤلاء الغزاة الجدد هم عنصر المانشو (Manshus) ولقد سيطر هؤلاء الغزاة على مساحات شاسعة من شمال الصين. وبحلول عام ١٦٢٨م كانت منشوريا بكاملها قد سقطت فى أيديهم. ولما لم يستطع آخر أباطرة منج الصمود وكان يدعى تشونج - تشانج (Shung – Chang) (١٦٢٧ - ١٦٤٤) انتحر وسيطر المانشو على عرش الصين بادئين نظام أسرة جديدة ظلت تحكم البلاد من حوالى ١٦٦٢ حتى ١٩١١م .

وعلى نحو ما تم مع غزاة الصين القدامى، ابتلعتهم الصين بحضارتها، بل أن المانشو انفسهم دعوا العناصر الصينية لمشاركتهم فى الحكم معهم. وكان أول أبرز أباطرة المانشو كانج هسى (Kang – His) (١٦٦٢ - ١٧٢٢م) الذى رحب بقدوم رجال الإرساليات المسيحيين ولكن كانت تناوئه بعض الجماعات الصينية القوية التى كانت تعارض ورود الأفكار الغربية إلى البلاد. فلما توفى عام ١٧٢٢م خلفه ابنه الذى قلب هذه السياسة رأسا على عقب وقام بطرد رجال الإرساليات المسيحية ، ومنع قدوم أية كتابات من الغرب، ودخلت الصين مرة أخرى فى ظل ستار من العزلة، فقد كان الصينيون يرتعدون فرقا لما كان يصل إلى أسماعهم من تدخل البريطانيين والفرنسيين فى الهند[viii].

ثانياً:الأطماع الأوروبية فى الصين

١- الكشوف الجغرافية

اعتبر الكثير من المؤرخين إن الإقتحام الأوروبى للصين بدأ فى القرن التاسع عشر، والحقيقة أنه منذ القدم كانت للإمبراطورية الرومانية علاقات تجارية مع الصين وخاصة فى تجارة الحرير. وفى القرن السادس الميلادى نقلت دودة الحرير إلى القسطنطينية فلم تعد صناعة الحرير حكراً على الصين، وبالتالى تغير ميزان التبادل التجارى بين الغرب والشرق، وأصبحت السلع التى تستوردها أوروبا هى التوابل وسلع آخرى [ix].

تعتبر حركة الكشوف الجغرافية التى تم شطر كبير منها فى القرن الخامس عشر الميلادى أهم نتيجة عملية للنهضة الأوروبية، إذ استطاع الملاحون الأوروبيون أن يحققوا أعظم نصر فى مجال الكشوف الجغرافية فى أواخر ذلك القرن. وتمثل هذا النصر فى حادثين، أولهما كشف الأمريكتين إبتداء من سنة ١٤٩٢م على أيدى الأسبان، وثانيهما كشف الطريق البحرى من أوربا إلى الهند حول رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨م على أيدى البرتغاليين. وكان لهذين الحادثين نتائج عميقة الأثر فى تاريخ الصين إذ بدأ معهما العصر الحديث للمناطق التى وصل إليها المكتشفون الأوربيون.

١- البرتغال

وفى سنة ١٥١١ استتب الأمر لسلطان البرتغاليين فى ملقا فى جنوب غرب شبه جزيرة الملايو، وبدأ العصر الحديث فى منطقة الشرق الأقصى بعد أن أصبح المحيط الهادى (الباسيفيكى) مفتوحاً للسفن الأوربية منذ ذلك الحين. ولقى

البرتغاليون بشبه جزيرة الملايو كثيراً من الصينيين سمعوا منهم الشئ الكثير عن ثراء الإمبراطورية الصينية العريض وتجارتها الضخمة. وكان أول برتغالى بلغ شاطئ الصين هو ((رافائيل بيرسترللو)) فى سنة ١٥١٦م ، وقد سافر إلى هناك على إحدى السفن الصينية وعاد بعد رحلة شاقة مليئة بالمغامرة.

وفى السنة التالية زار ((جورجى ماسكارياس)) ميناء ((تشوانج تشاو)) وتبادل التجارة مع التجار الصينيين. وقد أقنعت المعلومات التى جمعها هذان الرائدان السلطات البرتغالية بفائدة فتح باب التجارة مع الصين فى مطلع القرن السادس عشر. وأعدت لذلك الغرض بعثة سياسية على رأسها ((توماس بيريز)) الذى حمل رسالة من ملك البرتغال إلى إمبراطور الصين، ولقى السفير استقبالاً حسنا من قبل الصينيين فى ((كانتون)) فى جنوب شرقى الصين(x).

وأبلغت سلطات ((بيكين)) على الفور بوصول ((بيريز)) فسمحت له بالحضور إلى ((بيكين)). ولكن فى نفس الوقت أخذت تبلغ مسامع بلاط أسرة ((منج)) الحاكمة حينئذاك معلومات ليست فى صالح البرتغاليين. إذ أن سلاطين الملايو الذى كانوا بوصفهم تابعين للإمبراطور الصينى ويدعون الحق فى حمايته لهم، كتبوا يستنجدون به على الوافدين الجدد. وكان سلطان ((بيتانج)) بوجه خاص قد كتب تقريراً مفصلاً حذر فيه حكومة ((بيكين)) من أن البرتغاليين كانوا حين يفدون ابتغاء التجارة فإنهم يضمرون فى أنفسهم التوسع والفتح، على نحو ما حدث فى المحيط الهندى. كما أن أمير البحر البرتغالى الذى أوصل ((بيريز)) إلى ((كانتون)) تقدم بسفنه إلى ((شانج تشوان)) وأخذ يتصرف بالطريقة التى إعتادها ربابنه البرتغاليين بمنطقة الملايو، وأنزل رجاله وشرع فى بناء قلعة فى المنطقة التى نزل فيها. وهنا هاجمه الأسطول الصينى حتى أجلاه عن الموقع. ونتج عن تلك الحادثة بعد أن بلغت أنبائها مسامع ((بيكين)) أن رفضت الحكومة الصينية بطبيعة الحال استقبال ((بيريز)) وأمرت بإعادته إلى ((كانتون)) حيث مات سجيناً.

ومن الملاحظ أن الصينيين لم يكن يخامرهم فى ذلك الوقت الإحساس بالكراهية للأجانب ذلك أن أسرة ((منج)) وإن كانت ذات نزعة قومية، وتمثل نهضة الثقافة الصينية بعد حكم أسرة ((يوان)) المغولية، فإنها كانت مستعدة للترحيب بكل علاقة تعقد أواصرها مع الأجانب، كما لم يكن يحدوها فى ذلك الوقت روح الإعتزال، ولكن تصرف البرتغاليين وسلوكهم البربرى نحو شعوب آسيا حينئذاك أدى إلى هذا الموقف المتحفظ من جانب الصينيين، ومن الواضح أن حكام ((الملايو)) المسلمين كانوا يعلمون بالجرائم التى كان يرتكبها البرتغاليون فى المحيط الهندى، وقد أبلغوا بها حكام الصين فى الوقت المناسب[xi].

على أن البرتغاليين من جانبهم حاولوا من جديد مرارا فتح العلاقات الدبلوماسية مع ((بيكين))، ولكن الرفض المهين كان نصيبها على الدوام حتى القرن التاسع عشر. ففى عام ١٥٢٢م وصل ((أفونسو مارتنز)) ومعه عمارة بحرية آملاً أن يؤذن له بالوصول إلى ((بيكين)) فهوجم ودمرت سفينته. وكانت المحاولة الثانية فى عام ١٥٥٢م ، لكنهالم تتقدم عن ((ملقا)) حيث نصح حاكمها البعثة بأن تعود إدراجها علما منه بموقف الصينيين فى هذا الصدد. وقد قام البرتغاليون فى المرة الثالثة بأخطر جهد بعد ذلك بمائتى عام، ووصلت بعثتهم إلى ((بيكين)) فعلاً. وقد استقبل الامبراطور الصينيين هذه البعثة، وسجد رئيسها ((اسكندر متللو سوزا)) بالطريقة المتبعة فى البلاط الصينى وتلقى هدايا الإمبراطور إلى ملكيه وهو راكع على ركبتيه، وإعتبرها الصينيون على طريقتهم المألوفة سفارة تحمل إليهم الجزية.

ورغم أن الصينيين لم يسمحوا بتطور أية علاقات سياسية أو دبلوماسية، إلا أن البرتغاليين واصلوا القيام بتجارة مزدهرة مع الموانى الصينية الجنوبية، خاصة وأن الحكام المحليين هناك يشجعون الإتصال التجارى بالأجانب، الذين

كانوا يحضرون تلك البضائع الثمينة لبيعها. على أن سياسة البرتغاليين وإدعائاتهم المسرفة فى السيادة العليا على الشرق ما لبثت أن أفضت بهم إلى النزاع مع السكان والحكام المحليين، ولهذا فإنهم لم يلبثوا أن طردوا من موانى الصين. أما بالنسبة لـ ((أماكاو)) البحرية التى سمح لهم بإستخدامها فى سنة ١٥٥٧م - وهى على جزيرة صغيرة سمح لهم أمير بحر صينى كان يتعقبه القراصنة وتلقى عوناً من إحدى السفن البرتغالية فأظهر اعترافه بالجميل وسمح للبرتغاليين فيها كان رهناً للظروف، ومقامهم فيه مقام الملتمس الضارع، لبلاط ((بيكين)) بل لمرءوسين محدودى السلطة بمدينة ((كانتون)).

وظل هذا الحال على ما هو عليه حتى أسس البريطانيون والفرنسيون السيطرة الأوربية ببلاد الصين فى القرن التاسع عشر[xii].

٢- الأسبان

أما بالنسبة للأسبان فقد شكلوا الجيل الثانى من الأوربيين الذين اتصلوا بالصين، وقد وصلوا إلى جزيرة ((الفليبين)) فى وقت مبكر من القرن السادس عشر الميلادى. وقد تم لهم غزو الجزر وإنشاء مدينة ((مانيلا)) فى سنة ١٥٧١م، كما تم لهم الإتصال بالسفن الصينية وتبادل التجارة معها. وكان أول من زار الصين من الأسبان قسيسين هما ((مارتن دهيرادا)) و((جيرونومومارين)). وتأسست العلاقات الودية مع سلطات الصين الجنوبية، ولما بلغ القرن نهايته حصلوا على الإذن بالإتجار فى ((كانتون)).

ولكن الأسبان لم يكن حظهم من النجاح أعظم من حظ البرتغاليين فى محاولتهم إنشاء العلاقات الدبلوماسية مع الصين، وإن إزدهرت تجارتهم مع الفليبين بدرجة ملحوظة. وكانت نوعا غريباً من التجارة، ذلك لأن الفليبين كانت تستخدم كمستودع لبضائع المكسيك. وكانت تجارة أسبانيا مع الصين تتم عن طريق أمريكا الوسطى. وقد ظلت الفضة المستخرجة من المناجم الأمريكية يتقايض عليها مقابل المنسوجات الأسيوية المصنوعة من القطن والحرير، ومقابل التوابل والخزف الصينى.

٣- الهولنديون

أما بالنسبة للهولنديين فقد بدأ نجمهم فى الظهور بعد أن تمكنوا من إبعاد خصومهم البرتغاليين رويدا من مناطق الأرخبيل الأندونيسى فى مطلع القرن السابع عشر. وقبل عام ١٦١٩م تهيأ للهولنديين إقامة مصنع ((بجاكرتا)) التى أطلقوا عليها إسما جديداً هو ((باتافيا)) وبفضل هذا العمل كما يقول القائد الهولندى فى تقرير له ((أحرزنا موطئ قدم ومستعمرة على أرض جاوة)). ولم يلبث الهولنديون أن تبؤوا شيئاً فشيئاً وإلى حين نفس المنزلة التى كانت للبرتغاليين فى البحار الشرقية.

وقد تمكن الهولنديون فى سنة ١٦٢٢م من إحتلال ((فرموزا))، التى لم يكن الصينيون قد إستقروا فيها فعلاً فى ذلك الحين. وإستقر الهولنديون ((بتايوان)). وأقاموا لأنفسهم حصناً فيها، وأصبحت هذه الجزيرة ذات أهمية كبيرة فى العصر الحديث. وقد إستخدم الهولنديون جزيرة فرموزا بحيث أصبحت مركزا لتجارتهم، وكانت تمثل لهم ميناء وسيطاً فى علاقاتهم المتطورة مع اليابان. وقد هاجم الصينيون ((فرموزا)) بقوة بلغت خمسة وعشرون ألف رجل، وإضطر الهولنديون إلى التسليم بعد أن عانوا من الحصار الطويل، وقد تم ذلك فى عهد أسرة ((منج)) الصينية، التى أعقبت أسرة ((منشو)) التى ظلت تحكم الصين حتى سنة ١٩١١، والتى تطورت فى عهدها العلاقات بين الشرق الأقصى والقوى

الأوربية. وكان إستبدال أسرة ((منشو)) القوية بأسرة ((منج)) الضعيفة العاجزة مداعاة لتقوية الصين فى وقت كانت له أهميته وخطورته، ذلك أن قبالى التخوم الشمالية أمثال المغول، قد أعلنت فى أخريات أيام أسرة ((منج)) خروجها عن سيادة الصين، وكذلك فعلت مثلها بعض القبائل شبه المستقلة والذى حدث فعلاً حينذاك أن أسرة ((منشو)) التى عرفت أيضا باسم أسرة ((كشنج))، كانت قد بدأت حكمها فى ((بيكين))، وكانت رقعة بلاد الصين قاصرة على المناطق الواقعة جنوبى سور الصين العظيم. ثم تعاقب على الإمبراطورية عدد من الحكام الأقوياء تمكنوا من إحكام الترابط بين مختلف أجزاء الامبراطورية، كما أوقفوا التوسع الروسى عند حده على نهر عامور. ثم أعادوا فتح إقليم ((سنكيانج)) ووضعوه تحت سيطرتهم الفعالة، وتدخلوا بالقوة فى بلاد التبت، ووضعوا أسس مبررات الصين للسيطرة عليها. وتم فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بسط سلطان الصين على أوسع رقعة بلغتها من التخوم الشمالية لكوريا شمالاً إلى كمبوديا، ومن المحيط الهادى إلى جبال الهيمالايا وجبال قرة قورم[xiii].

٤- الإنجليز

أما بالنسبة للإنجليز وبداية علاقتهم مع الصين فإن أول محاولة لهم لدخول البحار الصينية تمت بناء على إتفاقهم مع الهولنديين الذين نافسوهم فى تجارة الهند الشرقية. ففى عام ١٦١٩م عقدت بين شركة الهند الشرقية الهولندية وشركة الهند الشرقية الإنجليزية معاهدة، أتفق فيها على إحتلال إحدى الجزر الواقعة على مقربة من السواحل الصينية، وعلى إجبار المراكز التجارية التابعة للصين على قصر معاملاتها التجارية على الهولنديين والإنجليز دون سواهم. وإتفق الطرفان أيضاً على أن يكون لهما ((مجلس دفاع مشترك)) غير أن هذه المعاهدة الهولندية الإنجليزية فشلت نتيجة لمحاولة الهولنديين العمل على إحتكار التجارة. ولهذا صمم التجار الإنجليز على التفاهم مع البرتغالين، ولم يلبثوا أن حصلوا على رخصة من نائب الملك البرتغالى بجوا، وجهزوا عدة سفن بقيادة القبطان ((ودل)). وكانت المعلومات التى لديهم عن أحوال بلاد الصين من الضآلة بحيث أن ((ودل)) رأى أن يقتصروا على استحضار بعض خطابات التعريف من سلطات جوا إلى حاكم ((مكاو)) حتى يتمكن من تبادل التجارة مع الصين. على أن القهر المزرى التى كانت السلطات الصينية ترهق به البرتغاليين فى ((مسكا)) لم يتح لهم أن يقدموا إلى الإنجليز كل مساعدة ممكنة. ومن أجل ذلك أخذ الربان الإنجليزى على عاتقه أن يحصل على النتيجة قهراً، فأعد صندوقاً وزورقاً من زوارق السفن زودهما بخمسين رجلاً ودفع بهما داخل نهر ((كانتون)). على أن السلطات الصينية أوقفت هذه المحاولة، وأمرت القائمين عليها بالإبتعاد عن النهر المذكور.

وتصرف الإنجليز كعادتهم ((بكبرياء)) وطالبوا بأن يسمح لهم بالمرور عبر الأراضى الصينية وتبادل التجارة بحرية كاملة[xiv].

ومن الطبيعى أن هذا الموقف الذى اتخذه الإنجليز وهو موقف الفاتح الذى يقدم الشروط أدى إلى عواقف وخيمة. إذ أنزلت السفن الإنجليزية حملة قوامها مائة رجل وإحتلت قلعة صغيرة قرب النهر، ورفعت بكبرياء ((علم جلالة ملك بريطانيا العظمى على الجدران))، ثم إرتكبوا فى النهر أعمال قرصنة. غير أن الصينيين أظهروا صبراً جميلاً، كما أن إثنين من كبار السفينة طلبتها ((كانتون)) حيث إعتذر القبطان ((ودل)) عن مسلكه فسمح له بأن يشحن بضاعته ويعود إلى بلاد الهند.

وفي سنة ١٦٨٥م حصلت شركة الهند الشرقية البريطانية من السلطات الصينية على حق إنشاء مصنع بمدينة ((كانتون))، كما إفتتحت مركزاً تجارياً فى ((ننجبو)). وبعد عام ١٧٠٠م أصبحت سفن شركة الهند الشرقية تتردد على

((كانتون))، وفى سنة ١٧١٥م أنشئ مصنع دائم فى تلك المدينة. ولما تزايدت تدريجياً قوة شركة الهند الشرقية الإنجليزية ونمت مواردها بتلك الدرجة الهائلة ببلاد الهند، فقد أصبح للإنجليز إبان القرن الثامن عشر نصيب الأسد فى التجارة الصينية. وكان الشاى يمثل السلعة الرئيسية لشركة الهند الشرقية ببلاد الصين. وكانت مصلحة البريطانيين تنحصر بوجه رئيسى فى الإتجار فى الشاى الأسود الذى تنتجه ولاية ((فوكين))، ومنها كان يحمل إلى ((كانتون)) ويشترى عن طريق رابطة التجار الصينيين المعروفة باسم ((الكوهونج Co-Hang)) التى كانت تحتكر التجارة، وأصبحت المبالغ التى يستثمرها المشترون الأوربيون الآخرون لا تصل إلى سبع ما تستثمره الشركة البريطانية، وقبل أن يبلغ القرن الثامن عشر نهايته كان الشاى قد أصبح شراباً قومياً بإنجلترا. ولسداد قيمة المبالغ الهائلة المستخدمة فى ذلك الإستثمار وضبط الميزان التجارى فقد شجعت الشركة على بيع الأفيون للصين، خاصة بعد أن حوله ((وارن هيستنجز)) إلى إحتكار له ببلاد الهند.

وقد أصبحت لشركة الهند الشرقية البريطانية أكبر جالية مع الأوربيين المقيمين ببلاد الصين. ومع ذلك فقد كانت أول بعثة سياسية تصل إلى ((بيكين)) وهى تحمل أوراق إعتمادها من الملك جورج الثالث وكان يرأسها ((لورد مكارتنى)) فى أواخر القرن الثامن عشر. وكانت بعثة غير عادية، بدأت أعمالها بعد إعدادات محكمة، وبعدد ضخم من الموظفين. وسافر السفير وحاشيته فى مركب رسمى ضخم إلى ((بيكين))، ولكنه كان يرفع علماً مكتوباً عليه بالصينية ((السفير الذى يحمل الجزية من بلاد الإنجليز)).

ومع ذلك فإن اللورد ((ماكارتنى)) تصرف تصرفاً مليئاً بعظيم الهيبة والكرامة، وأبى السجود على الأرض، ولم يوافق إلا على تقديم أوراق إعتماده، راكعاً على ركبة واحدة. وأبدى الإمبراطور الصينى ((تشين لنج)) تلطفاً عظيماً مع السفير، ولكن النتائج السياسية والتجارية للبعثة كانت سلبية محضة.

ثم أرسلت بعثة أخرى فى عام ١٨١٦م برئاسة اللورد ((أمهرست))، وإضطرت إلى العودة من ((بيكين))، لأن الصينيين أصروا على ضرورة سجود السفير أمام الإمبراطور، بينما أصر السفير بثبات لا يقل عن ثبات الصينيين على عدم النظر فى تلك المسألة مطلقاً. وقد ظل الموقف على تلك الحال حتى صممت بريطانيا على إنهائه بعد أن قويت شوكتها بفتح بقية الهند، مما جعلها تقرر إستخدام القوة لإرغام الصينيين على التجارة فى القرن التاسع عشر فيما عرف بحرب الأفيون الأولى فيما بين عامى (١٨٣٩-١٨٤٢م) والثانية فيما بين عامى (١٨٥٧-١٨٦٠م) (xv).

٥- الفرنسيون

كان الأسلوب الفرنسى فى التوسع الإستعمارى بوجه عام يتخذ شكل إرسال المبشرين الفرنسيين ليمهدوا السبيل أمام الإستعمار الفرنسى. ونرى ذلك فى إرسال فرنسا عام ١٦١٠م للمبشر ((إسكندر ردس)) فى مهمة لتقصى أحوال الهند الصينية. وقامت مجموعة أخرى من رجال الجزويت الفرنسيين بتمهيد الطريق لكى تفرض الحكومة الفرنسية سيطرتها على كمبوديا ، وأنام ، وسيام ، وجنوب بورما. ولكن النفوذ الفرنسى كان قد تلاشى من المنطقة نهائياً بحلول عام ١٦٨٨م نظراً لتعصب هؤلاء المبشرين بشكل زائد.

ومن المعلوم أنه كانت هناك منافسة بين الفرنسيين والبريطانيين للسيطرة على الهند ولكن فرنسا خسرت فى صراعها مع بريطانيا على الهند، الأمر الذى جعلها تولى وجهها شطر الهند الصينية لعل فى ذلك تعويضاً لها عن الهند ، واتبعت فرنسا أسلوب التدخل فى الصراع الداخلى على العرش، فعمدت إلى مساعدة الملك المخلوع ، وبذلك أمكن لها الحصول على قواعد فى مملكة أنام.

٦- الروسيون

بعد أن تمكنت موسكو من إستعادة إستقلالها عام ١٤٨٠م فى عهد إيفان المرعب (١٤٦٢-١٥٠٥م). ووقفت الدول الأوروبية لتحول دون تحقيق أطماع الروس فى الغرب وإتجهوا ناحية الشرق فعبروا جبال الأورال وتوغلوا فيه[xvi] وكان المغول فى طريقهم للإضمحلال لذلك امتد النفوذ الروسى إلى نهر أوب ، وإستمر إمتداده جهة الشرق عبر سيبيريا. وفى حوالى عام ١٦٥٢م بدأ الغزاة القوازق يصطدمون بالقوات الصينية.

وقد بذلت روسيا جهوداً فى عام ١٦٥٤م من أجل إقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع الصين لكن هذه الجهود منيت بالفشل لإصرار الصينيين على أداء ممثلى الروس مراسم (الكاوتاو) التى تقضى بالسجود ثلاث مرات أمام الإمبراطور ورفض الممثلين الدبلوماسيين الروس للقيام بهذه المراسم. وإتسمت العلاقة بين روسيا والصين بنزاع مستمر على الحدود وقد إستمرت حرب الحدود بين الدولتين خمساً وثلاثين عاماً لم يعد بعدها السلام بين الجارتين إلا فى عام ١٦٨٩م وقعت روسيا والصين معاهدة ((نيرشينسك)) التى تضمنت إقرار الحدود ، وبعض الشروط التجارية الأخرى بين البلدين[xvii].

ولم تلبث أن ثارت المنازعات بين البلدين عام ١٦٩٩م حول نقض شروط المعاهدة، الأمر الذى أدى إلى توقف التجارة بين البلدين. وفى عام ١٧٢٠م كان قد تم إجتماع بين ممثلى البلدين أمكن فيه الوصول إلى حل مسألة ((الكاوتاو)) وقد أدى أحد ممثلى الإمبراطور مراسم الكاوتاو أمام سفير القيصر، فرد السفير بأداء هذه المراسم أمام الحاكم الصينى وبذلك تكون الصين قد إعترفت لأول مرة بدولة أوروبية ، وأبرمت معها شروطاً تقبل فيها المساواة.

على أنه قد أعيد النظر فى معاهدة نيرشنسك بمعاهدة جديدة سميت معاهدة كياختا لعام ١٧٢٧م أبرز ما فيها إتاحة الفرصة أمام روسيا لإقامة كنيسة فى بكين ، وإرسال بعض القساوسة لخدمة الروس المقيمين هناك[xviii].

٢- المصالح الأوروبية

فى الوقت الذى إنطلقت فيه الدول الغربية تبحث عن مستعمرات لها فى الشرق لتصريف منتجاتها بعد الثورة الصناعية، فقد وجدت بريطانيا فى الهند غايتها ووجدت فرنسا فى فيتنام مطلبها، ولكن الملاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية بسبب سياسة العزلة ، ومبدأ مونرو الذى كانت تتبعه لم تقم بمجاراة الدول الأوروبية فى سياساتها الإستعمارية التوسعية، الا أن وصول المهاجرين الصينيين واليابانيين إلى كاليفورنيا وإكتشاف السفن البخارية دفع الولايات المتحدة نحو الشرق ، وبدأت ضغوطها عليه- بل أنا الصين كانت أكثر تعرضاً للضغط الغربى وخضوعاً له.

كانت الصين ترزح تحت عبء التعويضات الفادحة التى أرغمتها الدول الأوروبية على دفعها، وأصبحت فى موقف ضعيف بسبب إستثماراتها الضخمة فى السكك الحديدية، والديون الخارجية، وأرغمت القوى الغربية الصين على السماح بنشر الديانة المسيحية فى أراضيها، كما قامت القوى الغربية بإخضاع واستعمار الدول الخاضعة للسيادة الصينية، وتغيرت مجريات الأمور إبتداء من عام ١٧٢٠م فقد إشتد الجدل المعروف ((بجدل الطقوس Rites Controversy)) فى ذلك العام بين أسرة تشى ينج Chi'ng الحاكمة فى الصين، وبين بابا روما، وأيهما أحق بالسلطة العليا، ونتيجة هذا الصراع قام الإمبراطور الصينى كانجشى Kangshi بحظر الديانة المسيحية فى الصين، ولكنه لم يحظر المعارف الغربية فقد كان يعتقد بأن العلم والدين منفصلان، وأعلن عن ذلك بقوله أن المملكة تكرم أى رجل صاحب

علم، ولكن الأباطرة الذين جاءما بعد كانجشى تمسكوا بمبدأ العزلة والإستبداد الثقافى وعملوا على حظر نشر المعارف الغربية فى الصين وبذلك توقف إنتشار المعارف الغربية فى الصين من عهد تشين لنج (١٧٣٦-١٧٩٥م) وحتى حرب الأفيون، هذه الفترة كانت كافية لإحداث آثار سلبية عانت منها الصين الكثير بعد ذلك.

ومن الناحية التعليمية نذكر أنه فى عام ١٨٦٢م وبعد مضى حوالى إثنان وعشرون عاماً على حرب الأفيون الأولى إفتُتحت أول مدرسة لتعليم العلوم الغربية فى الصين، وكان عدد الصينيين الذين يعرفون قراءة الكتب الغربية فى تلك الفترة أحد عشر شخصاً فقط، وفى عام ١٨٧٢م أرسلت حكومة تشى ينج Chi'ng أول بعثة دراسية للخارج ضمت ٢١٠ طفلاً، وفى أواخر الثمانينات ظهرت مجموعة من المثقفين الذين توافرت لديهم دراية بالمعارف الغربية وقبل ذلك كان التعليم يتم فى مدراس القرى[xix] حيث يقوم معلم واحد بتعليم أبناء أغنياء القرية أما فقراؤها فقد ظلوا أميين، ولم تكن الدولة هى التى تنفق على هذه المدارس، ذلك أن التعليم فى الصين بقى مستقلاً عن الدولة، وكانت المادة التعليمية مقتصرة على كتابات كونفوشيوس، وشعر تانج، وطريقة التعليم كانت عن ظهر قلب. وكان النظام التعليمى هو الذى يؤهل المتعلمين لتولى المناصب العامة بالإمتحان حيث يمتحن المتقدم للمنصب فى قوة تذكره وفهمه ومقدار ما يعرف من الشعر، ومن ينجح فى هذا الإمتحان يتقدم للإمتحان النهائى الذى يعقد فى بكين حيث كانت ردهة الإمتحان فى تلك المدينة تحتوى على عشرة آلاف حجرة إنفرادية يقضى المتسابقون فيها ثلاثة أيام فى عزلة تامة ومعهم طعامهم وفراشهم يكتبون مقالات أو رسائل فى موضوعات تعلن لهم بعد دخولهم إلى الحجرة الإنفرادية.

لقد شدد الصينيون على أهمية القراءة والكتابة ومطالعة الكتب، وجعلوا سلطة الحكام نابعة من إتساع علمهم، وأصبحت هذه الأفكار ضرورية لإختيار رجال الدولة فى الصين هذا النظام التعليمى[xx] كما أنشأت الصين مدرسة حديثة مهمتها دراسة تعاليم ((كنفوشيوس)) وشرحها والتعليق عليها، وأصبح لهذه المدرسة أثر كبير فى نهضة الفكر الفلسفى فى جنوب شرق آسيا[xxi].

أما من الناحية التجارية فإنه منذ نهاية القرن الثامن عشر، كانت الصين أحد أضلاع المثلث التجارى، وكانت بريطانيا والهند هما الضلعان الباقيان، وكانت هذه التجارة تمارس من ميناء كانتون، وتحت رقابة الحكومة، ومع ذلك فقد خاضت الصين حربين ضد بريطانيا عام ١٨٤١م و١٨٥٦م المعروفتان بحربى الأفيون، كانت بريطانيا تسعى من وراء هاتين الحربين التوسع فى تصدير الأفيون للصين وفتح أسواق الصين أمام منتجاتها القطنية بعد إزدهار هذه الصناعة فى بريطانيا. إضطرت الصين للرضوخ أمام المطالب البريطانية التى كانت مرفقة بالتهديد بإستخدام الأسطول البريطانى ووقعت الصين معاهدة نانكنج Nanking عام ١٨٤٢م وتيانسن Tiensin عام ١٨٥٨م وبكين Peking عام ١٨٦٠م وتنازلت عن هونج كونج وكولون Kowloon لبريطانيا.

كما أرغمت على دفع تعويضات ضخمة. وقد حصلت بعد ذلك كل فرنسا والولايات المتحدة على نفس الحقوق التى حصلت عليها بريطانيا فى معاهداتها مع الصين.

تضمنت المعاهدات والإتفاقيات التى وقعتها القوى الغربية مع الصين فقرات غير عادلة، كبقاء الوزراء، والقناصل بصفة دائمة وتمتعهم بإمتيازات ترتبط بمراكزهم، وإنخفاض معدلات التعريفة الجمركية، والرسوم الجمركية التقليدية وإقامة مستوطنات أجنبية، والإمتيازات القنصلية فى القضاء، وتمتع رعايا الدول الأجنبية بحق الدولة الأولى بالرعاية، ومن البنود العجيبة شرعية الإتجار بالأفيون، وحق التجار الأجانب فى ممارسة الأنشطة التجارية داخل الصين والسماح بنشر الديانة المسيحية وتعيين مفتش عام أجنبى بالجمارك للإشراف على الجمارك البحرية بالصين، كذلك

تنازل الصين عن هونج كونج وكولون Kowloon وقيامها بدفع تعويضات مالية ضخمة. لقد مارست بريطانيا والقوى الغربية ضغوطاً عسكرية، وسياسية كبيرة على الصين نظراً لأن أسواق الصين الإستهلاكية كانت تحظى بنصيب وافر من الإهتمام الغربى(xxii).

حرب الأفيون الأولى

كانت مدينة كانتون من أهم المراكز التجارية فى الصين، وتوالى عليها الأوروبيون بدءاً من البرتغاليين فى القرن السابع عشر، وبقى الوضع هكذا حتى حصل البريطانيون على حق إنشاء مصنع فيها عام ١٦٨٤م، ومع نهاية القرن السابع عشر تقاسمت الدول الأوروبية الإستعمارية الكبرى النفوذ فى كانتون.

حافظ عنصر المانشو على الحكم فى الصين منذ عام ١٦٤٤م عندما هرب آخر حاكم من أسرة منج من قصره فى بكين، وشنق نفسه فى شجرة. ومن ذلك التاريخ وعنصر المانشو يحكم فى الصين، وكان هذا العنصر مترفعاً فلم يعمل بالتجارة وإنما كانت الحياة العسكرية الوراثية هى السائدة.

كان عدد المانشو يقارب خمسة ملايين من بين أربعمائة مليون صينى وكانوا يسيطرون على المراكز الهامة منذ حكم أسرة تشنج عام ١٦٤٤م وحتى عام ١٩١٢م بما فى ذلك فترة خمسون عاماً من حكم الإمبراطورة الوالدة تزوهسى- التى حكمت من عام ١٨٦١م حتى عام ١٩٠١م.

من جهتها ما لبثت أوربا أن نشطت إستعمارياً بعد إكتشاف الطاقة البخارية وإستخدامها لمضاعفة إنتاجها، وبالتالى ظهرت ضرورة التفتيش عن أسواق ومستعمرات لها مما دفعها لإتباع سياسة الاستعمار، وما يستتبعها من حروب.

كان الإنقلاب التجارى الذى حدث مع الكشوف الجغرافية هو الذى مهد الطريق للإنقلاب الصناعى. وكان البرتغاليون هم أول الواصلين إلى الصين ثم بدأ الاحتكاك الشرقى بالغرب، ورفض الصينيون الوجود الغربى، وعاملوا الأوروبيين معاملة القراصنة فألقوا بممثليهم فى السجون، بل أن الصينيين إنتقموا من البرتغاليين بتدبير مذابح جماعية ضدهم. ولكن البرتغاليين ساعدوا الصينيين ضد القراصنة فكانت مكافأتهم أن أعطاهم الصينيون حق الإقامة فى ماكاو، وشيد البرتغاليون فى تلك المدينة مصانع لصنع الأفيون عمل فيها الرجال، والنساء، والأطفال وجلبت هذه الصناعة على البرتغاليين الكثير من الأموال.

وفى مستهل القرن الثامن عشر بدأ إستيراد الأفيون من الهند إلى الصين، وحرمت الحكومة الصينية على الشعب تعاطى الأفيون الذى تجلبه بريطانيا، وكما رأينا فإن الأفيون كان معروفاً سابقاً، ولكن فى القرن التاسع عشر- إزداد إستيراده بكميات ضخمة، صحيح أن إستعماله سابقاً كان لدواع طبية غير أن تعاطيه كمخدر دفع الحكومة الصينية لتحريمه(xxiii).

لم يصبح الأفيون كارثة على الشعب الصينى إلا عندما إحتكرت شركة الهند الشرقية البريطانية حق الإتجار به، فعمدت الشركة إلى إغراق جنوب الصين به إنطلاقاً من ميناء كانتون.

وبالرغم من تحريمه فإن تهريبه كان يتم على نطاق واسع الأمر الذى جعل الأوضاع متوترة بين الصين وبريطانيا. وفى عام ١٨٣٣ فقدت شركة الهند الشرقية البريطانية إحتكار التجارة مع الصين وحل محلها ممثل التاج البريطانى

مباشرة مما يعنى أنه فى حال وجود نزاع بين الصين وبين الشركة فإن ذلك النزاع يعرض مباشرة على التاج البريطانى.

أن رفض البريطانيين تنفيذ القوانين الصينية خلق وضعاً متوتراً فى بكين عام ١٨٣٨م لإصدار أوامر بالتشديد فى تنفيذ قرار تحريم إستيراد الأفيون بسبب النتائج الأخلاقية السيئة الناتجة عن تعاطيه.

فى هذا الوضع المتأزم أرسلت الحكومة الصينية موظفاً من قبلها يدعى لين إلى كانتون عام ١٨٣٩م وكان يتمتع بصلاحيات واسعة لوقف تجارة الأفيون، وقام لين بإصدار أوامره إلى جميع الأجانب بضرورة تسليم ما لديهم من أفيون للحكومة الصينية وتوقيع تعهدات بعدم التجارة فى هذه المادة فى المستقبل. وتمكن لين من جمع كمية من هذا المخدر بقدر ثمنها بستة ملايين دولار وقام بإعدامها فوراً مما أدى إلى دهشة الأجانب الذين إعتبروا هذا العمل إستفزازياً. وتزعمت بريطانيا مقاومة السياسة الصينية، وأصر القائم برعاية التجارة البريطانية على تحدى الأوامر الصينية وأمر التجار البريطانيين بمغادرة كانتون.

وفى ٧ يوليو ١٨٣٩م قام بعض البحارة البريطانيين بعصيان فى مدينة كانتون أسفر عن مقتل أحد الصينيين، فظهرت على الفور مشكلة الإختصاص القضائى ورفض البريطانيون تسليم المسؤولين جريمة القتل، وقام لين بتحدى هذا الرفض، وذلك بمنع السفن من توريد المواد الغذائية إلى هونج كونج وماكاو البريطانيتين.

وفى ٣ نوفمبر ١٨٣٩م جرى تبادل إطلاق نار بين السفن الصينية، والسفن البريطانية وإعتبر هذا العمل بداية حرب الأفيون الأولى (١٨٤٠-١٨٤٢م)، وفى هذا المجال يشير البريطانيون إلى أن هذه الحرب لم تكن حرب الأفيون بقدر ما كانت رداً على غطرسة الحكومة الصينية ورفضها لإستقبال ممثليهم، وأن الحكومة الصينية وضعت أمام مندوبى بريطانيا العقبات، والضرائب الباهظة، والمحاكم الفاسدة والمرتشية التى أقامتها القاونين الصينية لتعطيل التجارة المنظمة والمشروعة[xxiv] إلى جانب رغبة انجلترا في ضرب القلاع الموجودة عند مصب نهر سيكيانج، فتمكنت انجلترا من الاستيلاء على شنغهاى ١٨٤٢م ثم ناكين دون صعوبة نظرًا لقلة عدد جيش المانشو الذي لم يتعد عدده عن ٨٠٠٠ رجل فاضطرت الحكومة الصينية إلى التسليم[xxv].

معاهدة نانكنغ

لقد أطلقت السفن البريطانية مدافعها على المدن الصينية مع أنه كان فى وسعهم الوصول إلى الشاطئ وإرغام الصينيين على طلب الصلح. وعرض البريطانيون شروطهم على الصينيين والتى تتلخص فى :

ـ دفع قيمة الأفيون المصادر من قبل الصين.

ـ معاملة الموظفين البريطانيين معاملة لائقة بعدم الخضوع للقانون الصينى.

ـ تنازل الصين عن إحدى الجزر وهى هونج كونج لتأمين سلامة التجارة البريطانية.

ـ فتح خمسة موانى للتجارة البريطانية.

ـ تتعهد الصين بعدم فرض رسوم جمركية على الواردات البريطانية تزيد على ٥% من قيمة هذه الواردات. وقد كان لذلك أثره الخطير على تقلص نمو الصناعة الصينية.

أمام القصف المدفعى عرض الموظفون فى كانتون شروطاً لوقف النار لم ترض البريطانيين، وفى مايو ١٨٤١ دفعت

بريطانيا للصين ستة ملايين دولاراً تعويضاً عن الخراب الـذى أصـاب كـانتون. وفى ٢٩ أغسـطس ١٨٤٢ تـم توقيـع أول معاهدة غير متكافئة مع الصين هى معاهدة نانكنغ التى سببت ضياع الكثير من هيبة الصين ذلك أنهـا لم تـذكر شـيئاً عن الأفيون، بل أن الصين تخلت بموجب هذه المعاهدة عن هونج كونغ للبريطانيين الذين أرغموا الصين على تخفـيض ضرائبهم إلى ٥% وفرضت على الصين غرامة حربية لتغطية نفقات الحرب وما أتلفـه مـن أفيـون وإشـترطت أن يحكـم الرعايا البريطانيون فى الصين أمام محاكم بريطانية. كما تم إلغاء نظام الوهونج وأصـبح التجـار البريطـانيون أحـراراً فى تجارتهم الداخلية مع الصين.

وطلبت عدة دول أخرى منها الولايات المتحدة وفرنسا أن تطبق هذه الإمتيازات الأجنبية على تجارها ورعاياهـا المقيمين فى الصين وأجيبت هذه الدول إلى طلبها[(xxvi)].

كانت هذه المعاهدة بداية الإنحلال للنظام القديم، ذلك ان حكومة الصين سخرت من الأوروبيين بادئ الأمر، ثم تحدتهم وإنهزمت أمامهم فضعف سلطانها، وما لبثت القوى المحلية التى كانت صامتة إن بدأت بالتململ من سياسة حكومتها، فكانت ثورة التايبنج.

ثورة التايبنج ١٨٥٦م

وتعنى السلم العظيم وهى وسيلة تعبير إعتمدها الشعب الصينى ضد سياسة حكومته الخاطئـة مـع الأجانـب، وتعتبر هذه الثورة نتيجة إحتكاك الصين بالغربيين. ذلك الإحتكاك الخاطئ الذى ولد سخطاً لدى الوطنيين فمن أسباب الإضطهاد التى قامت مثلاً : السماح بإستيراد القطن المغزول وهذا يعنى القضاء على مورد رزق كثير مـن النسـاء التـى كانت تكسب عيشها من غزل القطن.

قائد هذه الثورة مدرس يدعى هونج هسيو تشوان **Hung Hsiu Chuan** رأى فى حلمه دعوة من السيد المسيح وأنه هو المسيح الأصفر وقد أرسل لهدى العالم، وبعد أن تعلم شيئاً من البروتستانتية إعتقد فى عام ١٨٤٣م إن الله قد إختاره ليطهر الصين من عبادة الأوثان ويحولها إلى المسيحية.

وفى عام ١٨٥٧م تزعم ثورة ضخمة ضد حكومة المانشو، وحدد أهدافها بما يلى :

القضاء على حكومة المانشو وإقامة حكومة برئاسته.

إعادة توزيع الثورة وتقسيم الأراضى.

ويلاحـظ أن ديانـة ثـوار التـايبنج كانـت مسـيحية عـلى المـذهب البروتسـتانتى ولكنهـا إختلطـت بعـد ذلـك بالكونفوشيوسيه والبوذية لذلك كثرت فيها الأخطاء المذهبية وسادها التفكير السطحى.

تمكنت قوات الثورة من الإستيلاء على بعض المدن أكثر من ست مرات مما سبب لهذه المدن التـدمير والخـراب، وقد وصلت هذه الثورة إلى أقصى حد لها فى عام ١٨٥٦ حينما تمكنت من طرد المانشو مـن منطقـة نـانكنج ثـم دارت الدائرة على الثوار وكادت قوتهم أن تفنى لولا نشوب حرب بين بريطانيا والصين والتى عرفت باسم حرب الأرو.

حرب الأرو ١٨٥٦-١٨٥٧

إن مرارة الغبن الذى شعر به الصينيون من المعاهدات غير المتكافئة مع الأجانب الـذين حصـلوا عـلى إمتيـازات أكثر مما ينبغى، ومع ذلك فإن هذا الوضع لم يرض الطرفين الصينى والأجنبى فكانت الشرارة التى أضرمـت نـار النـزاع عندما إفتتح أحد المبشرين الفرنسيين داراً للتبشير فى إقليم كوانجسى خارج المنطقـة التـى إتفـق عليهـا فى المعاهـدات وبعد ثلاثة أعوام من إفتتاح هذه الدار ألقى القبض على المبشر وأتباعه وأعدموا عام ١٨٥٦م بتهمـة إنتهـاك القـانون، مما أثار حقد الفرنسيين. وهناك حادث آخر حصل مع البريطانيين فقد قام بعض المسؤولين الصينيين بتفتيش السـفينة البريطانية أرو بدعوى أنها تأوى أحد القراصنة. وبعد أن ألقـى القـبض عـلى البحـارة الصـينيين الموجـودين عـلى ظهـر السفينة البريطانية وأودعوا بالسجن، طالبت بريطانيا الحكومـة الصـينية بـإطلاق سراحهـم، وتقـديم الإعتـذار الـلازم، أهمل الصينيون مطالب البريطانيين فعمدت القوات البحرية البريطانية بإتخاذ تدابير عسكرية وإستولت على الحصون التى تحمى كانتون وقصفت مقر الحاكم ((ييه)) بالقنابل ومع ذلك لم يقدم الصينيون الإعتذار المطلوب.

فى ٢٥ ديسمبر ١٨٥٧م قام البريطـانيون بقصـف كـانتون بالمدفعيـة وألقـى القـبض عـلى الحـاكم ((ييـه)) أثنـاء محاولته الهرب وأسر ونقل إلى الهند مقيداً بالأغلال حيث توفى هناك. ثم نقل البريطانيون والفرنسـيون ميـدان القتـال إلى منطقة بكين فدمروا القصر الملكى الصيفى إنتقاماً لما نال مبعوثى الحلفاء مـن تعـذيب وقتـل عـلى يـد الصـينيين فى بكين.

فإضطر الصينيون لطلب الصلح ووقعوا معاهدة ثانية غير متكافئة هى معاهدة تيان تسين[xxvii].

معاهدة تيان تسين ١٨٥٨

مع الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا لم تشاركا فى معارك ((أرو)) أو حـرب الأفيـون الثانيـة فقـد عملتا على المشاركة فى هذه المعاهدة إلى جانب بريطانيا وفرنسا بموجب هذه المعاهدة أصبح :

- حق الدول الأوروبية فى إستقبال سفرائها فى الصين.

- الترخيص للأجانب بالتجارة فى عدة موانى جديدة. وكذلك حق تجارتهم مع الداخل.

- إقرار تجارة الأفيون وجعل إستيراده عملية مشروعة.

البند أخير فى هذه المعاهدة يثبت لنا أن حرب الأفيون بقيت مستمرة على الصين وبالتالى يمكننا إعتبار الفترة من عام ١٨٥٦ وحتى ١٨٦٠ هى حرب الأفيون الثانية والتى إنتهت بإتفاقيات بكين عام ١٨٦٠[xxviii].

إتفاقيات بكين ١٨٦٠م

عمل الصينيون على عرقلة تنفيذ الإلتزامات المترتبة عليهم من معاهدة تيان تسن، وقـاموا بإحكـام تحصـيناتهم، ولكن هذا الأمر لم يخف على الفرنسيين والبريطانيين الذين قاموا بتـدبير حملـة مشـتركة هاجمـت قصرـ الإمبراطـور فى بكين وفر الإمبراطور تاركاً أخاه كوانج يتولى مواجهة الأجانب.

تمكن كوانج من التفاهم مع الأجانب وعقد سلسلة من الإتفاقيات غـير المتكافئـة أيضـاً عرفـت باسـم إتفاقيـات بكين. وأهم ما تضمنته :

- تحديد طريقة إستقبال الوزراء الأمريكيين والأوروبيين وأن تكون على قدم المساواة مع الوزراء الصينيين.

- ضمان حق إقامة السفراء الأجانب فى بكين.

- ضمان سلامة المبشرين والتجار الأجانب.

- السماح بتجارة الكولى (أى العمال الصينيين).

لعب عاملان مهمان دورهما فى القضاء على أسرة المانشو الأول خارجى والثانى داخلى.

أما العامل الخارجى فقد ظهر بتأثير المعاهدات غير المتكافئة التى بدأت بمعاهدة نانكنج ١٨٤٢. ثم معاهدة تيان تسن ١٨٥٨ ثم إتفاقيات بكين ١٨٦٠ وكلها ذات صفة واحدة، وهى أنها غير متكافئة.

أما العامل الداخلى فقد تمثل بالثورات؛ فقد أهلكت ثورة التايبنج نحو عشرين مليوناً من أهل الصين وساد الدمار تسع مقاطعات. وتكبدت أسرة المانشو أموالاً طائلة للقضاء على هذه الثورات.

كما أن ثورة إقليم يونان التى قامت بين أوساط المسلمين الصينيين من عام ١٨٦٠ حتى عام ١٨٧٣، بسبب نزاع إقتصادى حول الإشراف على موارد يونان المعدنية الهائلة، ولكن حرص الحكام الصينيين على إرتكاب مذبحة بين المسلمين جعلها تستمر ثلاثة عشر عاماً، وقد ساعد على إخماد هذه الثورة قيام جماعات إسلامية بتقديم المساعدة للمانشو الذين حققوا نصرهم على المسلمين(xxix).

هذه الأزمات الخارجية والداخلية جعلت أسرة المانشو تصاب بوهن كبير، شجع الأمم الأوروبية على إقتطاع أجزاء من الصين قطعة بعد أخرى فإستولت روسيا على الأراضى الواقعة شمال نهر عامور. وشرقى نهر الأوسورى عام ١٨٦٠، وإنتقم الفرنسيون لموت أحد المبشرين بالإستيلاء على الهند الصينية عام ١٨٨٥، وإنقضت اليابان على الصين وهزمتها عام ١٨٩٥، وإستولت على فرموزا وحررت كوريا من الصين لتستولى عليها فيما بعد عام ١٩١٠، وإستولت روسيا على شبه جزيرة شانتنج عام ١٨٩٨ بعد مقتل إثنان من مبشريها وخشيت اليابان والولايات المتحدة من سياسة تقسيم الصين، فدعتا إلى نتفيذ سياسة الباب المفتوح أى حق جميع الدول بالإتجار مع الصين.

يمكن تلخيص الدروس التى إستخلصتها القوى الغربية من تجربتها فى الصين بعد حروب الأفيون على الشكل التالى :

أولاً : إبرام معاهدات غير متكافئة تجعل من بعض الدول الأوروبية دولاً أكثر رعاية كمعاهدة نانجينغ **Nanking** التى وقعتها بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا مع الصين عام ١٨٤٢ ومعاهدة تيانتسن **Tientsin** التى وقعتها بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا مع الصين عام ١٨٥٨. وقد كانت هذه المعاهدات سيفاً مسلطاً على رقاب الصين.

ثانياً : كانت الدول الغربية مقتنعة بفاعلية السلاح فشنت عدة حروب عدوانية واسعة على الصين.

ثالثاً : عانت القوات الغربية معاناة شديدة من الإنتفاضات الشعبية التى إشتعلت فى الصين مثل ثورة بنج ينج توان **Ping-Ying-Tuan** (١٨٥١-١٨٦٤) المناوئة للمانشو.

رابعاً : قيام القوى الغربية بالإعتماد على تجارتها فى فتح الصين من خلال القادة العسكريين الذين لعبوا دوراً قيادياً، ومنهم لورد جين (١٨١١-١٨٦٣) وسير هارى باركس (١٨٢٨-١٨٨٥) من بريطانيا، وجان بابتست لوى جرو (١٧٩٣-١٨٧٠) من فرنسا، والأدميرال ايفيمى فاسيليفتش يوتياتن (١٨٠٣-١٨٨٤) من روسيا.

كان اللورد ((جين)) والبارون ((جرو)) قد إنتدبهما حكومتهما البريطانية والفرنسية أثناء حرب الأفيون الثانية لإبرام معاهدات مع الصين وكان اللورد جين البريطانى هو المحرض على إحراق القصر الإمبراطورى الصيفى Yuan-Ming-Yuan عام ١٨٦٠م وقد إهتز العالم من جراء هذا العمل .

أما السير هارى باركس فقدم إلى الصين وعمره ثلاثة عشر عاماً شارك فى النشاطات العدوانية البريطانية وهو فى سن مبكرة وعمل وكيلاً للقنصل فى كانتون ومندوباً بريطانياً فى الصين أثناء حرب الأفيون الثانية.

وكان الكونت فاسيليفتش يوتياتن قد ذهب إلى الصين وأخذ يضغط على كانتون وشانغهاى للفوز بنفس المعاملة الخاصة التى حصلت عليها إنجلترا من الصين، وفى عام ١٨٥٧م حاول إرغام الحكومة الصينية على إبرام معاهدة تتنازل بمقتضاها لروسيا عن بعض أراضيها، وفى عام ١٨٥٨م عينته الحكومة الروسية مندوباً سامياً فى الصين فنجح فى عقد معاهدة تيانتسن Tientsin مع الصين مستغلاً سيطرة إنجلترا وفرنسا على المدينة.

ظل غزو الصين ونهب ثرواتها والإستيلاء على أسواقها حلماً يراود خيال القوى الإستعمارية الإمبريالية ردحاً طويلاً من الزمن فقد كانت للصين أولويات إستراتيجية لدى تلك الدول، فذاقت مرارة التجارب الإستعمارية فوق أراضيها والتى تمثلت بتجارة الأفيون الشهيرة(xxx).

نهاية حرب الأفيون الثانية

لما دخل الحلفاء بكين عاصمة الصين عام ١٨٦٠ فر الإمبراطور الشاب شيان فنج إلى جيهول حيث توفى هناك عام ١٨٦١ تاركاً العرش لإبنه البالغ من العمر خمس سنوات، وإستولت زوجة الإمبراطور الثانية وهى أم ذلك الغلام على مقاليد الحكم وتسمت باسم ((تزه تشى)) وعرفها العالم باسم الإمبراطورة الوالدة التى حكمت الصين حكماً صارماً مجرداً من الرحمة منذ عام ١٨٦٠ وحتى وفاتها عام ١٩٠٨، وعندما بلغ إبن الإمبراطورة الوالدة سن الرشد توفى عام ١٨٧٥ فدفعت الإمبراطورة بغلام قاصر يدعى جوانج تشو إلى عرش الصين دون أن تلتفت إلى المعارضة.

إستطاعت الإمبراطورة الجريئة ((تزه تشى)) أن تسيطر على الحكم فى الصين فترة طويلة وأن تجعلها فترة سلام مستعينة بذلك بكبار رجال السياسة من أمثال ((لو هونج شانغ)) الذى دفع الدول الأوروبية لأن تحسب للصين بعض الحساب فى سياساتها الخارجية.

وفى عام ١٨٩٥م حصل حادثان مهمان فى الصين :

الأول داخلى فى جنوب الصين عندما تزعم الدكتور صن يات صن ثورة فى كانتون وبدأ بتنظيم جماعات ثورية ولكن ثورته كانت فاشلة.

والثانى خارجى وتمثل بإنتصار اليابان على الصين فى نفس السنة وهو ما عرف الحرب الصينية اليابانية الثانية (١٨٩٤ – ١٨٩٥م)، وسارعت الدول الأوروبية تعمل على إقتطاع أجزاء من الصين. ولكن الإمبراطورة الوالدة ((تزه تشى)) قاومت طلبات الأوروبيين(xxxi).

الولايات المتحدة وسياسة الباب المفتوح :

لم تشأ الولايات المتحدة الحصول على امتيازات خاصة بها في الصين ولكنها تشبثت من ناحية أخرى بحق الدولة الأولى بالرعاية إذ إنها باستيلائها على جزر الفلبين عام ١٨٩٨م لم تعد تشعر بحاجتها إلى التسابق للحصول على أراض في الصين، ونلاحظ أن حرب البوير التي خاضتها بريطانيا في الجنوب الأفريقي كانت قد عملت على إضعاف مركز بريطانيا في الصين لذلك نجدها قد اقترحت على الولايات المتحدة أن تتزعم حركة إقناع الدول الكبرى بإتباع سياسة الباب المفتوح في تجارتها مع الصين بما يعني المبادئ التالية :

١ـ ألا تحاول أي دولة التدخل في الصين بصورة تمس المعاهدات المتعلقة بالموانئ أو المصالح الأجنبية القائمة بالفعل داخل مناطق المصالح أو الأراضي الصينية المستأجرة .

٢ـ ألا يكون هناك أي تمييز في المعاملة سواء كان ذلك في المناطق المستأجرة أم في مناطق المصالح فيما يتعلق برسوم الميناء أو فئات أجور شحن البضائع [xxxii].

حركة البوكسرز (الملاكمين) :

إزاء الهزيمة التى لحقت بالصين أمام اليابان عام ١٨٩٥م وتوقيع معاهدة ((شيمونوسيكى)) قامت جماعات وطنية تدعو للأخذ بالتعليم الغربى وأن حذت الصين حذوا اليابان بإنشاء جيش قوى، وبناء المصانع، وشق الطرق حتى تستطيع الصين تحدى الأخطار الأوروبية. ولكن الإمبراطورة الوالدة ((تزه تشى)) رفضت هذا التيار الإصلاحى، وقاومته بكل قوتها. وكان الإمبراطور ((جوانج شو)) قد بلغ رشده، فإنضم إلى التيار الإصلاحى معارضاً سياسة الإمبراطورة الوالدة، خاصة وإنه كان بعدما تربع على العرش يرغب بالتخلص من وصايتها، وإن يكون إمبراطوراً بحق.

أصدر الإمبراطور الشاب جوانج تشو مراسيم يطلب فيها من الشعب الصينى السير فى خط الغرب والأخذ بأساليبه. فقد أمر الإمبراطور الشاب بإقامة نظام جديد للتعليم وإنشاء مدارس تدرس العلوم والآداب على الطريقة الغربية والتى تختلف عن كتب ((كونفوشيوس)). بل أن الإمبراطور الشاب شجع على إنشاء الطرق وإصلاح الجيش وهو بذلك يهدف إلى أن يجعل من الصين دولة قوية تستطيع مواجهة إعدائها.

هذه السياسة التى رسمها الإمبراطور الشاب هذه المراسيم المتطرفة التى قد تؤدى بالأسرة المالكة إلى الهلاك. لذلك ألقت القبض على الإمبراطور الشاب ((جوانج تشو)) وسجنته فى أحد القصور الإمبراطورية، وقبضت على زمام الحكم فى الصين وأصبح الرجعيون أو دعاة الحفاظ على الأنظمة القديمة هم أصحاب السلطة التامة.

بالمقابل نشطت فى شمال الصين حركة معاداة الأجانب، وساعد كثير من المسؤولين الصينيين هذه الحركة كوسيلة للتخلص من النفوذ الغربى بإثارة السخط ضد الأجانب، وتألفت جمعيات بمباركة المسؤولين الصينيين تهدف إلى مكافحة الوجود الأجنبى على أرض الصين، وفى مقدمة هذه الجمعيات جمعية ((يي هو خوان Yi-Ho-Xuan)) وتعنى قبضة التوافق الصالحة التى سميت بعد ذلك بالملاكمين. وكانت هذه الجمعية تهدف فى الأصل إلى خلع الإمبراطورة الوالدة، ولكن الإمبراطورة أفلحت فى إقناع زعماء الجمعية بتوجيه نقمتهم وقوتهم ضد الأجانب الغزاة بدلاً من مواجهة الأسرة الحاكمة.

قامت جمعية الملاكمين بإغتيال إثنين من المنصرين الألمان عام ١٨٧٩م، وتابعوا نشاطهم لإخراج جميع الأجانب من بلاد الصين، وقاموا مدفوعين بتيار وطنى بذبح المسيحيين الأجانب من أبناء الصين.

ولم يحل عام ١٩٠٠م حتى كان عدد كبير من المسيحيين الصينيين ومن الأجانب قد لقوا مصرعهم الأمر الذى أدى إلى دفع جيوش الدول الغربية للزحف مرة أخرى على بكين لحماية مواطنيهم الذين دب فيهم الرعب بعدما أصدرت الإمبراطورة الوالدة أوامرها بإبادة جميع الأجانب داخل الصين. وجاءت الدول الأوروبية بغزوها الجديد للصين لتعلن أنها لا تريد محاربة الصينيين بل محاربة الملاكمين فقط وأنها أتت لمساعدة الصين على التخلص من فتنتها الداخلية[xxxiii].

حاصرت القوات الأجنبية مفوضيات بلادها فى بكين والتى إحتمت فيها الرعايا الأجانب، وفرت الإمبراطورة الوالدة وحاشيتها إلى شيانغو فى إقليم شانسى، وإنقضت جيوش إنجلترا وفرنسا وروسيا والمانيا والولايات المتحدة الأمريكية على بكين وعملت فيها السلب والنهب، وقتلت كثيراً من المواطنين إنتقاماً لمقتل مواطنيها ويقول الكابتن ((برنكس)) فى ذلك : ((مما يقشعر منه بدن كل شخص أبيض أن يعلم أن أربعين من النساء المبشرات وخمسة وعشرين من الأطفال ذبحهم الملاكمون ولكن خمسمائة وسبع وثلاثين من نساء الطبقات العليا فى الصين إنتحروا فى تونجشاو وحدها مفضلين هذا الإنتحار على الحياة بعدما لاقوا من عار ومذلة، مع أن الصينيين لم يبدوا أية مقاومة فى هذه المدينة ولم يقع فيها قتال ما)).

وفى ١٤ أغسطس ١٩٠١ فرض السلام مرة أخرى على الصين فى ظل إتفاقية الملاكمين وتضمنت المطالب التالية من حكومة المانشو :

- تقدم الصين إعتذاراً لحكومة اليابان والمانيا لمقتل ممثليها فى حوادث الشغب.

- تقوم الصين بدفع ٣٣٠ مليون دولار غرامة[xxxiv].

- إعادة النظر فى المعاهدات التجارية ورفع الرسوم الجمركية ٥%.

- إنزال العقاب بالمسؤولين الصينيين عن أحداث الشغب[xxxv].

إلا أن جزءاً كبيراً من الغرامة رفعته الدول الأوروبية عن الصين وإشترطت هذه الدول أن تنفق الأموال التى تنازلت عنها على تعليم الطلبة الصينيين فى جامعات الدول التى كانت هذه الأموال من حقها.

- برامج حكومة المانشو للإصلاح (١٩٠٢-١٩١١)

إقتنعت الإمبراطورة الوالدة بضرورة التغيير فعملت على قيام حركة مساواة إجتماعية بين عنصر المانشو الحاكم وبين الصينيين وذلك عن طريق السماح بالتزاوج بين العنصرين، كما سمحت برفع مستوى التعليم، وتنظيم الجيش والبحرية وإصلاح النظام القضائى.

بالنسبة للتعليم فقد ظهر ما يعرف بطلبة الغرامة، وهم الطلبة الذين غادروا الصين إلى جامعات البلدان سداداً للدين الذى كان مفروضاً على الصين وتنازلت هذه الدول عنه، وكانت اليابان من أكثر هذه البلدان إستقبالاً للطلاب الصينيين كما ذهبت أعداد كبيرة إلى الولايات المتحدة والمانيا وإنجلترا.

كان طلبة الغرامة يلتحقون بجامعات الدول الأجنبية وهم صغار السن، قبل أن تنضج عقولهم فيدركون ما تنطوى عليه حضارتهم القومية من عمق ومالها من قيمة، ويعجبون بالتربية والحضارة الجديدة وبعلوم الغرب وأساليبه وأفكاره فيعودون إلى الصين وهم حانقون على تأخر بلادهم ويعملون فى كل مجال على التخلص من القديم

الذى هو سبب تخلفهم - حسب إعتقادهم - هذا بالنسبة للبعثات للخارج أو طلبة الغرامات أما فى الداخل فقد تم إنشاء وزارة المعارف التى وضعت منهجاً تعليمياً على النسق الأوروبى، وأنشأت جامعة بكين، بهدف رفع مستوى التعليم فى الصين إلى ٥%؛ ومع ذلك فإن نجاح السياسة التعليمية جاء هزيلاً لأن القائمين على تنفيذ البرامج التعليمية كانوا يجهلون علوم الغرب ونظمه.

- أما بالنسبة للجيش والأسطول فقد كانت القوات العسكرية الصينية قبل عام ١٩٠٥م تتألف من الجيوش التى تحمل عمل المانشو فى المدن الرئيسية بالإضافة إلى القوات التى تحمل العلم الأخضر والتى يشرف عليها حكام الأقاليم، وكانت الأسلحة عتيقة، وقد وضع مشروع لإنشاء جيش وطنى حديث على أساس التجنيد الإجبارى، وبالنسبة للأسطول البحرى الصينى فقد سبق أن دمرته فرنسا فى جنوب تونكين إلا أنه تم فى عام ١٩٠٧م إنشاء وزارة للبحرية الصينية بهدف تحديث الأسطول وإصلاحه، ولكن المعارضة سببت إحباط كل الجهود الإصلاحية :

أما بالنسبة للإصلاحات السياسية فنجد أن حكومة الصين تعهدت فى مرسوم الإصلاح الصادر عام ١٩٠١م بإنتهاج أفضل أساليب الحكم السياسية المتبعة فى الدول الأجنبية لذلك قامت الصين بإرسال بعثة إلى الخارج لدراسة نظام الحكومات النيابية ووقع إختيارها على الدستور اليابانى الذى كان في حقيقة أمره صورة معدلة تعديلاً طفيفاً عن الدستور الألمانى.

وفى عام ١٩٠٧م صدر الدستور الصينى المؤقت لإصلاح الجهاز الحكومى على مدى تسع سنوات ليعقب ذلك إصدار الدستور الدائم عام ١٩١٧م. ولكن الذى حصل هو أن الإمبراطورة الوالدة ((تزه تشى)) توفيت عام ١٩٠٨ فحال ذلك دون تنفيذه، خاصة وأنه بعد وفاتها تولى مقاليد الحكم طفل عمره ثلاث سنوات هو ((بويى Pou-Yi)) القاصر فتولى الحكم أو الوصاية عليه مجموعة من الأمراء الذين كانوا يكرهون الإصلاح وأحاطوا أنفسهم بعناصر المانشو الرجعية مما أدى للإطاحة بكافة المشروعات الإصلاحية(xxxvi)،ومما مهد السبيل لظهور ((صان يات صن)).

صان يات صن

إعتنق المسيحية وإندفع يحطم أصنام الآلهة فى معبد قريته وأصدر برنامجه الأول حسب تصوراته لمستقبل الصين. كان ((صان)) قد درس فى هونولولو فى مدرسة يديرها راهب من أتباع الكنيسة الإنجليزية يسير التعليم فيها بالأساليب الغربية البحتة، ولما عاد صان إلى الصين التحق بالكلية الحربية البريطانية فكان أول من تخرج منها من الصينيين.

كانت هذه الدراسات من أكبر الأسباب التى حرمت الرجل من كل العقائد الدينية، كما كانت الإهانات وضروب الإذلال التى يلقاها هو وأبناء وطنه فى الجمارك التى يسيطر عليها الأوروبيون وفى الأحياء الأجنبية من ثغور المعاهدات، قد أوغرت صدره وجعلته يفكر فى الثورة. وكان عجز الحكومة الفاسدة الرجعية سببًا في إتقاء الصين مذلة الهزيمة على يد اليابان الصغيرة، وتجزئة البلاد بين الدول الأوروبية لأغراضها التجارية قد أشعره بالمذلة وملأ قلبه حقداً وضغينة على تلك الحكومة فاعتقد أن أول خطوة يجب أن يخطوها فى سبيل تحرير الصين هو أن يقضى على أسرة المانشو[xxxvii].

من جهة ثانية اعتبر الشعب الصينى أن فشل برنامج الإصلاح يعود للجماعات القائمة على الحكم والتى تمثل العقبة الأساسية فى طريق تنفيذ الإصلاح لذلك كانت ضرورة إزاحتهم وإيجاد نظام حكم يفسح المجال لبناء الصين القوية. وكان تحديث الجيش ومكافحة ثورة التايينج قد أوجد روحاً عسكرية قتالية حديثة إستغلها ((صن يات صن)) وقام بتشكيل أول مجموعة عمل عسكرية.

فى ذلك الوقت ظهرت محاولة للإستيلاء على كانتون ولكنها فشلت فصدر الحكم بإعدام ((صن)) الذى هرب إلى اليابان ثم إلى أوروبا وبعدها إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

فشل هذا الثورة مهد لقيام دعوات إلى الثورة خاصة بعد هزيمة الصين أمام اليابانيين عام ١٩٠٥ وقام الصينيون المقيمون فى الخارج يوحدون جهودهم بدعم من صن وتمكنت الفئات الطلابية المقيمة فى طوكيو من تشكيل رابطة بينها تدعى رابطة القسم **La Ligue de juree**[xxxviii].

ثورة أكتوبر ١٩١١

تمكن صن من تحديد مبادئ الثورة للوصول للإطاحة بأسرة المانشو من خلال ثلاثة مراحل تبدأ بسيادة الحكم العسكرى ثم تلقين الشعب الصينى مبادئ الديموقراطية وأخيراً إقامة الحكومة الدستورية.

وفى الوقت الذى اتجه فيه نظام الحكم الإمبراطورى إلى إيجاد صفة دستورية والسعى لإجراء إنتخابات ديمقراطية عامة، كانت رابطة القسم المؤيدة لصن قد ضمت عدة آلاف من المتطوعة فى صفوفها. وقد إنفجرت الثورة بإنفجار أحد مصانع الذخيرة فى مدينة هنكو **Hankou** وتمرد جنود الإمبراطور على قيادتهم، وإنتشرت الثورة بسرعة فى كل أنحاء الصين وتكونت حكومة للثوار، الأمر الذى دفع حكومة المانشو فى بكين لإستدعاء يوان شى كاي لقيادة القوات الإمبراطورية وعينته حاكماً لإقليم هوبى هونان **Hupie-Hunan**.

تمكن يوان شى كاى من أن يصل إلى حلى وسط مع الثوار الذين إتخذوا من نانكنغ عاصمة لهم، وحضر صن من الولايات المتحدة إلى الصين حيث أعلن على الفور رئيساً لجمهورية نانكنغ.

هنا وجد آخر أباطرة المانشو (بوى) نفسه محاطاً بالثورة من كل جانب وأن الجيش قد تخلى عنه، فلم يجد بداً من التخلى عن العرش وأصدر مرسوماً جاء فيه :

((إن الشعب فى جميع أنحاء الإمبراطورية يتجه الآن بعقله نحو الجمهورية، إن إرادة الله واضحة ورغبات الشعب غير خفية. فكيف أستطيع أن أعارض رغبات الملايين الكثير للإحتفاظ بمجد أسرة واحدة وكرامتها؟ ومن أجل ذلك فإنى أنا الإمبراطور أرى أن تكون الحكومة فى الصين جمهورية دستورية إجابة لرغبات داخل الإمبراطورية كلها وعملاً بآراء الحكماء الأقدمين الذين كانوا يرون أن العرش تراث عام)) [xxxix].

كان مولد الثورة هادئاً ولكن حياتهم كانت صاخبة فقد إنتشرت الفوضى وتوالت الأحداث والفتن. وكان يوان شى كاى هو القادر على القضاء على هذه الفوضى ولكنه طلب ثمناً لإيقاف الفوضى أن يكون رئيساً للجمهورية وتنازل الدكتور صن عن طيب خاطر ليوان شى كاى عن رئاسة الجمهورية وإعتزل صن السياسة بكرم وعزة نفس.

لكن يوان بدأ يعد العدة ليجعل من نفسه إمبراطوراً جديداً ويجعل من أسرته أسرة حاكمة وبدأ يروج بإن الإمبراطورية هى الوسيلة الوحيدة لمنع تفكك الصين[xl].

وفى عام ١٩١٢م أنشأ صن يات صن حزباً سياسياً هو حزب الكومنتانج أى حزب الشعب القومى، وسعى بالمقابل يوان شى كاى إلى تنظيم أتباعه وأسس حزب الشينبوتانج أى الحزب التقدمى.

وفى نوفمبر عام ١٩١٣م حل يوان شى كاى حزب الكومنتانج باعتباره حزباً مثيراً للفتن، وعمل على إبعاد أعضاء هذا الحزب عن البرلمان وبدأ يوان يمارس سلطات دكتاتورية فعمد إلى القضاء على معارضيه، وقيد حرية الصحافة، وحق الاجتماع، وعين حكاماً عسكريين على المناطق، ونشبت الحروب بين الجنوب المؤيد لصن وبين الشمال[xli].

الفصل الثانى

الصين ما بين الحربين العالميتين وتطور علاقتها الدولية

أولاً : دخول الصين الحرب العالمية الأولى

ثانياً : الصين خلال الحربين العالميتين

ثالثاً : العلاقات الصينية السوفيتية

١ـ التحالف الصينى السوفيتى

٢ـ الصراع الصينى السوفيتى

رابعاً : العلاقات الصينية الأمريكية

١ـ المسألة الكورية

٢ـ مبدأ نيكسون

٣ـ مشكلة تايوان

الفصل الثانى

الصين ما بين الحربين العالميتين وتطور علاقتها الدولية

أولاً : دخول الصين الحرب العالمية الأولى

قبل الحديث عن دخول الصين الحرب العالمية الأولى نشير فى هذا الصدد إلى أن اليابان حينما دخلت الحرب العالمية الأولى دختلها بعد أن اشتد عودها وتبوأت مكاناً دولياً مرموقاً وشعر الحلفاء بخطرها وما يمكن أن تقدمه من جهد حربى . وكانت اليابان ترحب بالحرب لأنه كانت لديها أهداف واضحة وهى أن تحقق ذاتها من ناحية وأن ترث الممتلكات الألمانية فى الصين وفى منطقة المحيط الهادى من ناحية أخرى . والأمر يختلف بالنسبة للصين . فالأخيرة قد تكلبت بمزيد من المعاهدات غير المتكافئة عقب حركة " البوكسرز " ولم تحقق برامج المانشو الإصلاحية التى أعدت على عجل .

لذلك بمجرد نشوب الحرب فى أول أغسطس ١٩١٤ أعلن يوان شيه كاى حياد الصين على أمل الحفاظ على السلم فى منطقة الشرق الأقصى، وكانت الأحزاب السياسية قد بدأت فى الظهور فى عهد يوان شيه كاى، ولكن المشكلة التى قضت عليها فى مهدها هى مشكلة الحرب مع ألمانيا ، ذلك أن ألمانيا كانت قد قامت بنسف إحدى السفن الفرنسية التى تحمل عمالاً صينيين إلى منطقة القتال الأوروبية ، وبادرت الصين إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا وذلك فى مارس ١٩١٧ ثم أعقب ذلك إعلان الحرب على ألمانيا ١٤ أغسطس ١٩١٧ أملاً فى الحصول على مركز دولى أفضل وعلى معونة مالية .بيد أن مساهمة الصين فى المجهود الحربى إلى جانب الحلفاء كانت قاصرة على الجهد البشرى أى على تجنيد ١٩,٠٠٠ صينى كعمال فى الجبهة الغربية بالإضافة إلى تزويد الحلفاء بالمواد الغذائية، والمواد الخام [xlii] .

وبعد انتهاء الحرب بدا التناقض واضحاً فى المصالح الصينية، واليابانية فاليابان كانت تطمع فى الحصول على ممتلكات الألمان فى شانتونج ،وقد رأينا فيما سبق أنها كانت تحظى ببعض المعاهدات السرية التى عقدت أثناء الحرب مع كل من بريطانيا وإيطاليا وفرنسا ، وأستراليا ونيوزلنده ، أما الصين فكانت ترجو أن تكون مكافأتها على جهودها فى الحرب بإسرتجاع إقليم سانتونج . وكان لهذا المكان قدسية خاصة فى قلوب الصينيين إذ أنه مسقط رأس المفكر والمصلح الاجتماعى كنفوشيوس . ولجأت اليابان إلى مناورة بارعة فى مؤتمر فرساى، وتتلخص هذه المناورة فى مطالبة اليابان لمؤتمر الصلح بقبول مبدأ المساواة العنصرية طالما أنها أثبتت مقدرتها على إحراز النصر مع الحلفاء على قدم المساواة ،ولكن الدول الغربية ما كانت لتستسيغ هذا المبدأ . لذلك رأى الرئيس الأمريكى ولسون أن رفض هذا المطلب من جانب اليابان لا يعوضه سوى التسليم لها بالاستيلاء على شانتونج . كان يراود الرئيس ولسون فكرة أن عصبة الأمم سوف يتسنى لها حل مثل هذه المشكلات فى المستقبل [xliii].

ولكن قد نتسائل عن المكاسب التى حققتها الصين نظير مساهمتها فى الحرب ، حقيقة الأمر أن الصين لم تخرج صفر اليدين ، إذ أنها حققت إنضمامها إلى عصبة الأمم بتوقيعها المعاهدة بين الحلفاء والنمسا ، كذلك حصلت الصين نتيجة معاهدة الصلح على المكاسب الآتية :

ـ إنهاء المعاهدات غير المتكافئة التى سبق أن أبرمتها مع ألمانيا

ـ إعفاءها من أقساط غرامة حركة الملاكمين المتبقية عليها لألمانيا قبل نشوب الحرب.

ـ إلغاء الامتيازات الألمانية فى كل من تيان تسن وهنكو .

ـ إلغاء امتيازات حق إمتداد القوانين بالنسبة للمجريين والنمساويين والألمان .

وإذا تأملنا هذه المكاسب لوجدناها ليست كبيرة ،ولكن الأهم من ذلك هو أنها كانت النواة الأولى لإنبعاث الوعى القومى الصينى بقوة وعنف (xliv).

ثانياً : الصين خلال الحربين العالميتين

عرفت هذه الفترة باسم فترة أمراء الحرب ، فقد ظهر نفوذ القادة العسكريين خلالها وخاصة بعد وفاة يوان شي كاى عام ١٩١٦ حيث اضطربت أحوال الصناعة والتجارة واضمحلت لكثرة ما كان يفرضه عليها قائد منتصر بعد قائد .

بالمقابل نجد أن الادارة التى أوجدها صن يات فى كانتون تدعى أنها الحكومة الحقيقية فى حين بقيت الحكومات الأجنبية تعترف بالحكومة الصورية فى بكين ، فى الحقيقة لم يكن لدى الدكتور صن من السلطة الفعلية إلا ما سمح له به القادة العسكريين بطريقة رسمية.

فى عام ١٩٢٠ قام الدكتور صن بتنظيم حزب الكومنتانج واجتمع برلمان خاص فى عام ١٩٢١ وانتخبه بطريقة رسمية رئيساً للجمهورية . ولكن فى عام ١٩٢٢ تم نفيه مرة ثانية إلى شنغهاى ، حيث أيقن أن لا خروج للصين من الفوضى التى تتخبط بها إلا بالإعتماد على مساعدة خارجية ، لذلك نظر إلى روسيا الشيوعية بأمل .

وفى نفس السنة أرسلت روسيا اثنين من أقدر ساستها هما كرخان وأودولف جوف ، وذلك فى مسعى منها لضم الصين للثورة الشيوعية ، اعترف كرخان بشرعية حكومة صن الثورية وبمركزها الدولى ،ونتيجة للمحادثات بين صن يات صن وأدولف جوف عقد اتفاق تعهدت روسيا بمقتضاه بتقديم المشورة إلى الصين فى نضالها من أجل تحقيق الوحدة والاستقلال ولم يكن بالصين حتى عام ١٩٢٤ حزب شيوعى فتسمح صن بإنضمام بعض أعضاء الكومنتانج بصفة فردية إلى الحزب الشيوعى، ولكنه كان كان يرفض انضمام حزبه إلى الشيوعية .

دعا صن يات لفكرة الجامعة الآسيوية ،ولكنه تخلى عن هذه الفكرة ودعا لأفكار معارضة مثل فكرة الاتحاد الإنجليزى الصينى لمعاداة اليابان . وفكرة التحالف مع الاتحاد السوفيتى ضد الدول الاستعمارية ، أن فكرة الجامعة الآسيوية وإن كان صن يات أول من نادى بها ، إلا أن إيمانه بها لم يكن عميقاً ونظر إليها باعتبارها وسيلة لتحقيق هدفه الأساسى وهو إعادة بناء الصين وتوحيدها .

وفى عام ١٩٢٣ أعاد صن تنظيم حزب الكومنتانج تنظيماً أساسياً على نسق الحزب الشيوعى الروسى على شكل خلايا، ووضع على رأس التنظيم ما يسمى بالمؤتمر القومى للحزب، وكان من اختصاصه الإشراف السياسى ، كما اختير صن ليكون رئيساً للحزب مدى الحياة ، ويعتبر رأيه هو الراجح فى اللجنة المركزية كما يحق له الاعتراض على قرارات المؤتمر .

بدا واضحاً تأثر صن بالمذاهب الاشتراكية فقام بإعادة توزيع الأراضى على أساس المساواة فى الملكية .

وفى يناير ١٩٢٤ اجتمع مؤتمر الكومنتانج وأعد دستوراً للصين على أساس الحزب الواحد ، وأجرى تأسيس جيش وطنى جديد، وأكاديمية للعلوم العسكرية بإشراف سبعين من الضباط السوفييت ،وقد تم ذلك تحت إشراف تشيانج كاى شك الذى كان أمين سر صن يات السابق ،وقد ظهر أثر هذه القوة العسكرية حينما تمكنت بسهولة من إخماد ثورة قام بها تجار كانتون الذين ثاروا ضد تألف صن مع الشيوعيين .

وفى ٢٥ مارس ١٩٢٥ توفى صن بعد أن وقع على وصيته التى حث فيها على الدعوة للتعاون مع السوفييت .

وبعد وفاة صن انحصرت الزعامة بين وانج تشنج واى صديق صن، وزعيم الجناح اليسارى فى الحزب، وبين تشيانج كاى تشيك القائد العام لجيوش الكومنتانج الذى كان يخشى الشيوعيين ويشك فى نواياهم .

واستطاع تشيانج أن يبعد وانج، وأن يستلم رئاسة اللجنة الدائمة بالهيئة التنفيذية المركزية ويتفرد بالسلطة .

وفى منتصف عام ١٩٢٦ بدأت الحكومة حملتها العسكرية لإعادة توحيد الصين وتقدمت القوات العسكرية نحو الشمال ، حتى أن جميع المقاطعات سلمت إلى تشيانج كاى شيك دون مقاومة .

قام تشيانج بانقلابه ضد الشيوعيين فى أبريل ١٩٢٧ معتقداً أن باستطاعته القضاء عليهم وأن هذه العملية ستؤى إلى توحيد الصين وتحقيق السلام فيها . ولم يكن تفكير تشيانج صائباً ، فلم يستطع هذا الإنقلاب القضاء عليهم ، فهربوا إلى الجبال وأعادوا ترتيب صفوفهم استعداداً لتخليص الصين من حكم شبانج والطبقة الإقطاعية المسيطرة على الصين .

لم تكن إمكانيات تشيانج كافية للقضاء على الشيوعيين، ولم يكن تحالفه مع القوى الرأسمالية، والإقطاعية ينال رضى الطبقات الشعبية ، وبالتالى فإن السلام الذى أراده تشيانج بعد انقلاب عام ١٩٢٧ لم يتحقق بل ساد الصراع بين الكومنتانج، والشيوعيين فى الداخل، وبين اليابان والصين فى الخارج .

وفى السنة نفسها قامت قوات الشيوعيين بمهاجمة جماعات الاجانب الموجودين فى نانكنج لإحراج مركز تشيانج كاى شيك الذى طلب مساعدة التجار وأصحاب المصانع ، ثم هاجم هؤلاء اليمينيون فى حزب تشيانج السفارة الروسية فى بكين وعثروا فيها على وثائق تثبت وجود خطة شيوعية ترمى إلى إقامة حكومة شيوعية فى الصين . وفى أواخر صيف عام ١٩٢٧ كان حزب تشيانج قد توطدت أركانه فى الصين .

فى نهاية عام ١٩٢٧ تزوج تشيانج كاى شيك من أرملة الزعيم صن وتحالف مع أنصاره ،وفى ربيع عام ١٩٢٨ زحف تشيانج نحو الشمال ،وحاول اليابانيون انقاذ مركزهم فى شمال الصين بسد الطريق على تشيانج بواسطة قوات يابانية ،ولكن تشيانج تمكن من ارغام اليابانيين على الانسحاب . واحتلت قوات الكومنتانج بزعامة تشيانج بكين وأصبحت الصين دولة موحدة فى ظل حكومة واحدة، واحتفظ تشيانج كاى شك بزعامة الحزب، والقيادة العامة للجيوش الوطنية .

وفى عام ١٩٢٩ عقد مؤتمر لمناقشة الخطط الكفيلة بتخفيض الجيوش . ولكن القادة العسكريين أعلنوا تمردهم، واستطاع تشيانج أن يخمد حركتهم عام ١٩٣٠ الأمر الذى جعل تشيانج يتفرغ لمحاربة الشيوعيين . [xlv]

وفى ليلة ١٨ سبتمبر ١٩٣١ وقع انفجار بالقرب من مدينة مكدن فى القسم اليابانى من خط سكة حديد منشوريا الجنوبية ،وكانت مناسبة استغلتها القوات اليابانية لاحتلال جميع المدن الكبرى فى جنوب منشوريا ثم تابعت احتلال كل منشوريا لتعلن قيام دولة منشوكو المستقلة والتى تتبع فى سياستها اليابان . وبعد حوالى السنة عقدت اليابان معاهدة تحالف مع دولة منشوكو التى أقامت فيها حكومة صورية برئاسة بويى آخر إمبراطور صينى .

ويعتقد الكثير أن حادث الانفجار الذى وقع فى منطقة النفوذ اليابانية إنما هو حادث مدبر قام به أحد الضباط اليابانيين لتكون مناسبة للاحتلال اليابانى للصين ،وقد نجح هذا الحادث فى تحقيق أهدافه، واتخذته القوات اليابانية ذريعة لاحتلال منشورياً .

ولا شك أن العوامل الاقتصادية والعوامل الاستراتيجية والعوامل النفسية كانت هى الدوافع الأساسية وراء احتلال اليابان لمنشورياً .

فمن الناحية الاقتصادية نجد أن إنشاء الصين خطاً حديدياً فى منشورياً ينافس الخط الحديدي اليابانى فى المنطقة كان تهديداً واضحاً للمصالح الاقتصادية اليابانية . بالإضافة إلى إن الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وعدد من الدول الأوروبية كانوا قد تنازلوا للصين عن امتيازاتهم الخاصة بالتعريفة الجمركية ، أى أ ن الصين بدت وكأنها على وشك أن تتحكم بإراداتها الأمر الذى يهدد الناحية الاستراتيجية لليابان .

أما من الناحية النفسية فإن تحقيق القوات اليابانية انتصارات عسكرية أمر يقوى الشعور الوطنى عند الشعب اليابانى، وبالتالى يزداد أنصار نزعة استعمال القوة عند العسكريين اليابانيين [xlvi].

كان نجاح اليابان فى التوسع فى منشوريا واحتلالها ، حافزاً لها للقيام بمزيد من التوسع فى الصين وإكتمال فكرة إقامة امبراطورية فى شرق آسيا تحت قيادتها وهو ما جرت تسميته بالنظام الجديد أسوة بالنظام الجديد الألمانى ، الأمر الذى مهد بعد ذلك لقيام المحور . لقد أعلنت اليابان عن إقامة نظام جديد فى شرق آسيا عام ١٩٣٨ وكان لهذا الإعلان، ولقيام دولة منشوكو رد فعل عنيف فى الصين ، فقد ثار الرأى العام الصينى ضد حكومة الكومنتانج، واستغل الشيوعيون ذلك لكسب المزيد من الأنصار . بالمقابل فإن تشيانج كاى شيك قام بعدة حملات مركزة لإبادة الشيوعيين فى الفترة من عام ١٩٢٧ وحتى عام ١٩٣٦ ووجه الحملات ضد قواعدهم اعتقاداً منه بأن سلطته لن تكون فى أمان مالم يقض بالكامل عليهم .

وبالنسبة للغزو اليابانى للصين فكان شعار تشيانج " الوحدة قبل المقاومة " أى ضرورة العمل على توحيد البلاد وتقويتها قبل مقاومة اليابان وهذا يعنى ضرورة القضاء على الشيوعيين قبل تحرير منشوريا . ولكن هذه السياسة لم تثمر ، بل بالعكس فإن الفكر الشيوعى القائل بضرورة إقامة جبهة موحدة لمقاومة اليابان هو الذى ساد ، بل إن الصينن الشيوعيين استطاعوا اختطاف شيانج، ولكن الحزب الشيوعى الصينى افرج عنه تنفيذاً لقيام جبهة موحدة ضد اليابان .

لقد تجاهل شانج الهجوم اليابانى، وانصرف لمقارعة الشيوعيين ، ومع ذلك فقد منيت قواته بهزائم فادحة وظهر عجز شيانج أمام قوات الشيوعيين الذين لم يعتبروا مسؤولين عن الاجتياح اليابانى للمنشوريا ، بعكس الكومنتانج حزب شيانج الذى أظهر نفسه أمام المواطن الصينى بإنه يعمل لتحرير البلاد من الإقطاع والرأسمال، ولكنه كان يتعامل معها فى الحقيقة ، لذلك نجد أن جماهير الشعب الصينى ساندت الشيوعيين، وتعاطفت معهم نتيجة ما كان يلحق بهم من تنكيل فى حملات الإبادة التى كان يشنها عليهم شيانج كاى شيك .

وجد الشيوعيين الفرصة سانحة أمامهم للقيام بالدعوة إلى جبهة متحدة لمقاومة الابان وكان هذا يحقق لهم أكثر من هدف ، فمن جهة يوقف حملة تشيانج كاى شيك ضدهم من ناحية ثانية يجبروه على الاعتراف بهم كقوة سياسية داخلية بعدما كان يعمل على إبادتهم، ومن ناحية ثالثة ظهر الشيوعيون وكأنهم هم الوطنيون الذين يدافعون عن البلاد ضد الغزو اليابانى ونجحوا فى ذلك فارتفع عدد قواتهم إلى ٤٥ ألف جندى ، وراح ماوتسى تونج يغرس فى نفوس الجيش مبادئ الانضباط العسكرى والحزبى ،ودعا جميع طبقات الشعب للنضال والتحرير الأمر الذى جعل اليابانيون يدركون أن عدوهم الحقيقى هو الحركة الشيوعية الصينية وليس تشيانج كاى شك .

الواقع أن العدوان اليابانى على الصين قد أتاح للشيوعيين فرصة نادرة استطاعوا استغلالها لتطوير قوتهم وتوسيع قواعدهم مما أدى إلى سيطرتهم على الصين بعد ذلك .

ويمكن تقسيم فترة المقاومة الصينية الشيوعية للإحتلال اليابانى إلى ثلاث مراحل هى :

١ـ المرحلة الأولى ١٩٣٧ ـ ١٩٤٠ وتنقسم إلى قسمين القسم الأول دام سنتين عندما قامت اليابان بتوجيه ضرباتها ضد الكومنتانج لاعتقادها بانهم الأهم ، ولكن بعد ذلك قامت اليابان بتوجيه ضرباتها ضد الشيوعيين الذى تضاعف عددهم عشرين مرة خلال أربع سنوات

٢ـ المرحلة الثانية ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ وفيها شددت اليابان هجماتها ضد الشيوعيين وكبدتهم خسائر فادحة ويعيد ماوتسى تونج سبب هذه الخسائر إلى استخفاف الشيوعيين باليابان وأتباعهم الحرب النظامية بدلاً من حرب العصابات ، وكذلك فإن تشديد الكومنتانج ضرباته على الشيوعيين فى هذا الوقت أدى لإضعافهم .

٣ـ المرحلة الثالثة ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥ فى هذه المرحلة إزداد عدد الحزب الشيوعى إلى ٩٠٠ ألف وبلغ عدد مقاتليه ٢,٢٧٠,٠٠٠ وبلغ الجيش ٤٧٠ ألفاً، وفى هذه المرحلة ركزت اليابان على قواعد الحزب الشيوعى .

من هنا يظهر لنا وجود اتجاهان فى الصين لمقاومة الغزو اليابانى : الاتجاه الأول نادى بالتحرير قبل التوحيد، وقبله تشيانج كاى شك ،والاتجاه الثانى تزعمه الشيوعيون الذين طالبوا بالتوحيد، وضرورة إقامة جبهة وطنية لمقاومة اليابان . وقد اضطر تشيانج للموافقة على الاتجاه الثانى الشيوعى بعد ما لحق بحزبه الكومنتانج خسائر فادحة فى حين استغل الشيوعيون هذه المرحلة ليكتسبوا المزيد من الشعبية .

فى جهة أخرى من العالم كانت الولايات المتحدة تشترط على اليابان الجلاء عن الصين ـ بعد عدوانها عام ١٩٣٧ ـ فعادت علاقاتها الودية معها ،ولكن اليابان فى عام ١٩٤١ أعلنت الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية، وتوسعت فى الأراضى الصينية وكوريا وماليزيا وبورما وقطعت بذلك الطريق على الحلفاء من تقديم مساعدات للصين ، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية بحاجة ماسة إلى استمرار المقاومة الصينية لليابانيين أثناء الحرب العالمية الثانية ، واشتد اهتمامها بالنزاع الدائر بين الصينين الشيوعيين والوطنيين . لذلك تقابل تشيانج كاى تشيك مع الرئيس الأمريكى روزفلت والبريطانى تشرشل فى القاهرة للبحث فى طرق مواصلة الحرب وإنهائها مع اليابان .

وفى شهر ديسمبر ١٩٤٤ حضر شوا ين لاى **Chou Ein Lai** الرجل الثانى بعد ماوتسى تونغ إلى منطقة شانكنغ طالباً من تشيانج كاى تشيك تأليف حكومة ائتلافية لكن تشيانج رفض ذلك قبل تقديم ضمانات من الشيوعيين يعلنون فيها خضوعهم لسلطته ، بل إن الزعيم ماوتسى تونج ذهب بنفسه لتوقيع اتفاقيات مع تشيانج كاى شيك، ولكن هذه الاتفاقيات بقيت حبراً على ورق واستؤنفت المعارك بين الشيوعين والوطنيين .

تقدم الوطنيون تجاه الشيوعيين وارغموهم على الانسحاب من عاصمتهم يينان باتجاه الشمال حيث انتشر الشيوعيون، ولم يستطع تشيانج محاصرتهم والقضاء عليهم ، خاصة وأنه كان مشغولاً فى منشوريا الأمر الذى سمح لماوتسى إعادة تسليح قواته بمساعدة السوفييت حتى بلغ مرحلة مساوية لتشيانج فى التسليح .

فى عام ١٩٤٧ أعاد ماوتسى تنظيم قواته وعمل على تحديد أهدافه السياسية وتعليماته العسكرية وتبلورت هذه التعليمات فى الحرب الثورية المتمثلة بالتفرد بوحدات العدو المنعزلة، والتجنب فى دخول العمليات العسكرية المنتظمة مما جعل العدو يستنزف أكبر قدر من موارده المالية [xlvii]

وقدعمل الشيوعيون على توزيع الأراضى الزراعية على الفلاحين ؛ بل إن قوات ماوتسى كان تقاتل كبار ملاكى الأراضى أو تسجنهم ،ولكن ماوتسى منع هذه الأعمال ،وأنشأ اقتصاداً إقليمياً للمناطق الواقعة تحت سيطرته، وأصدر عملة ثابتة، وأصبح الوضع الاقتصادى فى مناطق الشيوعيين هادئاً وثابتاً فى الوقت الذى كان التضخم النقدى عنوان اقتصاد المناطق التى يسيطر عليها الوطنيون .

وفى بداية عام ١٩٤٨ قام الشيوعيون بالهجوم على منشوريا وشانتنج واستعادوا إقليم بينان ،وهرب الكثير من القوات الوطنية . وكانت الروح المعنوية للشيوعيين مرتفعة فلم تحل نهاية عام ١٩٤٨ إلا وكانت الصين تقريباً فى قبضتهم وهرب الوطنيون إلى فرموزا .

وفى عام ١٩٤٩ ، كانت مقاومة الوطنيين قد انهارت أمام ضربات الشيوعيين ففى أول هذه السنة سقطت العاصمة بكين فى أيديهم، وفى سبتمبر ١٩٤٩ أعلن عن قيام جمهورية الصين الشعبية .

إن إصرار الشيوعيين الصينيين على عداوتهم لأمريكا وضعها فى موقف حرج ، بل إن اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالوضع الجديد أصبح أمراً مستحيلاً ، كما أن فرموزا لا تستطيع أن تدافع عن المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية فى الشرق الأقصى ، لذلك رأت الولايات المتحدة أنه من العبث استمرارها فى تأييد تشيانج كاى شيك فى فرموزا .

بعد ثمانية سنوات من الحرب ١٩٣٧ ـ ١٩٤٥ وبعد أن حقق الشيوعيون النصر ، تطلعت الصين إلى إعادة بنائها الاقتصادى ،وقام الاتحاد السوفيتى الذى أصبح دولة صناعية كبرى يتطلع للحصول على نصيبه من الصين [xlviii]

ثالثاً : العلاقات الصينية السوفيتية

تعتبر روسيا أقرب إلى أن تكون دولة من دول غرب آسيا بأكثر من ان تكون إحدى دول شرق أوروبا . وحقيقة الامر ، فإن روسيا حتى فى عصرها الحديث لم تتخل عن سياستها " الشرقية " التى كانت تتبعها منذ زمن القيصرية ،و لقد حقق لها اندفاعها نحو الشرق أراضى شاسعة سوف تكون على نحو ما سنرى عائقاً فى سبيل استمرار العلاقة الممتازة بين الصين وروسيا حتى بعد أن اعتنقت الصين المذهب الشيوعى .

ونلاحظ أن الاندفاعة السوفيتية كانت تتجه رويداً رويداً نحو أواسط آسيا الشرقية لتحتل أراضى هى فى أساسها من أراضى الصين ، وينصب حديثنا على إقليم سينكيانج ومنغوليا الخارجية اللذين يجب أن نضم إليهما المنطقة المسماة كوكو ـ نور ، هذه المناطق يقطنها سكان يتجاوز عددها نحو أربعين مليوناً من البشر .

فبالنسبة لإقليم سينكيانج الذى أصبح يطلق عليه اسم " تركستان الصينية " أو " تركستان الشرقية " . فهذا الإقليم عبارة عن هضبة مرتفعة صحراوية قاحلة ،ولكن الجزء الغربي يرويه نهر تاريم ،وهناك تمتد مساحات مترامية خصبة ومراعى هامة فضلاً عن احتياطات معدنية ضخمة ،ولقد عمل الاتحاد السوفيتى بطريقة منظمة على إخضاع سينكيانج إلى أن استعمرها بكاملها عام ١٩٣٠ . وبعد أن بعث إليها بعدد من قواته وعدد من موظفيه أرسل إليها أفواجاً متتالية قوام كل منها عدة آلاف من عنصر القزف . كذلك عمل الاتحاد السوفيتى على بناء خط سكك حديد تركستان ـ سيبيريا ليربط تركستان الصينية بطشقند فى تركستان الروسية .

أما بالنسبة لمنغوليا الخارجية فإنها متسعة المساحة تزيد مساحتها على مساحة فرنسا ، وهذه المنطقة تستمد قيمتها من إنه ينمو فيها غابات وأعشاب ذات قيمة بالنسبة لرعايا منغوليا . والجدير بالذكر أن منغوليا شأنها شأن إقليم سينكيانج ليس لها قيمة اقتصادية كبرى فى حد ذاتها ولكنها موقع متقدم بالنسبة للأيديولوجية السوفيتية فمن عاصمة منغوليا ـ أولان ـ باتور (أى العملاق أو المحارب الأحمر) يمكن بلوغ مدينة كالجان القريبة من سور الصين العظيم فى ظرف ثلاثة أو أربعة أيام باستخدام السيارات، ومن ثم لا يكون هناك سوى مسافة ضئيلة لبلوغ بكين .

ولقد عملت موسكو بعد سنوات من الدعاية المكثفة لكى يقوم أهل منغوليا بإعلان بلادهم جمهورية أطلق عليها اسم " جمهورية منغوليا الشعبية الخارجية " عام ١٩٢٤ وهذه الجمهورية التى أصبحت مستقلة دخلت فى الفلك السوفيتى وخضعت للنظام النقدى الروسى ،وكونت كوادره من الروس . ومن الغريب أنه فى عام ١٩٢٤ وقعت كل من موسكو وبكين معاهدة " صينية ـ سوفيتية " كان أهم بنودها " إعتراف الحكومة السوفيتية بأن منغوليا تشكل جزءاً مكملاً لجمهورية الصين " ولكن منغوليا الخارجية ألحقت بسيبريا الشرقية ،و صارت بعد ذلك جزءاً من إتحاد الجمهوريات السوفيتية [xlix].

والغريب كذلك أن الحكومة المركزية الصينية لم تعارض فى ضم سينكيانج أو منغوليا الخارجية ،ولا التوغل الروسى فى منطقة كوكو ـ نور الملاصقة لحدودها والتى تقع إلى الجنوب من إقليم سينكيانج مما حمل بعض المؤرخين على التساؤل عما إذا كانت هناك إتفاقية سرية بين الصين وموسكو فى هذا الخصوص .

وعلى الرغم من أن جذور العلاقات بين الصين وروسيا ، أى بين أباطرة الصين وقياصرة روسيا فى القرن السابع عشر لم تكن علاقات مودة بحال من الأحوال ،وظل تاريخ هاتين الأمتين المتجاوزتين منذ ذلك الحين وحتى أوائل القرن العشرين يمثل تاريخ إمبراطوريتين حالة تصادم مستمر ، لذلك فإنه حينما أعلن الزعيم الصينى ماوتسى ـ تونج فى منتصف عام ١٩٤٩ إن الصين سوف تنحاز إلى " جانب واحد " ـ بإتجاه الاتحاد السوفيتى ، ثم حين وقعت بعد ذلك معاهدتها مع روسيا للتحالف العسكرى عام ١٩٥٠ تأكيدًا منها على وحدة النظر للأمور ، ووحده المصالح والأهداف ، فإن ذلك الإعلان لم يكن متمشياً مع طبائع الأمور متجاهلاً الحقائق التاريخية [l]

١ـ التحالف الصينى ـ السوفيتى

لقد تم توقيع هذا التحالف فى ١٤ فبراير ١٩٥٠ حين كان الزعيم الصينى ماوتسى ـ تنج فى موسكو للمشاركة فى مرور سبعين عاماً على ميلاد الزعيم السوفيتى ستالين . وظل كل من الزعيمين منهمكاً فى التفاوض لإبرام معاهدة ترمى إلى إستبدال المعاهدة القديمة التى كان قد أبرمها الاتحاد السوفيتى مع تشاينج كاى شيك على عجل يوم تسليم اليابان . أما هذه المعاهدة الجديدة التى وقعها كل من فيشينسكى عن الاتحاد السوفيتى ، وتشوا ين ـ لاى عن الجانب الصينى فكانت تنص على ما يلى :

" إنها معاهدة تحالف وصداقة ،و تعاون متبادل مدتها ٣٠ عاماً قابلة للمد خمسة سنوات إلا فى حالة طلب فسخها قبل موعد إنتهائها بسنة " وتعهد الطرفان فى ستة مواد باتخاذ كافة التدابير التى من شأنها تجنب عودة اليابان إلى القيام بأعمال عدوانية " أو أية دولة أخرى تنضم إلى اليابان بصفة مباشرة أو غير مباشرة لهدف عدوانى " . وفى هذه الحالة يهب الطرف الأول لمساعدة الطرف الآخر عسكرياً ـ بهدف التعاون لإرساء السلام فى العالم والإسراع فى إبرام معاهدة سلام مع اليابان بصفة مشتركة مع كافة الدولة المعنية . وكذلك نصت المعاهدة على عدم التحالف أو الدخول طرفاً فى اى تحالف موجه ضد الطرف الآخر من المعاهدة ، وأن يجرى التشاور بين طرفى المعاهدة بشأن المشكلات الكبرى التى تتعلق بحفظ السلام فى العالم ، واحترام سيادة وتكامل الطرف الآخر على أساس من المساواة الكاملة .

غير أن النجاح الأكبر الذى حققه ماوتسى ـ تونج كان يكمن فى الملحق الذى أرفق بتلك المعاهدة ، وكان ملحقاً وحيداً يتعلق بتسوية الوضع بالنسبة لخط سكك حديد تشانج ـ تشوان الأمر الذى يعنى ربط مصير منطقتى جنوب منشوريا وشرقى الصين معاً ، وكذلك مصير ميناء بورت آرثر ودايرين . ففى مقدمة هذه الوثيقة لم يتردد ماوتسى تونج فى الإعلان عن أن الأوضاع " قد تغيرت تغيراً جذرياً منذ عام ١٩٤٥ .فها هى اليابان قد تمت هزيمتها ،وها هو الكومنتانج لم يعد قائماً وها هى ذى جمهورية صينية شعبية صديقة للإتحاد السوفيتى قد ولدت من جديد .... وأن الإتحاد السوفيتى يتعهد بالتنازل للصين عن كل حقوق الملكية على الخط الحديدى " بمجرد توقيع معاهدة سلام مع اليابان " ، "وإن ذلك لن يتعدى فى كافة الأحوال ٣١ ديسمبر ١٩٥٢ " . كذلك قبل الاتحاد السوفيتى بنفس الشروط ولنفس المهلة والتاريخ وإنسحاب قواته من بورت آرثر ،وأن يسلم للصين كافة المؤسسات المتعلقة بالميناء ، أما بالنسبة لمصير ميناء دايرين فلم يتحدد تماماً ،ولكن تم النص على أن تكون إدارة الميناء بكاملها من الصينيين .

واستكمالاً للمعاهدة تم إبرام إتفاقية تنص على منح الصين قرضاً بمبلغ ٣٠٠ مليون دولار مدته خمس سنوات بسعر فائدة ١ % لبناء الصناعات الثقيلة والمناجم والسكك الحديدية ، ويجرى سداد القرض على مدى عشر سنوات بمواد خام صينية مثل الشا ، وبالدولارات الأمريكية [li].

كذلك تم تبادل ثلاثة مذكرات أو كتب متبادلة بين فيشينسكى Vichinsky وشوا ين ـ لاى . المذكرة الأولى تلغى المعاهدة المبرمة بين الاتحاد السوفيتى وحكومة الصين الوطنية بتاريخ ١٤ أغسطس ١٩٤٥ . والثانية تتضمن اعتراف الدولتين باستقلال منغوليا الخارجية . أما الثالثة فتتضمن قيام السوفيت بتسليم الممتلكات اليابانية التى كان اليابانيون قد اكتسبوها فى منشوريا ،وكذلك المبانى التى كانت تحتلها البعثة العسكرية السوفيتية فى بكين .

لقد كان هذا التحالف الذى جسدته معاهدة ١٩٥٠ موجهاً فى أساسه ضد الولايات المتحدة واليابان ذلك أن حجر الزاوية فى السياسة الخارجية الصينية ظل خلال العشر سنوات التالية لعام ١٩٤٩ يتمثل فى تحالفها مع الاتحاد السوفيتى . ولم يقتصر هذا التحالف على المجال العسكرى ،و؟إنما شمل العلاقات الاقتصادية والعلمية والتعليمية وعدداً آخر من المجالات المتشعبة ،ولقد كان من أبرز العوامل التى دفعت قادة بكين لتحالفهم مع السوفيت ،وتوثيق روابطهم معهم نظرة أيديولوجية مشتركة . فكان الطرفان يعتقدان أن لهما عدواً مشتركاً ، كما أن ما لديهما من قيم ، ربما يعمل على توحيد البلدين، ويمنع أى تعارض بين المصالح القومية لهما .

على أن هذا التحالف مر بتجربة إمتحان قاسية ، ولما لم ينقض عام كامل على إبرامه حين نشبت الحرب الكورية . ومعلوم أن هذه الحرب بدأت من جانب كوريا الشمالية بموافقة ستالين الذى كان يظن أن هذا الهجوم سوف يتمخض عن حدوث ثورة فى كوريا الجنوبية ، وأن الولايات المتحدة سوف لا تدخل فى هذه الحرب . ولقد أبلغت خطة

هذه الحرب إلى الزعيم ماوتسى ـ تونج الذى لم يكن فى حسبانه تدخل الصين فى هذه الحرب ،ولكن أوضحت الأمور موقف كوريا الشمالية متداعياً ، كما أن الولايات المتحدة تدخلت من جديد فى تايوان لذلك وجدت الصين نفسها مهددة ـ ليس فقط من ناحية كوريا الشمالية التى تمثل نطاقاً عازلاً بالنسبة للصين كما أشرنا فى الفصل السابق ، وإنما وجدت نفسها أيضاً مهددة فى عقر دارها بالخطر ، لذلك بادرت بإرسال موجات من قواتها إلى كوريا بدعوى أنهم من " المتطوعين " .

على أنه بالرغم مما أوجدته الحرب الكورية من توتر فى العلاقات بين بكين وموسكو ليس هنا محل سردها ،فإن الحرب دعمت مكانة الصين ،وعملت على تقوية أواصر العلاقات الصينية ـ السوفيتية . فلقد قامت موسكو ببيع كميات ضخمة من الأسلحة والمعدات ،وعملت على " تحديث " الجيش الصينى بها . كذلك أدى الدعم السوفيتى للصين إلى ردع الأمريكيين عن تصعيد القتال ، كما ثبت ذلك من عزم واشنطن على شن هجوم مباشر على الصين أو إستخدام الأسلحة النووية ضدها .

ومن الناحية الاقتصادية والفنية نرى موسكو ،وقد أخذت على عاتقها مساعدة الصين بالتجهيزات ،والمعلومات التكنولوجية . فقامت بإنشاء ما يزيد على ٤٠٠ مشروع صناعى كان من بينها نحو ٢٥٠ ـ ٣٠٠ مشروع صناعى ضخم . وخلال الخمسينيات قدم إلى الصين ١٠. ٨٠٠ خبير وفنى سوفيتى . وطبقا للمصادر السوفيتية ، فإن الاتحاد السوفيتى زود الصين بنحو ١٤,٠٠٠ مجموعة متكاملة من الوثائق العلمية والتكنولوجية ذكرت هذه المصادر أن قيمتها تساوى مليارات من الدولارات . ومن ناحية أخرى فإن موسكو باعت لبكين ما قيمته ١,٢ مليار دولار من التجهيزات الفنية بما فى ذلك نحو ١٦٦ مشروعًا من المشروعات الصناعية الهامة .

ولم يقتصر التعاون بين البلدين على هذا المجال ، فقد تم تدريب ٧٠٠٠ صينى فى المشروعات السوفيتية المختلفة ، وكذلك فى ظل خطة تعاون علمى بين البلدين تم تدريب نحو ١٠٠٠ شخص من الأكاديمية العلمية الصينية فى الأكاديمية السوفيتية إلى جانب تدريب نحو ١٥٠٠ فنى صينى فى الاتحاد السوفيتى بالإضافة إلى قيام الروس بتقديم المساعدات فى إعادة تنظيم نظم التعليم الصين على النسق السوفيتى .وبعد حلول عام ١٩٦٠ كان قد تم تدريب ١٧٠٠ مدرس صينى فى الاتحاد السوفيتى ، والتحق ١١,٠٠٠ طالب صينى بالدراسات العليا فى جامعات الاتحاد السوفيتى .

ولقد كان واضحاً منذ البداية أن الصين تمثل الشريك الأصغر فى هذه العلاقات فى حياة ستالين ، فقد أصر السوفيت على سيطرتهم وتفوقهم من خلال التحالف وكان على الصينيين أن يقبلوا هذه السيطرة وهذا التفوق ،وإن يقنعوا بوضع التابع . وكان السوفيت يولون الأهمية الأولى لمصالحهم القومية صراحة فى أغلب الإتفاقات التى تتم بين الطرفين الأمر الذى انتقده خروشوف فيما بعد حينما أشار إلى أن هذا الأسلوب المتعالى الذى إتبعه سلفه ستالين فى العلاقات مع الصين قد أساء إلى هذه العلاقة ،وأنه ربما لو لم يكن ستالين قد وافته المنية عام ١٩٥٣ لكان الشقاق قد أصاب العلاقة بين البلدين بالضرر فى مرحلة مبكرة عما تمت فيه .

على أن بذور الشك قد وضعت حينما طلبت موسكو مقابلاً للدعم العسكرى للصين، وتمثل ذلك فى طلبهم حقوقاً خاصة فى خطوط سكك حديد شانجشون (Changchun) ، وفى ميناء بورت آرثر ، وفى منشوريا ، فضلا عن طلب إقامة شركات مساهمة مشتركة فى كل من منشوريا وسينكيانج . ونظراً لأن الحرب الكورية كانت لا تزال تدور رحاها على قدم وساق ، فإن الصينيين كانوا يعتقدون أن مد أجل امتيازات الروس فى بورت آرثر ،وما طلبته موسكو هى أمور لازمة للدفاع عن الصين[iii].

على إنه من العجيب أن زيادة العلاقات فى المجالين السياسى والاقتصادى كان مدعاة لحدوث الاحتكاكات بين البلدين ، فالروس كانت لديهم الرغبة لتقديم مساعدات إقتصادي كبرى، ولكن اشترطوا فى مقابل ذلك قيام الصين بسداد قيمة هذه المعونات . فأثناء الزيارة التى قام بها ماوتسى ـ تونج لموسكو فى أوائل ١٩٥٠ وافق الروس على منح الصين مبلغ ٣٠٠ مليون دولار كسلفة للتنمية يجرى تقديمها على خمس سنوات وأن يتم سدادها خلال العشر سنوات التالية بسعر فائدة منخفضة هى ١ % وفى عام ١٩٥٤ قدم الروس معونة أخرى قيمتها ١٣٠ مليون دولار، ولكن هاتين السلفتين كانتا السلفتين الوحيدتين طويلتى الأمد اللتين قدمهما السوفيت للصين، وتم الإعلان عنها على مدار عشر سنوات كاملة . والأكثر من ذلك كان إصرار الروس على دفع قيمة الامدادات العسكرية التى يتلقاها الصينيون أثناء الحرب الكورية .

على أن السوفيت كانوا ينظرون إلى دعمهم المالى للصين على أنه معونات سخية ذلك انه لم يسبق لهم التعود على منح مساعدات إقتصادية على نطاق واسع إلى أى نظام حكم سواء كان ذلك النظام شيوعياً أم غير شيوعى . أما الصينيون فقد كانت نظرتهم للدعم المالى السوفيتى أنه ضئيل للغاية خصوصاً وأن السوفيت طلبوا من الصينيين ليس فقط دفع قيمة التجهيزات الصناعية ،ولكن أيضاً دفع قيمة المساعدات العسكرية الروسية لهم مما جعل الصينيين يتحملوا فى حقيقة الأمر عبء الحرب الكورية وحدهم .

غير أن انتهاء الحرب الكورية من ناحية، ووفاة ستالين عام ١٩٥٣ من ناحية أخرى عمل على إحداث تغييرات هامة فى العلاقات بين البلدين . وكان أبرز هذه التغييرات اتجاه الزعماء الجدد فى موسكو عن عمد إلى جعل العلاقات بين البلدين أكثر مساواة والعمل على إزالة ما علق بها من شوائب . فقد عملت الزيارة التى قام بها خروشوف وبولجانين عام ١٩٥٤ للصين على خلق فترة تتسم بالود المتبادل، وقام السوفيت بمنح قرض جديد للتنمية فى الصين ، ثم عمد القادة السوفيت الجدد أيضاً إلى إنهاء الحقوق الخاصة التى حصلوا عليها من الصين ١٩٥٠ والأكثر أهمية من كل ذلك أنهم أظهروا احترامهم للكبرياء الصينى . بل إنه فى عام ١٩٥٥ بلغ الحد ببعض القادة السوفيت بمن فيهم مولوتوف إلى الإشارة إلى أن الكتلة الشيوعية يتزعمها كل من الاتحاد السوفيتى والصين .

٢ ـ الصراع الصينى السوفيتى

على الرغم من أن بوادر التوتر فى العلاقات بين الصين والاتحاد السوفيتى بدأت فى أوائل الخمسينيات من هذا القرن إلا أن الصراع المكشوف بينهما لم يتفاعل بصورة جدية إلا فى النصف الثانى من الخمسينيات ،ولم يتبلور فى صورة صراع أيديولوجى علنى إلا عند حلول الستينيات .

على أن هناك عدة عوامل أسهمت فى تفاقم هذه العلاقات ، لكن العامل الأهم هو مسألة الأمن العسكرى الذى مر فى حقيقة الأمر بمراحل ثلاث وهى : الفترة من ١٩٥٧ ـ ١٩٥٩ حينما أسفر توتر العلاقات عن تولد الشك لدى الطرفين ، ثم الفترة من ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ حينما صار التحالف الصينيى ـ السوفيتى مفرغاً تماماً من مضمونه ، وأخيراً الفترة من ١٩٦٧ ـ ١٩٦٩ حينما تحولت المواجهة السياسية بين البلدين إلى مواجهة عسكرية.

ويرى الصينيون أن بداية الصراع الحقيقى حدث عندما ألقى خروشوف خطابه المشهور فى عام ١٩٥٦ الذى تضمن الهجوم على ستالين .وفى رأيهم أن خروشوف كان ينبغى أن يستشيرهم أو أن يفصح لهم عن نيته قبل إلقاء ذلك الخطاب فى حين أن الروس كانوا يعتقدون أن هجومهم على ستالين هو أمر يخصهم وحدهم . ويذهب الصينيون إلى القول بأن هذا الخطاب كانت له أصداء واسعة بالنسبة للصين، وبالنسبة للكتلة الشيوعية بأسرها . وأشد ما أصاب الصينيين بالانزعاج من خطاب خروشوف هو تأكيده على عدم حتمية الحرب ، وبإمكانية التحول إلى الاشتراكية بغير

عنف ، وترويجه لفكرة التعايش السلمى (Peaceful Co- existence) واعتبار كـل هـذه المفـاهيم الجديـدة بمثابـة أساس للسياسة السوفيتية . فلقد كان النموذج الثورى حسب مفهـوم الـزعيم ماوتسى- ـ تـونج يعتمـد عـلى العنـف، وفضلاً عن ذلك فإن هذه الأفكار التى طرحها خروشوف كانت تتضمن الرغبة فى التوصل إلى حـل تـوفيقى مـع الـدول الرأسمالية، وعلى وجه الخصوص مع الولايات المتحدة بكيفية جعلت بكين تشعر بان وضعها سـوف يصـيبه الـوهن فى مواجهتها مع الولايات المتحدة وعلى وجه أخص بالنسبة لموضوع تايوان .

على أنه لا ينبغى لنا أن نغفل أثر الاضطرابات التى حدثت فى عام ١٩٥٦ ـ فى بولندا أول الأمر ، ثم بعد ذلـك فى المجر، إذ كان رد الفعل الصينى تجاه هذه الأحداث إن ادخلوا أنفسهم بطريقة مباشرة فى شؤون شرق اوروبا ،وعملـوا على بلورة فكر شيوعى صينى فى مواجهة الأحداث السياسية التى تواجه العالم الشيوعى .

وإذا ما استعراضنا أهم الأحداث التى تجلى فيها الخلاف بين البلدين ، فإننا نشير إلى أن خروشوف كان قد عقـد العزم على تحقيق توازن استراتيجي مع الولايات المتحدة من جهة ،وعلى تقليل مخاطر نشوب حرب نوويـة مـن جهـة أخرى ـ الأمر الذى أملى عليه تدبير سياسة سوفيتية جديدة صوب الولايات المتحدة . ولقد أسـفرت جهـود خروشـوف عن سياسة التعايش مع المعسكر الغربى التـى تطـورت بـدورها لمـا سـمى بـالانفراج (Détente) والـذى بلـغ ذورتـه بزيارته إلى واشنطن عام ١٩٥٩ .

ولقد كانت الصين تنظر بعين القلق إلى هذا الانفراج باعتبار أنه سوف يلحق الضرر بالمصالح الصـينية فى منطقـة تايوان، وغيرها . ومن هنا كان اتجاهها لمعارضة هذا الانفراج . ومن جهة أخرى كان الإتحـاد السـوفيتى باعتبـاره قـوة نووية كبرى يخشى من احتمال أن تتفجر الصراعات العسكرية المحلية وتتحول إلى مواجهة بـين القـوى الأعظـم ولكـن الصينيين الذين لم يكن يروقهم استمرار الأوضاع على ما هى عليه فكانوا يرون أن الصراعات المسلحة المحلية أمـر لازم لا غنى عنه بالنسبة لنجاح الثورات وكانوا يرون أن استعادتهم لجزيرة تايوان يستدعى تضـافر قـوى الصـين والاتحـاد السوفيتى معاً لمباشرة الضغط المنشود على الولايات المتحدة [liii].

بعد وفاة ستالين أيقن ماوتسى ـ تونج انه لابد من بناء قوة نووية صينية وبعد أن أعطى ماوتسى ـ تـونج إشـارة البدء لما أسماه " بالقفزة الكبرى إلى الأمام " فى عام ١٩٥٨ قال محذراً : " إنـه يمكننـا أن ننـتج قنابـل ذريـة فى فـترة لا تتجاوز العشر سنوات " . واعتقدت الدول الغربية أن ذلك كان من قبيل التصريحات الدعائية ولم تأخذها مأخذ الجد

ولكن بعد خمس سنوات أخرى أى فى عام ١٩٦٣ أعلن أحد القادة العسكريين الصينيين قوله " إن رئيس الـوزراء السوفيتى نيكيتا خروشوف إدعى يوماً من الأيام أن الأسلحة الذرية مكلفة جداً بحيث لو فكرت الصين فى إنتاجها فإن ذلك سوف يكلفها غالياً وبحيث لا يتبقى لديها من الأموال ما يكفيها لإنتاج البنطلونات لسكانها . وأنا أقول اليوم أنه يتحتم علينا إنتاج هذه الأسلحة ونحن نلبس البنطلونات أو بدونها " . ولم تنقض سوى سنة واحدة حتى فجرت الصين قنبلتها الذرية الأولى فى ١٦ أكتوبر ١٩٦٤ .

ويرجع هذا النصر النووى إلى أنه ابتداء من عام ١٩٥٠ أخذ الجـيش الصـينى عـلى عاتقـه السـيطرة عـلى علـوم الطبيعة النووية وتولى شواين ـ لاى مهمة الإشراف على هذا المشروع . كذلك سيطر الجيش الصينى على عملية حشـد العلماء الصينيين الذين كانوا لا يزالون مقيمين خارج الصين، وكانوا حينذاك نحو عشرة آلاف كان من بينهم أربعة آلاف أعمارهم (ما بين ٣٥ ـ ٤٥ سنة) فى جامعات، ومعاهد أبحاث فى الولايات المتحدة الأمريكية .

ويهمنا الآن التعرف فى هذا المجال على الإسهام السوفيتى ، نظراً لأن عدم وفاء السوفيت فى نظر الصينيين بما تعهدوا به سوف يتحول إلى قطيعة بسبب الشكوك المتبادلة . ففى بادئ الأمر لم يدخر الاتحاد السوفيتى وسعاً فى تقديم الحاسبات الإليكترونية، والمفاعلات النووية فى نفس الوقت الذى كان فيه علماء الذرة السوفيت يلقنون هذه العلوم فى الكليات الصينية . وتم إرسال عدد من الطلبة الصينيين إلى المعاهد، والمعامل السوفيتية خصوصاً فى دوبنة (Dubna) وتم على أيديهم إعداد أكثر من ٣٨,٠٠٠ متخصص صينى فى هذا المجال فى معاهد الاتحاد السوفيتى وكان من بينهم ١٣٠٠ عالم بالإضافة إلى ٧٥٠٠ طالب .

بالإضافة إلى ذلك شرع الاتحاد السوفيتى منذ عام ١٩٥٦ فى بناء أول مصنع للعزل النووى على شاطئ النهر الأصفر حيث تم استكشاف أكبر إرسابات من اليورانيوم عند نقطة لانتشو (Lantceou) وكان الزعيم الصينى ماوتسى ـ تونج ورئيس الوزراء السوفيتى خروشوف قد وقعا اتفاقاً سرياً فى ١٥ أكتوبر يقضى بتعهد الاتحاد السوفيتى بتقديم مواصفات قنبلة ذرية بصفة عينة من القنابل الذرية السوفيتية وكذلك مفاعلاً ضخماً مع مواد احتراقه حتى تبدأ باكورة إنتاج مصنع لانتشو . وبمقتضى هذه المعاهدة السرية يتعهد السوفيت أيضاً بتوفير غطاء للصين الشعبية ضد احتمالات قيام الأمريكيين بالعدوان على الصين . ولكن بات واضحاً بمرور الوقت أن السوفيت لم يكونوا جادين فى إعطاء بكين أية وسائل استراتيجية هجومية ضد تايوان نظراً لأن ذلك قد يتسبب فى دخول الاتحاد السوفيتى فى صراع مباشر مع الأمريكيين ، لذلك سارع الكرملين فى ٢٠ يونيو ١٩٥٩ ـ وبعد الحملة الصينية الفاشلة على فرموزا ـ إلى فسخ هذا الاتفاق بما ترتب عليه من آثار بالغة فى مستقبل العلاقات بين البلدين .

ولقد أعقب إلغاء هذه الاتفاقية مغادرة الخبراء السوفيت تاركين مصنع لانتشو (Lantcheou) الذى لم يكن ينتج سوى ٢٥ % من اليورانيوم بدلاً مما كان مقدراً وهو نسبة ٩٣ % . وفى هذا الظرف قبل علماء الطبيعة والكيمياء الصينيون هذا التحدى [liv].

وكان الرد الصينى حاسماً . ففى مدينة تشونج كنج (Tchonh – King) تم إعداد مركز تجمع لاستقبال كافة الوثائق العلمية الآتية من كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، وأوروبا على حد سواء بل من العالم أجمع حول كافة المواضيع العلمية مثل الصواريخ، والآلات الفضائية . والحقيقة أن اليابانيين اسهموا بتقديم الترانزستور الذى يستلزم استخدامه فى الحسابات الإلكترونية التى لا غنى عنها للحاسبات الفورية لتحديد مسارات الصواريخ . ولم ينقض عشر سنوات إلا كانت الصين قد استطاعت إعداد ما يقرب من ٦٠٠,٠٠٠ عالم جديد فى هذه الميادين .

بيد أن الخلاف حول الأسلحة النووية كان بلا أدنى شك واحداً من أهم أسباب الصراع العلنى المكشوف بين بكين وموسكو . فالصينيون يرون أن الروس لم تكن لديهم الرغبة الصادقة لدعم الصين لتحقيق مصالحها القومية لتظل معتمدة عليهم عسكرياً، وإن تبقى مستظلة بالمظلة النووية السوفيتية إلى الأبد . ويرى السوفيت أن خروشوف كان قد وطد العزم فى تلك الفترة على أن تكون الأولوية للرقابة على الأسلحة بما فى ذلك السعى نحو منع الانتشار النووى ويصير من المنطقى ـ والحالة هذه ـ أن يوقف الاتحاد السوفيتى مساعداته النووية للصين .

وهناك موضوع عسكرى آخر أطل برأسه فى عامى ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ أسهم فى توتر العلاقات، وزيادة هوة الشقاق بين البلدين . فقد طلبت بكين مساعدات سوفيتية ضخمة لتوسيع، وزيادة قدرات الأسطول الصينى، ولم يستجب السوفيت لهذا الطلب. وقد قام السوفيت بدلاً من ذلك اقتراحاً بإنشاء أسطول صينى سوفيتى مشترك وطلبوا السماح

لهم باستخدام السواحل الصينية للسفن الروسية ، الأمر الذى رفضته بكين ، ثم تطور نزاع الأراضى بين الصين والهند عام ١٩٥٩ ،ولم يقم السوفيت بما توقعته الصينيون منهم كدعم لحليفتهم فى نزاعهم مع الهند ،وبدلاً من أن تقوم موسكو بالضغط على نيولهى ، فإنها أخذت موقف محايداً واستمرت فى تقديم المساعدات للهند.

ومن الجدير بالذكر أن بداية عام ١٩٦٠ شهدت كما اسلفنا الصراع العلنى المكشوف بين البلدين، ولقد كان للصين دور المبادأة فى بداية الستينيات فى هذا الصراع ، وكان ذلك بتدبير شخصى من الزعيم ماوتسى ـ تونج . وقد تضمن هذا الهجوم مقالة ظهرت فى صحيفة الحزب الشيوعى الصينى " العلم الأحمر " أعلنت الغضب على الاتحاد السوفيتى الذى تخلى عن مبادئ لينين ، وعن القيم الرئيسية للشيوعيية . وكان عنوان هذه المقالة " فلتحيا اللينينية " وقد نعتت هذه المقالة السوفيت بأنهم التحريفيون الجدد Revisionnists . ولقد تضمنت المقالة توجيه الأنظار بالدرجة الأولى إلى استمرار الصراع الطبقى ،وإلى الحاجة إلى استخدام العنف وإلى الثورة المسلحة وليس " التحول السلمى " الذى دعت إليه السياسة الجديدة للسوفيت والتى أطلق عليها اسم " التعايش السلمى ".

ويهمنا الآن أن نرى رد الفعل السوفيتى على هذه الحملة الضارية ، لقد تمثل الرد السوفيتى فى ضغط مضاد باتخاذ إجراء " تأديبى " ضد الصين فقد عمد السوفيت فى صيف عام ١٩٦٠ إلى سحب كافة الخبراء السوفيت من الصين ، تلك الخطوة التى كان لها تأثير مدمر على الاقتصاد الصينى ، ولقد كانت ذريعة الروس فى ذلك أن الصينيين اعتباراً من ١٩٥٨ أصبحوا يتجاهلون نصائح المستشارين السوفيت ، وجعلوا حياتهم لا تطاق بالكيفية التى لم يعد أمام السوفيت من سبيل سوى استدعائهم إلى موسكو وقالت موسكو، أن هذا الإجراء لم يكن أمراً مفاجئاً ،وأنه أتى حصيلة سنتين من تصعيد هذه المعاملة السيئة .

وعلى الرغم من أن التهم التى وجهتها موسكو قد لا تخلو من حقيقة ألا أن سحب الخبراء بهذه الكيفية المفاجئة لا يعدو أن يكون اجراء تأديبياً للرد على هذا الضغط الذى باشرته بكين صراحة وربما كان الظن لدى السوفيت أن الصين سوف تستكين لشروطهم ، لكن بكين اتخذت موقفاً اتسم بالعناد والاصرار رغم أن سحب الخبراء أصاب الاقتصاد الصينى بأضرار بالغة فى وقت كان فيه الاقتصاد الصينى يعانى من متاعب جمة نتيجة الاخفاق فى مشروع " القفزة الكبرى نحو الامام " (Great Leap Forward) التى بدأتها الصين فى عام ١٩٥٨ من ناحية، ورداءة الطقس الذى تسبب فى محصول زراعى غير موات من ناحية أخرى . ونشير إلى أن الحزب الشيوعى الصينى كان بمجرد أن تقلد أمور الحكم فى الصين اندفع إلى السعى نحو السيطرة على الأقليات الصينية فى بعض المناطق مثل أراضى القزق والأجور ومنطقة أيلى وعلى المنغوليين فى منغوليا الداخلية . وكان الحزب الشيوعى بإقدامه على هذا العمل يكون قد عمل على انفصام المجموعات العرقية من نفس العنصر عبر الحدود عن بعضها البعض ـ الأمر الذى جعل الاتحاد السوفيتى ، وجمهورية منغوليا تتخذ إجراءات مشابهة . ولما زار خروشوف بكين لأول مرة عام ١٩٥٤ طرح الزعيم الصينى ماوتسى تونج مسألة الوضع القانونى لمنغوليا الخارجية للبحث ،ورفض خروشوف رفضاً قاطعاً مجرد التطرق إلى هذا الموضوع [lv].

ولكن بعد حلول عام ١٩٦٠ كانت الأوضاع قد تبدلت ، وتدهورت العلاقات بين البلدين حتى أصبحت الاحتكاكات على الحدود شديدة الخطورة ، وتدهورت الأوضاع عام ١٩٦٢ حينما هاجرت أعداد ضخمة من القزق والأجور أرض الصين ذاهبة إلى الإتحاد السوفيتى . وظل الحال على هذا المنوال حتى حلول عامى ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ حيث تحولت مسألة الحدود إلى صراع حول الدعاوى المتبادلة بشأن السيطرة على الأراضى . ومن الغريب أن خروشوف قد

ساهم فى هذا الشأن ، ذلك أنه فى ديسمبر ١٩٦٢ أراد الرد على الانتقادات الصينية اللاذعة أثناء أزمة الصواريخ الكوبية فعبر الصينيين ، ونعى عليهم موقفهم المتخاذل فى مواجهة الإدارة الاستعمارية لكل من جزيرة هونج كونج ، ومكاو رغم كونها أرضاً صينية . فما كان من الصينيين إلا أن أثاروا موضوع كافة " المعاهدات غير المتكافئة " التى أبرموها فى الماضى بما فى ذلك المعاهدة المبرمة بينهم وبين الروس ، وقالوا أن شروط هذه المعاهدات ينبغى أن تخضع للمراجعة من جديد . فرد السوفيت بالقول أنه ليس هناك موضوعات قائمة تخص الأراضى تخضع للمراجعة ـ الأمر الذى حمل خروشوف فى نهاية عام ١٩٦٣ بأن يبعث لكافة رؤساء الدول ، والحكومات يحثهم فيه على إبرام معاهدة دولية تستنكر استخدام القوة فى حل المشكلات المتعلقة بالأراضى أو بالحدود القائمة .

ولقد أوضحت الصين أن روسيا القيصرية كانت قد استولت على أراضى صينية تزيد مساحتها على نصف مليون كيلو متر مربع من خلال هذه المعاهدات غير المتكافئة ـ الأمر الذى تنظر إليه الصين فى عهدها الحاضر على أنه لا مبرر له . وقد أشارت الصين إلى أنها قد لا تطالب بكافة الأراضى المتنازل عنها بمقتضى ـ هذه المعاهدات ، إلا أن الاتحاد السوفيتى قد احتل مساحات إضافية حتى " بخرقه لهذه المعاهدات نفسها " .

ولم يقتصر الصراع على هذا الحد من التدهور ، بل أسهمت أزمة الصواريخ الكوبية فى عام ١٩٦٢ كما أسلفنا فى زيادة هذا التدهور . وبعد انتهاء هذه الأزمة اتهم الصينيون الروس بالمغامرة الجامحة ،والعمل على دفع الأزمة ، ثم اتهموهم بالجبن والاستسلام أمام التهديد الأمريكى . على أن مثل هذه الاتهامات حدثت حينما كانت العلاقات السوفيتية ـ الأمريكية فى أخطر مراحلها مما آثار حفيظة الروس وحنقهم على الصينيين . كذلك فإن الروس وجهوا الانتقادات إلى الصين بالمخاطرة الجامحة أثناء نشوب نزاع الحدود بينهم وبين الهند الذى نتج عنه حرب الحدود عام ١٩٦٢الأمر الذى جعل الروس يقدمون الدعم إلى الهنود بتزويدهم بشحنات الأسلحة رغم نشوب هذه الحرب الصينية ـ الهندية .

على أنه تنبغى الاشارة إلى أن الصراع الصينى ـ السوفيتى تصاعد فى عام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ حتى وصل حداً جديداً حرجاً يمكن أن يقال عنه بشئ كثير من الدقة أنه بلغ نقطة اللاعودة . وكان السبب الأكبر والأساسى لذلك متمثلاً فى النزاع بين بكين وموسكو حول التجارب النووية .

ولقد جاءت المبادرة فى هذا السبيل من الجانب الأمريكى الذى قدم اقتراحاً للحكومة السوفيتية ردت عليه بأنها راغبة فى عقد اتفاقات من شأنها الحد من انتشار الأسلحة الذرية وقامت الحكومة السوفيتية بابلاغ ذلك إلى الصينيين . فما كان من بكين إلا أن سارعت إلى إرسال سلسلة من المذكرات إلى موسكو تحذرها فيها بأن الصين سوف " لا تتسامح فى مثل هذه الخطوات الرامية إلى الحد من مشروعاتها النووية . لذلك فإن الاتحاد السوفيتى حينما أقدم ـ بالرغم من هذه التحذيرات ـ على توقيع معاهدة الحد من التجارب النووية (Limited TestBan Treaty) من جانب كل من الولايات المتحدة ، وبريطانيا فى يوليو ١٩٦٣ بادرت الصين بعنف بالغ بشجبها على اعتبار أنها نوع من " الغش " وكانت الاتهامات لواشنطن ، وموسكو على حد سواء وقالت أنهما تحاولان " تكريس احتكارهما النووى ".

على أنه أتت بعد ذلك فترة الهدوء فى التوتر بين البلدين فى خريف عام ١٩٦٣ حينما تم إزاحة خروشوف عن السلطة ،وفى نفس الوقت تقريباً ـ وإن كان بمحض الصدفة ـ قيام الصين بتفجير قنبلتها النووية الأولى مما كان له انعكاسات على العالم بأسره . ثم ما لبثت حرب فيتنام أن أسهمت فى توتر العلاقات بين الطرفين من جديد . ففى عامى ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ كثفت الولايات المتحدة من تواجداها فى فيتنام مما أصاب كلا من موسكو ، وبكين بالانزعاج الشديد .

لقد كان موقف السوفيت من حرب فيتنام ، هو دعوتهم للصينيين من أجل توحيد الجهود لمساعدة فيتنام الشمالية . لكن الصين أصرت على رفض أى تعاون مع السوفيت فى هذا السبيل . بدلاً من ذلك كانت تعمل على إعاقة الجهود السوفيتية لمساعدة فيتنام الشمالية فى الوقت الذى مضت هى فى مساعدة الفيتناميين الشماليين ضد العدوان الأمريكى . ثم بعد ذلك نجد الصين خلال عام ١٩٦٦ وانغمست فى صراعات سياسية داخلية سببتها الثورة الثقافية . ولقد انعكس أثر هذه الاضطرابات الداخلية على السياسة الخارجية الصينية ، حيث اتخذ قادة بكين موقفاً ثورياً متصلباً ،واتجهوا نحو الداخل إلى أحكام نوع من العزلة المطلقة ـ الأمر الذى جعل علاقات الصين مع غالبية الدول ـ بما فيهم الاتحاد السوفيتى ـ تصل إلى أدنى مستوى لها خلال الفترة من ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ . وقد تجلى ذلك فى قيام الحرس الاحمر الصينى بمحاصرة السفارة السوفيتية فى بكين .

وقد تمت الاشارة إلى أن احتلال السوفيت لتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ قد أصاب الصين بنوع من الانزعاج الشديد حيث كانت هذه الواقعة تشكل فى نظرهم سابقة خطيرة باحتمالات التدخل السوفيتى فى الصين . ثم بلغت مخاطر الصدام بين البلدين أوجها فى عام ١٩٦٩ حين حدثت مصادمات عسكرية خطيرة مرتين : واحدة فى ٢ مارس ،والأخرى فى ١٥ من نفس الشهر فى منطقة شنباو (Chenpao) وكان يمكن لهذه الاحداث أن تعمل على نشوب الحرب . غير أن الطرفين أدركا الوضع قبل أن يصل إلى حافة الهاوية .

ومنذ عام ١٩٦٩ تجمد الوضع بين البلدين نتيجة السعى نحو حل الأزمة بين الطرفين حول الحدود . وهدأت حدة الأزمة . ثم بحلول عام ١٩٧٤ بدأت حكومتا البلدين بإصدار تلميحات يفهم من ثناياها أن العلاقات بينهما قد تطورت إلى أحسن . وفى شهر نوفمبر ١٩٧٤ فاجأت بكين العالم أجمع بأن بعثت برسالة إلى موسكو تقترح فيها إبرام ميثاق عدم اعتداء ،ولكن هذا العرض لم يسفر عن شئ .

ولقد حاول السوفيت من ناحيتهم على مدار عدة سنوات أن يصدروا عدة تصريحات توحى بأنهم على استعداد للتصالح دون أن يغيروا من موقفهم الأساسى . وفى أبريل ١٩٧٦ نشرت صحيفة البرافدا مقالاً هاماً يوحى بالرغبة فى التصالح طالما أن الزعيم ماوتسى ـ تونج قد اختفى من على المسرح . وفى شهر أكتوبر نشرت نفس الصحيفة مقالاً يتضمن تهديد مقنعا للصين بأن ذكرت بأنه ليس هناك من سبب موضوعى للعداء الصينى ـ السوفيتى ، أما التهديد فكان بالقول بأنه ما لم يعثر الزعماء الصينيون الجدد على " لغة مشتركة " للتفاهم مع موسكو خلال الشهر القادم " فإنه سوف لا يكون من الممكن منع صدور قرار لا رجعة فيه من جانب الزعماء السوفيت ـ الأمر الذى آثار وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر ، ودفعه إلى التصريح بقوله بان الولايات المتحدة تعتبر أى تهديد للصين من جانب أية دولة أخرى أمراً خطيراً [lvi] .

وكان من نتيجة هذا الصراع المتصل بين الصين والإتحاد السوفيتى أن صار الوعى يتزايد من كلا الجانبين حول الفجوة الحضارية أو الثقافية التى تفصل بينهما .

ولقد كان الظن لدى قادة كل من البلدين عقب انتصار الثورة الشيوعية الصينية فى عام ١٩٤٩ أنه من المأمول أن يحدث امتزاج حميم بين المجتمعين ، السوفيتى والصينى انطلاقاً من أن القيم السياسية المشتركة فى ظل الماركسية ـ اللينينية سوف تتجاوز الفجوة الحضارية التاريخية بين الشعبين ،ولم يكن غريباً . إذن أن يكون الشعار الذى رفعته بكين عام ١٩٥٢ هو أن " الاتحاد السوفيتى اليوم هو صين الغد " . ولكن يلاحظ من ناحية أخرى أن هذا الشعار كان

من جانب واحد . فلم نسمع عن شعارات سوفيتية مقابلة تدعو إلى أن ينهل السوفيت شيئاً من القيم الصينية . لذلك فإن هذه العلاقة لم تدم طويلاً ، فبمجرد أن ظهرت صراعات المصالح ، غدا واضحاً أن الفجوة الحضارية لم يكن بالمستطاع تجاوزها .

وفى الأونة الراهنة ، أصبح الصفوة من المثقفين فى الصين يشددون على القول بان بلادهم تتمتع بوضوع فريد ،وأنه من المرغوب فيه الحفاظ على قيمتها المتميزة . فمنذ اتصالاتهم الأولى بالغرب خلال القرن التاسع عشر كما سبق أن رأينا كات المشكلة الرئيسية بالنسبة للصين هى كيفية المحافظة على القيم الأساسية فى وجه المؤثرات " التخريبية " الوافدة من الخارج فى نفس الوقت الذى آمنوا فيه بضرورة استيراد المعرفة التكنولوجية ، والعلمية اللازمة لتقوية دعائم الصين ، وتحديث نظمها . وأن كان ذلك متأخراً إذا قورن بالنهضة اليابانية الحديثة فى عصر الميجى .

كذلك سرعان ما أصبح هناك ميل نحو النظر للاتحاد السوفيتى كدولة بيضاء غريبة استعمارية تحمل قيماً غريبة على الصين من ناحية ، وتحدث لها نوعاً من الاضطرابات من ناحية أخرى . ومن المفيد هنا أن نذكر أنه حتى قبل عام ١٩٤٩ وعلى الرغم من الجوار من الناحية الجغرافية فلم تحتفظ الصين بعلاقات حضارية مع الروس ، بقدر ما كانت تحتفظ بعلاقات ثقافية أو حضارية مع الدول البحرية الاستعمارية الأخرى . فلم يكن فى روسيا فى ذلك الحين إلا عدد ضئيل من المعلمين ، والأطباء ، ورجال الإرساليات الروس ، بل إن الروس كانوا أبعد حضارياً بالنسبة لغالبية الصفوة المتحضرة من الصينيين عن بقية الأجانب [lvii] .

رابعاً : العلاقات الصينية الأمريكية

حينما دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الثانية كان الزعيم الصينى الشيوعى ماوتسى- تونج يأمل فى المساعدة الأمريكية للصين ، لقد كان الشيوعيون الصينيون ينظرون ناحية الولايات المتحدة أكثر من نظرهم إلى الاتحاد السوفيتى ، إذ لم يكونوا ينتظرون عوناً سوفيتياً لهم بعد توقيع السوفييت ميثاق حياد مع اليابان ١٩٤١ .

وعند نهاية الحرب العالمية الثانية وجه الصينيون جيوشهم ناحية الشمال الشرقى ومنغوليا ،وسلم السوفييت للصينيين كميات كبيرة من الأسلحة ، وسمحوا لهم بالحلول مكانهم فى الأماكن التى ينسحبون منها فساعد ذلك على سيطرة الشيوعيين على الصين .

اكتنف الغموض العلاقات الصينية الأمريكية عقب الحرب العالمية الثانية ، لأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسعى لدعم الحكومة الوطنية ، ولجذب الشيوعيين للتوصل إلى حل وسط . ولكن هذه السياسة أدت لفشل الولايات المتحدة لأن الوطنيين لم يحسوا بالدعم الامريكى الكامل ، ولأن الشيوعيين لم يحسوا بالحياد الأمريكى الكامل ،و نتيجة لتناقض السياسة الأمريكية التى رفعت عدد قواتها لمساندة لتشيانج كاى شك من ٦٠ ألفاً إلى ١٤٣ ألفاً

١ ـ المسألة الكورية

تعود فى جذورها إلى عام ١٩١٠ عندما احتلت اليابان كوريا بعد انتصارها على الصين وروسيا . ولكن هزيمة اليابان فى عام ١٩٤٥ جعل من كوريا منطقة فراغ سياسى تطمع بها كل من الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتى ، لذلك نجد أن الحلفاء فى مؤتمر وزراء الخارجية الذى انعقد فى موسكو عام ١٩٤٥ يقررون وضع كوريا تحت وصاية الدول الأربع الكبرى الاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة والصين، وبريطانيا على أن تحصل كوريا على استقلالها بعد خمس سنوات من هذه الوصاية .

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لاستمالة كوريا لكى تكون بلداً من ضمن المجموعة الموالية لها ،وكذلك سعى الإتحاد السوفيتى لجعل كوريا منطقة عازلة بينه وبين المعسكر الغربي . من هنا كان تضارب المصالح ، وسعى كل من الدولتين لضمها إلى صفه ، وهذا ما دفعهما لإرسال قواتهما إلى كوريا ،وبعد النزاع تقدمت الولايات المتحدة باقتراح يجعل خط عرض ٣٨ درجة هو الخط الفاصل بين المعسكر السوفيتى فى الشمال ، والمعسكر الامريكى فى الجنوب بما فيها العاصمة سيول .

عرضت الولايات المتحدة الاقتراح على الجمعية العامة للأمم المتحدة التى شكلت لجنة دولية للإشراف على الانتخابات التى تمهد لتأليف حكومة تعمل على جلاء قوات الإحتلال .

وفى ١٠ مايو ١٩٤٨ أجريت الانتخابات ،وأسندت الحكومة إلى سينجمان رى أما فى كوريا الشمالية فقد تألفت لجنة بقيادة كيم أيل سونغ لإعداد مشروع الدستور ، ثم أجريت اتخابات عامة فى كوريا اشترك فيها الشماليون والجنوبيون الشيوعيون وتكونت جمعية أطلق عليها اسم " جمعية شعب كوريا بأسره " . تضم من الشماليين ٢١٢ عضواً ومن الجنوبيين ٣٦٠ عضواً ، وتشكلت حكومة جمهورية كوريا الشمالية فى سبتمبر ١٩٤٨ ، واعترفت بها الصين ، والاتحاد السوفيتى .

سعى الاتحاد السوفيتى لضم كوريا الشمالية ، وسعت الولايات المتحدة لضم كوريا الجنوبية ، وعمدت كلتا الدولتين لاستخدام حق الفيتو ضد الأخرى مما أسفر عن رفض مجلس الأمن قبول أى من الكورتين فى الأمم المتحدة .

ومنذ عام ١٩٤٨ تكرس خط عرض ٣٨ فاصلاً بين الكوريتين ثم بدأت العداوة تظهر عندما تخطت القوات الشمالية هذا الخط باتجاه الجنوب ،وعرضت الولايات المتحدة الأمر على مجلس الأمن فاستعمل الاتحاد السوفيتى حق الفيتو الذى ربطه بضرورة حصول الصين الشعبية على مقعدها فى مجلس الأمن .

ودعمت الولايات المتحدة كوريا الجنوبية بالسلاح والعتاد ،وطلبت فرض عقوبات على كوريا الشمالية التى بدأت بالعدوان ووافق مجلس الأمن على هذا الطلب ،واغتنم الرئيس ترومان المناسبة ليعطى أوامره لقائد قواته ماك آرثر بضرب الأهداف العسكرية فى كوريا الشمالية .

دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب فى يونيه ١٩٥٠ تحت علم الأمم المتحدة ولكن بقيادة جنرال أمريكى متشدد هو ماك أرثر ، واستطاعت أن تحقق الانتصارات مما شجعها على الزحف شمالاً لإعادة توحيد كوريا خاصة ، وأن الظروف الدولية كانت مساعدة لها ، فالصين كانت مشغولة بمشاكلها مع الإتحاد السوفيتى ،ولكنها سرعان ما استفاقت وشعرت بان الغزو الأمريكى لابد وأن يصيب أراضيها بعد انتصاره فى كوريا .

حققت الصين انتصارات فى كوريا أحرجت موقف الولايات المتحدة وكان ماك أرثر المعادى للشيوعية يرى أن هدف الحرب هو توحيد كوريا ، وأن الذى يجب أن يقوم بهذه العملية هو الولايات المتحدة الأمريكية لتظهر أمام العالم بأنها الدولة المحبة للشعوب من جهة ، ومن جهة ثانية تستطيع الولايات المتحدة التخلص من الصين وتدمير قوتها . عارضت بريطانيا وفرنسا تصرف ماك أرثر ، لأنهما وجدتا فيه تهديداً للامن الأوروبى على أساس أن غزو الصين الحليف الأكبر للإتحاد السوفيتى قد يجر إلى حرب عالمية ثالثة بالإضافة إلى أن مصلحة الكرملين هى توسيع الحرب فى كوريا لانهاك الولايات المتحدة الأمريكية .

اشترطت الصين لوقف القتال شروطاً لم تقبلها الولايات المتحدة ومنها مثلاً قبولها عضواً فى الأمم المتحدة ، والتخلى عن فورموزا والانسحاب إلى ما وراء خط عرض ٣٨ درجة شمالاً . أصر الجنرال ماك أرثر على ضرب الصين ضربة قاضية وعرض على سلطات كوريا الشمالية إما الهدنة وإما امتداد عملياته إلى قلب الصين ، أمام هذا الموقف عزله ترومان خاصة بعدما تأكد كلا الطرفين عدم إمكانية تحقيق نصر حاسم على الآخر .

بدأت المفاوضات فى ١٠ يوليو ١٩٥٢ وتعثرت طويلاً ، وفى ٧ يونيو ١٩٥٣ تم توقيع اتفاق بانمونجوم Panmunjom لوقف إطلاق النار وإيجاد خط فاصل بمسافة أربع كيلو مترات بين الجانبين وهو خط عرض ٣٨ تقريباً وبعد شهرين وقعت الولايات المتحدة اتفاقاً مع كوريا الجنوبية وكذلك وقع السوفييت اتفاقاً مع كوريا الشمالية . وفى شتاء عام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ اتجهت أنظار العالم إلى دول الهند الصينية بعد قيام الحرب الأهلية هناك ، وخاف العالم من تدخل الصين كما حصل فى كوريا ولكن الصين لم تتدخل لأنها لم تجد فى هذه الحرب تهديداً مباشراً لها كما حدث بالنسبة لكوريا الشمالية .

أثناء الفترة ١٩٥٤ – ١٩٥٥ وبعد انتهاء الحرب الكورية حاولت الصين إزاحة الولايات المتحدة عن تايوان ، ثم بعد فشلها فى هذا اتبعت سياسة أكثر ليونة عامى ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ لتحقيق أهدافها فى تايوان ، ولكن هذه السياسة فشلت هى الأخرى . مما سبب أزمة كبرى فى مضيق تايوان ، ولكن الملاحظ فى تلك الفترة توتر العلاقات الصينية السوفيتية ، وبالتالى فإن الصين عمدت لاتخاذ مواقف أكثر دفاعية خاصة وأنها أصبحت معرضة لضغط موسكو وواشنطن . وبدأ الخطر الصينى يتضاءل بعد عام ١٩٦٠ حينما ظهر جلياً الصراع السوفيتى ـ الصينى مما جعل الساسة الأمريكيين هم الذين يتوجهون نحو بكين للتفاوض معها وذلك خشية من تفرد النفوذ السوفيتى فى المنطقة .

وفى فترة الستينات من القرن الماضى شهدت الصين عزلة بسبب صراعها مع الإتحاد السوفيتى حليفها العقائدى ،و عدم اهتمام الولايات المتحدة بها بسبب الثورة الثقافية التى أحدثتها .

ويمكن القول أن أبرز أسباب النشاط الصينى فى عام ١٩٦٩ تعود لاشتباكات الحدود الحاصلة بينها وبين الإتحاد السوفيتى وخاصةعلى نهر أوسورى Ussuri وبعدها أصبح السوفييت العدو الأول للمسؤولين الصينيين.

إن الثورة الثقافية البروليتارية الكبيرة وما أحدثته من هزة عنيفة فى الصين داخلياً وخارجياً وانعكاساتها على السياسة الخارجية الصينية فضلاً عن التفجيرات النووية الصينية كان لها دورها فى تغيير الوضع الدولى ونظرته للصين .

إن الصين التى استطاعت أن تلقى بظلها على القارة الآسيوية والتى كانت تدعو للثورة فى كل آسيا ، كان موقفها كفيل بإثارة القلاقل والاضطرابات كما حدث فى فيتنام وكمبوديا ولاوس والنزاع الأندونيسى ـ الماليزى والنزاع الهندى الباكستانى .

وهذه السياسة الصينية كان لها مضاعفاتها أيضاً على الصين نفسها فقد ألغيت الخطة الخمسية الاقتصادية الثالثة ، والتى كان مفروضاً بدء العمل بها ١٩٦٣ .

فالصين التى اعتنقت الشيوعية لم تجد اخلاصاً أو نية صادقة من موسكو التى أرادت فرض سيطرتها على بكين باسم الشيوعية ،وكأن الإتحاد السوفيتى التقدمى لم يتغير شيئاً عن روسيا القيصرية الرجعية ، فكلاهما رأى فى الصين مجالاً للتوسع ،وعندما رفضت الصين الخضوع للهيمنة السوفيتية وصدت موسكو صداً عنيفاً ولم يجد السوفييت بداً من سحب خبرائهم ، مما هز الصناعة والاقتصاد فى الصين هزاً عنيفاً كما رأت الصين أن السوفييت يستولون على بعض أراضيهم وينازعوهم على الحدود.

فى الوقت ذاته كانت الصين تخوض معارك كوريا ضد الأمريكيين ، وخاضت بواسطة الفيتناميين معارك ضد الولايات المتحدة الأمريكية ، وهنا تنبهت الصين إلى أن الأخطار المحدقة بها من السوفييت لا تقل شأناً عن الخطر الأمريكى فلم تلبث أن قبلت يد الرئيس نيكسون الممدودة لها فى بداية السبعينات [lviii].

٢ ـ مبدأ نيكسون

إتسم هذا المبدأ بالعمومية والغموض لكى يسمح للدبلوماسية الأمريكية بمجال أوسع للتحرك والمناورة . ففى منتصف عام ١٩٧٠ سحبت الولايات المتحدة الأمريكية من كوريا الجنوبية عشرين ألفاً ومن اليابان اثنتى عشر ـ ألفاً ومن تايلاند ستة عشر ألفاً ومن الفلبين تسعة آلاف جندى .

قابل هذا الانسحاب عملت الولايات المتحدة على تقديم المعونات للدول الآسيوية لتقويتها ولتستطيع قمع حركات التمرد عليها فى المستقبل . وهكذا تستطيع أمريكا وتكوين جيوش محلية لكى تواجه الاضطرابات المحلية ، ونستطيع إيجاز هذا المبدأ بالقول : " الانسحاب من آسيا وتدريب الآسيويين على محاربة بعضهم البعض " .

لقد ظهر هذا المبدأ عندما تقدم الرئيس نيكسون بتقريره للكونغرس الأمريكى عام ١٩٧١ والت جاء فيه : " ليس هناك هدف اسمى من أن يكون الجيل القادم هو أول من يشهد كون أمريكا فى سلام مع كل أمة فى العالم خلال هذا القرن " .

لقد بين الرئيس الأمريكى أهمية بقاء الدور الأمريكى فى العالم ، ولكن يجب على الدول الأخرى أن تضطلع بمسؤوليات أكبر من أجل مصالحها ، ومصالح أمريكا .

مقابل هذا الانسحاب الأمريكى نجد الولايات المتحدة تقدم معونات للدول الآسيوية لتقويتها ضد المتمردين عليها ، من جهة ثانية تضطر هذه الدول للتضامن فيما بينها لمواجهة أية تحديات تواجهها ، وذلك فى إطار التوجيه الأمريكى لحركة هذه الدول .

هنا لابد للإشارة إلى أن مبدأ نيكسون لا ينطوى على سياسة جديدة وإنما هو تكرار لتصريحات ، ومواقف أمريكية سابقة منذ عهد ايزنهاور ، وعندما كان نيكسون نائباً له . وفى هذا الموضوع صرح أيزنهاور : " بأنه إذا كان لابد من قيام حرب فى آسيا فلتكن حرباً يشترك فيها آسيويين ضد آسيويين " . وإن سياسة احتواء الصين هى ركيزة الاستراتيجية الأمريكية منذ عام ١٩٤٩ ، ثم إن هذا المبدأ يعمل على أن يقاتل الجندى الآسيوى آخاه الآسيوى محل الجندى الأمريكى الذى تعتبر تكاليفه أغلى من الجندى الآسيوى ، وبذلك يخدم هذا القتال المصالح الأمريكية ، ويوفر الدماء الأمريكية [lix] .

ولما كان من أهداف السياسة الأمريكية منذ عام ١٩٤٩ تطويق الصين وحصارها اقتصادياً وعسكرياً ، فإن مبدأ نيكسون من هذا المنطلق لم يقدم شيئاً جديداً كما أن خطة سحب القوات الأمريكية لم تقدم شيئاً جديداً فالخطة تقوم على استبدال جنود آسيويين بجنود أمريكيين .

كما أن الوجود الأمريكى بقى فى أوكيناوا الذى كانت تقدر المعدات الخاصة به بمليار دولار والذى كان يستعمل كموقع متقدم للصواريخ النووية الموجهة ضد الصين . وتجدر الإشارة إلى أن الاتفاقية الأمريكية اليابانية التى نصت على رجوع أوكيناوا لليابان والتى صدق عليها عام ١٩٧١ قد أكدت الاحتفاظ بشبكة واسعة من القواعد العسكرية فيها .

الخلاصة أن الهدف الأساسى للاستراتيجية الأمريكية هو حصار الصين وتهديدها ، وهذا لم يتغير فى إطار مبدأ ينكسون وإن تغير فى أسلوب التعبير عنه .

هاجمت الصين منذ البداية مبدأ ينكسون وسياسته وأكد شو آين لاى أن ثمة تناقض فى مبدأ نيكسون ، ففى حين يعلن خفض القوات الأمريكية فإنه يحث اليابان والدول الأخرى فى المنطقة على القيام بدور عسكرى أكبر ، الأمر الذى يزيد من حدة التوتر ويقوى النزعة العسكرية عند اليابان .

كان الرئيس الأمريكى يقوم برحلته فى أواسط عام ١٩٦٩ التى زار فيها الهند وباكستان ، ورومانيا ، وفيتنام الجنوبية ، وقد عمد نيكسون للكشف أمام نيكولاى تشاوشسكو فى بوخارست وأمام الرئيس الباكستانى يحيى خان عن فكرته للانفتاح على الصين . وقد وعد يحيى خان ونيكولاى تشاوشسكو بإيصال هذه الفكرة إلى بكين . وفى جوام فى فيتنام الجنوبية أعلن الرئيس نيكسون أن عصر التدخل الأمريكى فى حروب الأخرين قد ولى بغير رجعة ،وبالتالى أفصح عن نيته بتخفيض عدد الجنود الأمريكيين فى آسيا .

وابتداء من ٢١ يوليو ١٩٦٩ أقدمت الحكومة الأمريكية على خطوة منفتحة عندما سمحت للنخبة الأمريكية بالسفر إلى الصين ، كما سمحت للسياح الأمريكيين بشراء منتجات صينية بحدود المائة دولار.

وفى ٨ أغسطس ١٩٦٩ أعرب روجز وزير خارجية أمريكا عن رغبته باستئناف محادثات وارسو التى بدأت عام ١٩٥٥ بين الولايات المتحدة والصين .

وفى ١٥ ديسمبر ١٩٦٩ صدرت التعليمات بزيادة الحد لاأعلى المسموح به لشراء البضائع الصينية لتصبح بدون حدود .

هذه السلسلة من عمليات التقرب الأمريكى نحو الصين كان يقابلها من جهة أخرى جفاء وعداوة بين الصين ، والاتحاد السوفيتى حتى كادت الدولتان أن تعلنا الحرب .

فى أواخر عام ١٩٦٩ طلب وزير خارجية أمريكا من السفير الأمريكى فى وارسو إبلاغ السفير الصينى رغبة الولايات المتحدة متابعة مباحثات وارسو التى توقفت عام ١٩٥٥ بين الولايات المتحدة والصين . وكان رد الصينيين إيجابياً على متابعة المباحثات ،والحقيقة أن الرغبة الصينية فى متابعة الحوار مع أمريكا لم تكن حباً فيها أو بسياستها ، ولكن خوفاً من التهديدات السوفيتية خاصة ، وأن المحادثات بين بكين وموسكو قد وصلت فى نهاية عام ١٩٦٩ إلى طريق مسدود . وبدأت موسكو عملياتها العسكرية الحدودية التى اعتبرتها بكين تهديداً ببداية الحرب .

وعمد نيكسون عندما تقدم بتقرير عن سياسته الخارجية إلى الكونغرس الأمريكى إلى تبيان أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الجديدة تتجه ناحية السلام ، وعمد إلى مدح الصين ، ونوه بالعلاقات التاريخية مع الشعب الصينى

وكان أول رد فعل صينى على الإشارات الأمريكية هو وقوف الكاتب الأمريكى الشهير إدجار سنو **Edgar Snow** إلى جانب ماوتسى تونج فى احتفالات العيد القومى الصينى ، من خلال حديث ماوتسى تونج مع إدجار سنو تبين أن الخلافات الصينية السوفيتية وصلت إلى طريق مسدود ، ولم تعد هناك إمكانية للتصالح .

منذ ذلك الوقت اختمر فى ذهن الرئيس الأمريكى نيكسون ووزير خارجيته كيسنجر فكرة المباحثات السرية مع الصين بدلاً من عقد المؤتمرات فى وارسو .

وفى عام ١٩٧٠ وخلال الاحتفالات بالذكرى السنوية الخامسة والعشرين لانشاء هيئة الأمم المتحدة أعرب الرئيس نيكسون أمام تشاوشسكو ويحيى خان عن رغبته بزيارة الصين ، وفى ربيع عام ١٩٧١ سلم السفير الباكستانى فى واشنطن وزير الخارجية الأمريكة رسالة تدعو مبعوث أمريكى لزيارة بكين وان يكون هذا المبعوث أما روجرز وإما كيسنجر ، ووقع الاختيار على كيسنجر الذى تصرف بسرية تامة نحو فتح العلاقات مع الصين .

ولقد طال تساؤل الدبلوماسيين والمفكرين الغربيين بعد مباراة تنس الطاولة (بنج بونج) بين فريقى الولايات المتحدة الامريكية والصين الشعبية ودورة طوكيو الرياضية طال تساؤلهم عن دور الرياضة فى خدمة السياسة . فبعد أن كان الفريق الصينى يدير ظهره للفرق الأمريكية نجده فى بداية السبعينات يبادر لدعوة الفريق الأمريكى للقيام بجولة فى ربوع الصين ، وسرعان ما تحولت هذه الإشارة الرياضية إلى إشارة سياسية فى سبيل تحسين العلاقات الصينية الأمريكية [lx] .

وبدأ لون من العلاقات السياسية بين الصين والولايات المتحدة . هذا اللون يخدم المناورة الصينية كما يخدم المناورة الأمريكية فهو لم يغير شيئاً من استراتيجية أى من الدولتين فكلاهما بقى على نقيض الاخر بتفكيره السياسى العقائدى ولكن جمعتهما عداوتهما للاتحاد السوفيتى .

وفى رحلة سرية قام بها كسينجر إلى بكين بترتيب من باكستان جرى لقاء بينه وبين شواين لاى دارت أحاديثه فى ثلاث محاور :

أولاً : اعتبار فرموزا ـ تايوان ـ جزءاً لا يتجزأ من الصين وليست بلداً مستقلاً .

ثانياً : تقرر مصير فيتنام الجنوبية من جانب الطرفين المتنازعين .

ثالثاً : تسوية المسائل الآسيوية بالطرق السلمية ، وهذا يتعلق بالتوتر على الحدود السوفيتية الصينية فى حين كان النزاع الصينى السوفيتى مسألة حيوية بالنسبة للطرفين الصينى والأمريكى .

قدم رئيس الوزراء الصينى شو إين لاى الدعوة رسمياً للرئيس الأمريكى نيكسون لزيارة الصين على أن تتم الزيارة قبل مايو ١٩٧٢ لكى لا تخلط بينها وبين الحملة الانتخابية للرئاسة الأمريكية .

وفى ختام محادثات كيسنجر ـ شو أين لاى صدر البيان المشترك وجاء فيه : " لقد أجريت محادثات بين رئيس الوزراء شو أين لاى وهنرى كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون لشؤون الأمن القومى فى بكين فى الفترة من ٩-١١ يوليو ١٩٧١ وعماً بالرغبة التى عبر عنها الرئيس نيكسون فى زيارة الصين الشعبية فإن رئيس الوزراء شواين لاى قدم باسم حكومة جمهورية الصين الشعبية دعوة للرئيس نيكسون لزيارة الصين فى وقت مناسب قبل حلول شهر مايو ،وقد قبل الرئيس نيكسون بغبطة هذه الدعوة ، إن الاجتماع الذى تم بين حكام الصين وأمريكا المتحدة يهدف إلى تطبيع العلاقات بين البلدين وإن يسمح أيضاً بتبادل وجهات النظر التى تهم الجانبين [lxi] .

إن العلاقات بين الولايات المتحدة ونظام الحكم فى تايوان كانت من أدق المسائل فقد كان على الولايات المتحدة أن تتخلى عن دعم تايوان الذى دام أكثر من اثنين وعشرين عاماً ، وأن تتخذ إجرائين شائكين فى هذا الصدد ؛ الأول تتخفيض حجم القوات الأمريكية فى تايوان ، والثانى موضوع تمثيل الصين فى الأمم المتحدة ..

ففى الوقت الذى ظلت فيه تايوان تعتبر هي الصين في الأمم المتحدة بفضل مساندة الولايات المتحدة الأمريكية الواضحة ، ونظراً لأن كيسنجر أقر فى المبدأ الأول بان تايوان ما هى إلا جزء من الصين فهذا يعنى تغير فى السياسة الأمريكية نحو الطريق المعاكس تماماً للطريق السابق .

والحقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد بدأت تميل لإيجاد نظامين للصين يتمثلان فى الأمم المتحدة ،وبدأت الولايات المتحدة تعلن مساندتها لدخول بكين إلى الأمم المتحدة ، وكذلك مطالبتها بمقعد دائم للصين فى مجلس الأمن ، كما أن أمريكا وفى الوقت نفسه تعارض حرمان تايوان من مركزها فى الأمم المتحدة أو من مقعدها فى الجمعية العامة .

بدأت زيارة الرئيس نيكسون للصين فى ٢١ فبراير ١٩٧٢ فى نفس الوقت الذى قرر فيه الرئيس الأمريكى بضرب المواقع الشيعية فى الهند الصينية قبل نهاية زيارته لبكين بهدف حماية وتعزيز وضع الولايات المتحدة الدبلوماسى والعسكرى لقد أشار عليه كيسنجر بأن القصف الجوى المكثف على فيتنام يسهل مهمته فى الصين .

وفى محادثات القمة سادت قضايا عديدة مثل تايوان وفيتنام والهيمنة السوفيتية واهمية تطوير العلاقات الصينية الأمريكية .

فى اليوم الثانى من المحادثات ظهرت الاختلافات فى معالجة المسائل ، وفطن كيسنجر إلى أن الصينيين أكثر احتياجاً من الأمريكيين لصدور بيان عن نجاح المحادثات ،وذلك لسببين ، أولهما تبرير زيارة نيكسون لبلادهم ، وثانياً لتقديم نموذج عن التعاون الصينى الأمريكى للروس . ومع ذلك لم يتوصل الطرفان إلى البيان المشترك الذى ظهر بشكل قسمين منفصلين قسم يعبر عن وجهة النظر الأمريكية ،وقسم عبر عن وجهة النظر الصينية .

ومما جاء فى البيان المشترك من قبل الصين مثلاً :

" إن مشكلة تايوان هى العقبة الرئيسية فى سبيل تطبيع العلاقات بين الصين والولايات المتحدة وإن حكومة جمهورية الصين الشعبية هى الحكومة الشرعية الوحيدة للصين ، أما تايوان فهى إحدى مقاطعات الصين عادت إلى وطنها الأم منذ وقت طويل . وتحرير تايوان هو أمر داخلى بالنسبة للصين ، وليس لى بلد حق التدخل فيه ، ويعين سحب القوات والمنشأت العسكرية من تايوان " .

" إن الحكومة الصينية تعترض بشدة على كافة الأنشطة الرامية لإنشاء صين من ناحية وتايوان من ناحية ، وكذلك على وجود صين واحدة بحكومتين وعلى دولتين للصين ، وعلى أى وضع يقول بأن مسألة تايوان مطروحة للتسوية " .

أما ما جاء فى النص الأمريكى المقدم للبيان المشترك :

" إن الولايات المتحدة تقر أن كافة الصينيين الموجودين على شاطئ مضيق تايوان يشكلون جزءاً من الصين . وأن حكومة الولايات المتحدة لا تتشكك فى هذا الوضع ، وتؤكد اهتمامها بوجود تسوية سلمية لمشكلة تايوان من جانب الصينيين أنفسهم . ومن هذا التصور فإنها تؤكد على الهدف النهائى الذى يرمى إلى سحب كافة القوات والمنشآت العسكرية من تايوان وإلى أن يتم ذلك فإنها سوف تخفض بطريقة تدريجية ما لها من قوات ومنشآت عسكرية فى تايوان بشرط أن يقل التوتر فى المنطقة [lxii].

كان رد فعل هذا البيان المشترك عنيفاً على حكومة تشيانج كاى شيك التى استنكرت هذا البيان ووصفت شعوب الشرق الأقصى بأنهم فقدوا ثقتهم بحليفتهم واشنطن . أما موسكو فقد اعتبرت زيارة نيكسون للصين هى تحرك مناهض للسوفييت . وأما طوكيو فقد أسقطت حكومة ساتو المعادية لماوتسى تونج وجاءت بحكومة تاناكا التى أقامت علاقات دبلوماسية مع الصين ، كما انعكست آثار تحسن العلاقات الأمريكية الصينية على الأمم المتحدة بعد أن أعلنت الولايات المتحدة عن رغبتها بدعم دخول الصين عضواً فى الأمم المتحدة بعدما كانت تعارض هذا الموضوع طويلاً

٣ ـ مشكلة تايوان

بدأت هذه المشكلة عندما بدأ جيش الكومنتانج يتقهقر أمام زحف الشيوعيين منذ عام ١٩٤٧ حتى انتهى دوره ولجأ إلى جزيرة فرموزا التى اعتبرت مقر حكومة الصين الوطنية .

وحقيقة الأمر فإن فرموزا أو تايوان شكلت محوراً مهماً بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فى صراعها مع الشيوعية . وعلى هذا الأساس لم تتوقف المساعدات الامريكية للابقاء على هذه المنطقة سداً بوجه الشيوعيين ولمنعهم من السيطرة العسكرية عليها .

وبقيت مشكلة تايوان أكثر من ربع قرن من أكبر العوائق أمام تحسين العلاقات الأمريكية الصينية ، لقد مرت هذه العلاقات بتغيرات مستمرة فأثناء الحرب الكورية وبعد انقضائها مباشرة ساندت الولايات المتحدة نظام حكومة الصين الوطنية باعتبار ذلك نوعاً من التحدى لجمهورية الصين الشعبية .

وشيئاً فشيئاً اتبعت الولايات المتحدة سياسة الاعتراف بوجود حكومتين للصين ، الأمر الذى كان يقلق الصين الشيوعية ، وتخشى من أن يكون ذلك مقدمة لإعلان تايوان استقلالها قانونياً .

لقد بقيت تايوان تشكل نظام حكم منافس ظل يتحدى شرعية بكين ، ويشل خطراً على الصين الشعبية ، خاصة وأنها كانت تستخدم قاعدة أمريكية للتحرش ، والأعمال الاستفزازية ، لقد نظرت الصين إلى تايوان ، وكأنها رمز للتدخل الأجنبي فى شؤونها الداخلية . لذلك كانت رغبة القادة الصينيين شديدة فى توحيد الصين .

وبعدما حكم اليابانيون لجزيرة على مدى خمسين عاماً بنمط استعمارى وقمعى صارم ، وسيطروا على المراكز الهامة للبلاد ، ولم يتركوا لأهل البلاد سوى المراكز الثانوية ، فرح أهل البلاد ورحبوا فى عام ١٩٤٥ بمجئ نظام تشيانج كاى شك وكأنه استعاد الجزيرة للوطنيين الصينيين ،ولكن هذه الفرحة ، وهذا الترحيب لم يدم طويلاً بعدما خاب ظن الأهالى من جراء سوء إدارة تشيانج كاى شك ورجاله لحكم الجزيرة [lxiii] .

ففى الخمسينات بدا وكأن الجزرية ستبقى فى الحماية الأمريكية إلى ما لا نهاية مما عمق الهوة بين الصين الوطنية الأمريكية ، والصين الشعبية الشيوعية وقفز الدخل القومى بصورة مضاعفة تقريباً فى خلال عشر سنوات فعندما كان عام ١٩٦٣ حوالى ٢٥٠ دولار أصبح فى عام ١٩٧٣ يوازى ٥٣٣ دولار .

هذا الازدهار الاقتصادى فى تايوان سرعان ما تراجع بعدما أقامت الولايات المتحدة الأمريكية بإنشاء علاقات مع الصين الشعبية وتبعتها اليابان بعد ذلك فى هذا الخط السياسى .

بالإجمال اعتبر عام ١٩٧٢ علامة كبرى لنهاية مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية فى شرق آسيا . فقد قام

الرئيس الأمريكى نيكسون بزيارة الصين الشعبية فى فبراير ١٩٧٢ بعد أكثر من عشرين سنة كانت ترفض واشنطن خلالها الاعتراف بحكومة بكين وتعطى الشرعية لحكومة تايوان . كما أعادت الولايات المتحدة الأمركية جزيرة أوكيناوا للسيادة اليابانية ، وبذلك انتهى آخر مظهر من مظاهر الإحتلال الأمريكى لليابان .

وتوصلت حكومتا كوريا الشمالية والجنوبية فى يوليو من نفس السنة لاتفاقيات تخفيف المواجهة بينهما .

وقام رئيس وزراء اليابان تاناكا فى سبتمبر ١٩٧٢ بأول زيارة لمسؤول يابانى للصين منذ الحرب العالمية الثانية ، حيث تم خلالها التوقيع على بيان مع شواين لاى رئيس وزراء الصين عادت العلاقات طبيعية بين الدولتين بعد فترة طويلة من العداء والقطيعة . فقد أزال هذا التقارب عدداً من الحواجز المصطنعة التى كانت تعوق نمو العلاقات بينهما .

ولا شك أن تطبيع العلاقات اليابانية الصينية والتقارب الصينى الأمريكى أكد حقيقة بروز نظام دولى جديد فى شرق آسيا يعتمد على العلاقات المتداخلة للقوى الأربع الرئيسية وهى الصين ، واليابان ، والولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى [(lxiv)].

الفصل الثالث

اليابان من مطلع العصور الحديثة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية

أولاً- الملامح الجغرافية والسكانية والحضارية.

ثانياً- الأطماع الأوروبية.

ثالثاً- تطور الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية.

رابعاً- التوسع اليابانى فى الصين.

الفصل الثالث

اليابان من مطلع العصور الحديثة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية

أولاً – الملامح الجغرافية والسكانية والحضارية

تتكون اليابان من سلسلة من الجزر منفصلة عن شمال شرق القارة الآسيوية تمتد من خط عرض ١٥ درجة شمالاً إلى خط عرض٣٠ جنوباً. والجزر الرئيسية الأربعة هى (عركايدو فى الشمال ثم هتسو التى تقع فيها طوكيو العاصمة، على خط عرض ٣٦ جزيرة شيكوكو التى يفصلها عن هتسو بحر داخلى وأخيراً جزيرة كيوشو فى الجنوب). وبالإضافة إلى هذه الجزر الأربع الرئيسية يوجد عدد من الجزر الأخرى المختلفة الأحجار، وأقرب نقطة لليابان بالنسبة للقارة الآسيوية تتمثل فى شبه جزيرة كوريا. وهذه الحقيقة كان لها أهمية كبرى فى تاريخ اليابان.

واليابان – بشكل عام – بلد جبلى بإستثناء السهول الساحلية رغم أنها سهول ضيقة والأنهار فى اليابان سريعة وقصيرة. والمنطقة فى غالبها بركانية. وهناك عدد من البراكين الحية. أما الزلازل فهى كثيرة الحدوث ، وأحياناً تكون مدمرة. أما التربة فهى خصبة إلى حد كبير ، ولكن نظراً للطبيعة الجبلية للبلاد فإن سدسها (٦/١) فقط صالح للزراعة. والأمطار فى اليابان كثيرة (المتوسط السنوى هو ٦١,٧ بوصة فى طوكيو فى مقابل ٢٤ بوصة فى لندن).

لذلك فإن الطبيعة الجبلية لليابان والتعاريج الكثيرة لسواحلها الممتدة تجعلها بلداً تمتاز بالجمال الباهر. واليابانيون على وعى تام بذلك. حقاً لقد شوهت الصناعة اليوم كثيراً من المناطق بينما سكان المدن الكبرى يشوهون من جانبهم جمال المناطق الريفية بما يتركونه وراءهم من مخلفات عندما يذهبون إليها، ومع ذلك بالرغم من كل تلك المظاهر الطبيعية لليابان لا شبيه لها فى العالم كله[lxv].

ويطلق اليابانيون على بلادهم اسم ((نيهون)) أو ((نيبون)) أى أصل الشمس، وتتكون اليابان من مجموعة جزر أربعة رئيسية كبرى هى : هوكايدو، وشيكوكو، وكيوشو بالإضافة إلى عدد لا يحصى من الجزر الصغيرة. وأرض اليابان جبلية لا تزيد المساحة الصالحة للزراعة فيها عن ١٦% من مجموع أراضيها. ويعتبر الفحم هو المعدن الوحيد الذى يتوافر فيها بكثرة نسبية. وتشتد فيها ثورة البراكين ويسقط على اليابان من المطر ما يفوق الحد المألوف إذ أن كميته تبلغ فى معظم الأماكن نحو ستين بوصة أو مائة فى العام. وأنهارها قصيرة سريعة الجريان لا تصلح كوسيلة للنقل إلا بقدر محدود.

وترتفع نسبة الشواطئ إلى مساحتها الداخلية حتى أنها تصل إلى معدل ميل واحد لكل ٨,٤ ميلاً مربعاً من أرض اليابان. وهذا الساحل الطويل كثير التعرجات والمنحنيات يحتضنه فى الشمال تيار بارد وفى الجنوب تيار حار، لهذا كانت بحار اليابان غنية بمصايد الأسماك التى تقوم بدور هام فى تزويد اليابان بغذائها. وتبلغ مساحة اليابان (الآن) نحو ١٤٢,٣٠٠ ميل مربع. وهى بذلك تقل قليلاً عن مساحة ولاية كاليفورنيا التى تبلغ مساحتها ١٥٥,٦٥٢ ميلاً مربعاً، ولكنها أكبر من الجزر البريطانية التى تبلغ مساحتها ١٢٠,٥٧٩ ميلاً مربعاً ويزرع الأرز فى نصف المنطقة الصالحة للزراعة وهو الغذاء الرئيسى لأهلها[lxvi].

وينحدر اليابانيون أصلاً من الجنس المغولى الذى إمتزجت به سلالات من الملايا، والآيينو، وتعتبر سلالة الآيينو عنصراً ينتمى إلى أصول الجنس القوقازى وقد حلت هذه السلالات فى اليابان وإنتشرت فى ربوعه ولكن لم يبق منها الآن سوى بضعة ألوف. وقد إمتزجت هذه السلالات الثلاث إمتزاجاً قوياً فى العصور القديمة حتى أصبح سكان اليابان

الآن أكثر الشعوب تجانساً من الناحية العنصرية السلالية - بل أن بعض الكتاب يرجعون سبب نهضة اليابان الحديثة فى جانب كبير منها إلى هذه الدرجة غير العادية من التجانس، كما سنرى فيما بعد. ومع ذلك فهناك بعض الإختلافات فى تكوين اليابانيين الجسمانى بعضهم عن البعض، ولكن الشخص اليابانى العادى شخص قصير القامة ويبلغ معدل طول الرجال منهم خمسة أقدام وخمسة بوصات فى المتوسط ولهم جماجم عريضة فى الأغلب.

وكثيراً ما كان يطلق على اليابان بأنها ((بريطانيا الأسيوية)) ولكن اليابان تحملت عبء موقعها بأكثر مما تحملته الجزر البريطانية من ناحية موقعها الشاذ على هامش إحدى القارات. ففى حين يفصل إنجلترا عن بقية القارة الأوروبية ٣١ كيلو متراً فقط فإن الطرف الغربى لليابان يبعد نحو ١٧٧ كيلوا متراً عن كوريا، ولكن إذا ما عرفنا أنه ينبغى قطع مسافة تربو على ٨٠٠ كيلو متراً فى المحيط الهادى حتى يتسنى الوصول إلى شواطئ الصين صار من اليسير أن نتصور كيف كان على الملاحين اليابانيين القدماء أن يفكروا كثيراً فى محاولة المغامرة برحلة بحرية تتضمن قدراً كبيراً من المغامرة الخطيرة.

ومن الحقائق المؤكدة أيضاً أن حضارة اليابان إن هى إلا إحدى روافد الحضارة الصينية الأم، إستمدت إلهامها منها على النحو الذى إغترفت أوروبا الشمالية حضارتها من حضارات حوض البحر المتوسط. ويلمس المرء أكثر من وجه من وجوه الشبه بين إنتشار الحضارة الصينية عبر جزر اليابان فى الألف الأولى من العصر المسيحى، وبين إنتشار حضارة البحر المتوسط فى أوروبا الشمالية فى نفس العصر. ولكن الأمر يختلف نوعاً فى اليابان من أنه كانت هناك عزلة أكثر قوة، مما سمح بالإبقاء على القيم الحضارية اليابانية الأصلية تجاوزت النماذج المستعارة الواردة إليها من الصين.

وهناك بعض المفكرين ممن يروق لهم القول بأن اليابانيين مجرد عنصر مولع بالتقاليد. لكن الحقيقة تخالف ذلك. فإن اليابانيين وهم على وعى بأنهم مدينون للأنماط الحضارية الأجنبية، عمدوا إلى مزج هذه الحضارات مزجاً فريداً من نوعه لم يسبق به مثيل وأخضعوها للظروف اليابانية الوطنية. والدليل على ذلك اللباس التقليدى اليابانى وفن الطبخ اليابانى، وفنهم المعمارى، وأسلوب حياتهم اليومية، مما يجعل المرء يقتنع بأن الشخص اليابانى لا تنقصه القدرة على التجديد والإبتكار.

ولا توجد هناك فى أى بلد آخر من بلاد العالم تلك الأغطية المجدولة من القش بكيفية مكثفة مما يجرى إستخدامه فى فرش الأرض، ولا يوجد مثيل لتلك الجدران المتحركة من الورق المقوى، ولا تلك المساكن الخفيفة، أو المواقد التى يجرى تغذيتها بالفحم، ولا شكل المشكاة التى يعرض فيها اليابانيون فنونهم.

وهناك شاهد آخر على القدرة الإبتكارية لحضارة اليابان متمثلاً فى لغتها. فعلى الرغم من أن اللغة اليابانية تستخدم رموز الفكرة المستخدمة فى اللغة الصينية، فإنها استعارت كلمات عديدة منها، إلا أنها إحتفظت لنفسها بخاصية لا يمكن المساس بها. فاللغة اليابانية تستخدم أسلوباً فى الكتابة ذا خاصية مركبة لا يمكن مباراتها.

أن كل هذه الدلائل توضح أن اليابانيين كانوا على وعى مبكر جداً بشخصيتهم، وكانوا يسعون جهد إستطاعتهم إلى تأكيد ذاتهم. ولذلك فإنه مجرد حلول عصرنا الحاضر الذى إتسم بظهور القوميات على شكل دول، فإن الشعور القومى اليابانى تماسك بسرعة مذهلة، ذلك أن الخواص العرقية والجغرافية كانت قد أودعت فى اليابان من عصر مبكر كل مبررات التماسك والوحدة ، ولقد ساعد على تحقيق ذلك ما أشرنا إليه سلفاً من عوامل تكريس العزلة، حتى لقد قيل أن حكام اليابان نادراً ما سلكوا مسلكاً موحداً فى علاقاتهم مع العالم الخارجى، والقى اللوم بالتالى على طبيعة

اليابانيين المتكبرة المتأنفة تارة ، ووجود عقدة النقص لديهم تارة أخرى تجاه الأجانب. وحتى يومنا هـذا لا يـزال الكتاب والمؤرخون يبحثون عن كنه هذا الوضع الشاذ لدى اليابانيين وعزلتهم، وإن كان البعض يعزى تلـك التذبـذبات والتحولات فى سياستهم الخارجية إلى فترات العزلة، الأمر الذى يتجلى بصورة أوضح فى صعوبة إدخالهم ضمن توازنات القوى العالمية[lxvii].

وفى تلك الآونة ظهرت بعض الإضـطرابات فى العاصـمة، فسـارع النـبلاء مـن الـبلاط الإمبراطـورى إلى الإسـتنجاد بأتباعهم فى الأقاليم للمساعدة فى فض هذه الإضطرابات. ورويداً رويداً تولى هؤلاء المحاربون إغتصاب السلطات التى كان يمارسها الإمبراطور بمفرده. وتناحرت كل فئة لكى يستقر لها حكم اليابان بأسره. على أن أبرز من خرجوا منتصرـين من هذا النضال هو شخصية شهيرة فى تاريخ اليابان تدعى : ((مينا موتو)) المناطق الريفيـة بمـا يتركونـه وراءهـم مـن مخلفات عندما يذهبون إليها. ومع ذلك بالرغم من كل تلك المظاهر المتصلة بالمدينة الحديثة فـإن المنـاظر الطبيعيـة لليابان لا تزال فائقة الجمال مؤثرة إلى حد القول بأنه لا شبيه لها فى العالم كله.

وكان قرب الجزر اليابانية لكل من الصين وكوريا من أهم العوامل والمؤثرات التى أصرت فى مراحل تكوين اليابان كأمة. ولما كانت تلك الأقطار جميعها جيراناً – من الناحية الجغرافية – فقد كان إتصال بعضها ببعض أمراً حتمياً. ولكن الصين بما تملك من حضارة عظيمة (كان اليابانيون على إستعداد دائماً لتلغيهـا وإسـتيعابها) كانـت هـى المـؤثر الفعـال الذى أثر على مستقبل الشعب اليابانى أن تأثير البوذية والكونفوشيوسية والحضارة بشكل عام عـلى اليابـان ثـم تبنـى الكتابة الصينية، كل ذلك أسهم إلى حد كبير فى تكوين الحضارة اليابانية. ومن ناحية أخرى فإن اتصال اليابـان بشـكل فعال بأوروبا لم يحدث حتى القرن السادس عشر. وإستمر هذا الإتصال ضعيفاً وضئيلاً فيما بين القـرنين السـابع عشرـ والتاسع عشر. ولم تكن الإمبراطورية الروسية قد مدت نفوذها بعد إلى الشرق الأقصى. وعلى ذلك فقد كان الطبيعـى ، ومن المحتم أن تؤثر الحضارة الصينية القوية وحدها على اليابان. على أن تأثير الحضارة الصينية على اليابان كان تأثير مقبولاً من اليابانيين ، ولم يكن تأثيراً خضعوا له بالقوة والقهر. وفى ذلك كانت اليابان على عكس الصين. فبينما إعتـبرت الصين حضارتها أقوى الحضارات، وكانت الصين معادية للأجانب ولا ترحب فى أن تتعلم من الآخرين. فإن اليابـان – فى كل تاريخها – رحبت بالأجانب عـلى ألا يكـون لـديهم سـوء النيـة والقصـد. وبإسـتثناء فـترة حكـم نظـام (شـوجنات) توكوجاوا فإن اليابانيين كانوا دائما وفيين بل حريصين على تعلـم أى شـئ يعتقـدون أنـه يفيـدهم ثـم تطـويره حسـب مزاجهم. وبالرغم من المعرفة الواسعة التى إستوعبوها من الصين إلا أنهم لم يصبحوا مثـل الصـينيين أو يقبلـوا سـيادة الإمبراطورية الصينية عليهم. ويمكن القول أنه فى الوقت التى كانت اليابان قد استوعبت تماماً الحضـارة الأجنبيـة فـإن هذه الحضارة أصبحت يابانية ، ولم تعد أجنبية. هذا المسار لا ينطبق فقط على ماضى اليابان بل أيضاً عـلى حاضرهـا ، ويلخص أحد الكتاب هذه النزعة بقوله :

"أن اليابانيين لا يقتنعون أبداً بمجرد الإفتراض. فإن لهـم عـادة تعـديل كـل شـئ يأخذونـه عـن الآخـرين وبحثـه بالعقل القومى. ذلك يتضح فى الفن والمؤسسات السياسية وحتى فى الدين"[lxviii].

ثانياً – الأطماع الأوروبية

ويرى البعض أن موقف الصين جعلها أكثر إستعصاء وأكثر رفضاً للتأقلم مع الغرب فقد ظلـت الصـين عـلى مـدى قرون عديدة أكبر دولة فى العالم تخضع لحكومة مركزية ، وفى سياق علاقتهـا الخارجيـة كانـت مسـيطرة فى شرق آسـيا بدرجة كبيرة حتى كانت تنظر إلى جيرانها ليس كأنداد وإنما مجرد أتباع لها، وهذا الميراث فى حد ذاته عمل على تعقيـد عملية تأقلمها وإنفتاحها أو تجاوبها مع التوسع فى العالم الغربى.

فكانت أول هذه الأطماع :

١- بعثة بيرى (Perry) ١٨٥٣

فى يوم ٨ يوليو ١٨٥٣ وصل إلى خليج إدو أسطول من البوارج الأمريكية بقيادة الكومودور بيرى. ونزل الكومودور فى حراسة مهيبة ، وسلم خطاباً من الرئيس الأمريكى فيلمور يتضمن المطالبة بإمتيازات تجارية، وإنشاء محطات لتزويد السفن الأمريكية بالفحم، وحماية المواطنين الأمريكيين الذين تصاب سفنهم بالغرق. ثم غادر بيرى ، ومعه بوارجه على أمل العودة فى الربيع التالى بقوة أكبر حجماً ليتلقى رد المسؤولين اليابانيين على هذه المطالب الأمريكية.

ولقد كان رد الحكومة اليابانية على استعراض القوة الأمريكية أن قاموا بترجمة محتويات خطاب الرئيس الأمريكى ، وطرحه للبحث على رجال الدايميولكى يقوموا بإسداء المشورة بشأنه. فكانت النتيجة : ٢٥ رد من الردود التى تلقتها الحكومة اليابانية يؤيد فتح أبواب اليابان للتجارة الأجنبية. فى حين كان ١٩ من هذه الردود لا يستسيغ فكرة التجارة الأجنبية. وكانت هذه الردود التسعة عشرة الأخيرة توصى مع ذلك بتجنب الدخول فى حرب مع الأجانب أما الردود التى كانت ترفض طلبات بيررفضاً قاطعاً فكان عددها ١٥.

وعلى الرغم من أن هذه الردود التى تلقتها الحكومة من رجال الدايميو كانت فى جملتها لا تمثل سوى نسبة ٢٥% فقط من جملة الردود المتوقعة، فإن الحكومة اليابانية إتخذتها بمثابة مؤشر بالقرار النهائى الذى ينبغى التوصل إليه ، وهو المقاومة بكل الوسائل الممكنة ، ولكن مع تجنب الدخول فى حرب مع الأمريكيين. وعندما عاد بيرى للمرة الثانية فى فبراير ١٨٥٤ طلب موافاته بالرد الحاسم بأحد أمرين : إما عقد معاهدة بهذا الخصوص، وإما الحرب بين الطرفين. ولم يجد اليابانيون أمامهم من خيار سوى الرضوخ للمطالب الأمريكية فوقعوا مع الأمريكيين معاهدة شهيرة فى التاريخ اليابانى هى معاهدة كانا جاوا ,١٨٥٤

٢- معاهدة كانا جاوا (kanagawa) ١٨٥٤

تمثل هذه المعاهدة علامة بارزة على طريق إنفتاح اليابان نحو الغرب وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية. ففى ٣١ مارس ١٨٥٤ وقعت اليابان هذه المعاهدة التى تعتبر بحق أول معاهدة لها مع الدول الغربية. وكانت مع ذلك معاهدة هشة البنيان إذ إقتصرت على معالجة بعض المشكلات الصغيرة الخاصة بأحوال غرق السفن وتزويد السفن الأمريكية فى المينائين اليابانيين المفتوحين للتجارة فى هاكودات ، وشيمودا، وتعيين قنصل أمريكى يكون مقره فى شيمودا. ويقال أن الكومودور بيرى كان يحمل بعض الهدايا المناسبة ، وبعض الآلات ، والأسلحة ، والعطور لم تخرج من أغلفتها، وظلت ملقاه فى أحد جوانب القصر. كذلك نصت المعاهدة على تمتع الولايات المتحدة بحق الدولة الأولى بالرعاية. ويلاحظ أن الشوجنية قامت بتوقيع معاهدات مماثلة مع كل من بريطانيا فى ١٤ أكتوبر ١٨٥٤ ، ومع روسيا فى ٧ فبراير ١٨٥٥ ثم أعقبتهم هولندا ثم فرنسا فى الحصول على مثل هذه المعاهدة.

على أن أهم ما يعنينا هنا هو أن شبان الساموراى قد تذوقوا الجرعة الأولى من الحضارة الغربية وإشتد تعطشهم إلى المعارف الغربية، وكانوا يتسللون فى جنح الليل إلى السفن الأمريكية الراسية قرب الشواطئ اليابانية ، ويلحون فى الرجاء على ربابنتها أن يأخذوهم معهم إلى أمريكا لكى يطلعوا على مزيد من المدينة التى إستهوت البابهم بما كان يستتبعه ذلك من المجازفة بأرواحهم.

على كل فقد نجح تونسد هاريس أول قنصل أمريكى فى شيمودا فى نقد ميثاق فى يونيو ١٨٥٦ يخول للرعايا الأمريكيين حق الإقامة فى شيمودا ، وهاكودات ، وحق التجارة فى نجازاكى ، وحق التنقل بحرية فى ربوع اليابان(lxix).

٣- سقوط الشوجنية

رأينا أنا اليابان قد قامت بعقد معاهدات مع الولايات المتحدة ، ومع الدول الغربية الأخرى. وكان عقد هذه المعاهدات نذيراً بقيام حركة مناهضة للشوجنية تحمل شعور الكراهية نحو الأجانب ، ووقعت عدة إعتداءات على بعض الأجانب من بعض رجال الساموراى من الذين كانوا يكرهون الأجانب حتى أنه تم إحراق المفوضية البريطانية مرتين فى عام ١٨٦٢. وفى العام التالى تم إحراق المفوضية الأمريكية. ثم أصدر الإمبراطور أمراً إمبراطورياً فى ٢٥ يونيو ١٨٦٣ يقضى بطرد الأجانب من البلاد.

وكان رد الفعل الغربى عنيفاً إزاء هذا الشعور المعادى للأجانب، ففى أغسطس ١٨٦٣ دخلت وحدات حربية بريطانيا إلى خليج كاجوشيما، وقصفت المدينة بالقنابل ثم قام أسطول متحالف فى شهر سبتمبر ١٨٦٣ بتدمير قلاع شوشو، وأبادتها عن آخرها ، ونتيجة لذلك أخذ مركز الشوجنية يضعف رويداً رويداً وأدت الثقة فيهم تهتز إلى أن مات الشوجن فى أحد فروع التوكوجاوا المناصرين للإمبراطور.

بيد أن هذا الشوجن الجديد ألقى نفسه غارقاً فى خصم من المشكلات المعقدة، بعضها ذا طابع مالى ، والبعض الآخر فى مجال العلاقات الخارجية بالإضافة إلى حدوث إضطرابات داخلية، وصارت سلطة هذا الشوجن تضعف شيئاً فشيئاً فى مواجهة البلاط من ناحية، وأعضاء الدايميو من ناحية أخرى فقدم إستقالته فى ٩ نوفمبر ١٨٦٧ من منصب الشوجنية إلى الإمبراطور الشاب ميجى الذى كان قد إرتقى العرش فى ٣ فبراير ١٨٦٧، وكان هذا يمثل بحق بدء عصر النهضة - نهضة عهد الميجى المشهورة فى تاريخ اليابان الحديث[lxx].

وفى بداية عام ١٨٦٨ يكون حكام التوكوجاوا قد فقدوا أهميتهم نهائياً وآل سلطانهم رسمياً إلى الإمبراطور، وذلك بإلغاء نظام الشوجنية العسكرى من أساسه فى ٣ يناير ١٨٦٩ وتشكلت حكومة مؤقتة لحكم البلاد، وهنا نلاحظ أن القوى الأوروبية قد أغمضت عينيها بالنسبة لمسيرة الأحداث إذ أن ذلك كان يسير على هواها، ذلك أن الإطاحة بشوجنية التوكو جاوا يمثل فرصة لإنفتاح اليابان نحو الغرب – هذا فيما عدا فرنسا التى كانت تفكر لبعض الوقت فى مساعدة نظام الشوجنية والإبقاء عليه. وبذلك يكون ما تم هو بمثابة ثورة سلمية على الشوجنية. بقى إذن أن يصدر بذلك إعلان إمبراطورى ليضفى عليه الصفة الشرعية ، وقد صدر بالفعل ذلك الإعلان أو العهد الإمبراطورى.

٤- العهد الإمبراطورى لعام ١٨٦٨

لقد كان عمر الإمبراطور ميجى الذى أعلن القسم أو العهد الإمبراطورى عام ١٨٦٨ أربعة عشرة عاماً ، ويتضمن هذا العهد خمسة مواد مختصرة هى :

١- ((أن يجرى دعوة "جمعية عامة" كبيرة العدد للإجتماع ، وأن تتخذ كافة الأمور عن طريق المناقشة الجماهيرية العامة)).

ولربما بدا من ظاهر نص هذه المادة الأولى إنها خطوة نحو الديمقراطية، ولكن هذا لم يكن المقصود فى حقيقة الأمر إنما كان بمثابة محاولة ذكية لحشد الدعم لنظام الحكم الجديد ، وذلك لأن مخططى السياسة فى ذلك كانوا يأتون من مقاطعات محددة بعينها وهذا النص إذن يوحى لبقية زعماء المقاطعات أنهم سوف يشاركون فى السياسة القومية اليابانية، والدليل على ذلك أنه لما إشتد عود النظام تم طرح هذه الأفكار ظهرياً.

٢- ((أن يكون لهؤلاء الذين هم فى مستوى أعلى، وأولئك الذين هم فى مستوى أدنى (يقصد الحكام والمحكومين) نفس الحق فى إبداء الرأى ، وأن تدار الحكومة فى قوة وحسم)).

٣- ((إن عام الشعب لا يقلون عن المسئولين المدنيين أو العسكريين، ومن ثم يسمح لكل منهم بأن يحقق أمانيه حتى لا يكون هناك شعور بعدم القناعة)). وهذه المادة أكثر تحديداً من سابقتها ، وتحمل فى طياتها وعداً واضحاً بأن يجرى رفع الحواجز الإقطاعية وأن يجرى فتح كافة المجالات لمن يمتلكون الموهبة.

٤- ((يجب التخلى عن كافة التقاليد والعادات الغريبة التى كانت سائدة وأن تتم وفقاً لمبادئ العدالة والمساواة حسب الفطرة)). ويفهم من هذه المادة أن هذه "العادات الغريبة" المترسبة من الماضى ((حكم شوجنية التوكوجاوا)) وما صدر عنها من أعمال والمقصود ((بالفطرة)) ربما الإشارة إلى ديانتى الكنفوشية والتاوية.

٥- ((إنه سوف يجرى العمل على جمع المعارف من شتى أنحاء العالم أجمع، وعلى هذا النحو سوف تترسخ الإمبراطورية على أسس متينة)). وهذه المادة الخامسة الأخيرة تمثل صدعاً مقصوداً بين الحاضر والماضى. فقد صار ((التحديث)) هدفاً رسمياً محسوباً ورئيسياً، كل ذلك فى ظل ((الحكم الإمبراطورى)). إرث الماضى التليد ولكن بالنسبة للمستقبل يجب تعزيز هذا الإرث بالمعرفة التى تستجلب من كافة أرجاء العالم ((أى الأصول الشرقية مع العلم الغربى)).

ولذلك قيل بحق أن القومية اليابانية القديمة بتحالفها مع التطبيق العلمى الحديث هو سر نهضة اليابان السريعة والمذهلة. أى أن اليابانيين فى ظل نهضة الميجى لم يقصدوا التضحية بروح اليابان القديمة (Yamato-Domshi) أى روح الأمة أو أن ينالوا من الهيكل الاساسى لمجتمعهم وتقاليدهم فى ظل الإمبراطور الذى تم إطلاق هذه الشعارات والمبادئ من خلاله بل وبإرادته.

ولقد إنبرت والحالة هذه، أعداد من رجال الحكم والطلاب إلى الخارج فى بعثات جادة لكى تجلب لليابان المعلومات والبيانات التى يمكن أن ترتكز عليها الإصلاحات المنشودة منذ عام ١٨٦٨ ولعل أكبر وأهم هذه البعثات التى ذهبت إلى الخارج هى بعثة ايواكورا (Iwakura) التى غادرت البعثة اليابان عام ١٨٧١ وقضت سنتين كاملتين فى الولايات المتحدة وأوروبا. ولقد تألفت هذه ثمانية وأربعين عضواً معهم أربع وخمسون طالباً وضمت بالإضافة إلى رئيسها أيواكورا شخصيات حكومية هامة مثل أوكوبو (Okubo) وكيدو (Kido) وايتو (Ito) الذى صار من أبرز قادة اليابان فيما بعد. ولقد نجحت هذه البعثة نجاحا باهراً فى جمع المعلومات المعقدة ، وإن كانت قد فشلت تماماً فى تحقيق الشق الثانى من مهمتها وهو حث الغرب على إلغاء المعاهدات غير المتكافئة مع اليابان التى تسبب فى إبرامها نظام حكم شوجنية التوكوجاوا[lxxi].

ثالثاً – تطور الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية

١- الأوضاع السياسية

إشتمل النظام السياسى اليابانى فى عصر الميجى على تغييرات فى جميع نوحى الحياة السياسية متأثرة بالنظم السياسية الأوروبية خاصة الألمانية ، والبريطانية ، والفرنسية. وهذه التغييرات تمثلت فى تشكيل أول مجلس وزراء، ووضع دستور وحياة نيابية برلمانية ، وتشكيل أحزاب سياسية.

وقد إنشئت الوزارات على النسق الأوروبى فى بداية عصر الميجى. وقد تمثلت تلك الوزارات فى وزارات المعارف ، والمالية ، والجيش ، والحربية، وهاتان الوزارتان العسكريتان أصبحتا فى عام ١٨٧٩م تمثلان هيئة أركان حرب فى النموذج الألمانى ، وفى عام ١٨٨٩م أعادت الحكومة النظر فى قانون التجنيد الإجبارى، وألغت كافة الإستثناءات، وكان ذلك القرار جزءاً من خطة تهدف إلى دعم القوات المسلحة حتى تتمكن اليابان من خوض غمار الحروب خارج حدودها. وأقبل الشباب على أداء الخدمة العسكرية الوطنية بعد أن كانوا يتهربون منها، ويرجع الفضل فى ذلك إلى نظم التعليم التى غرست الروح الوطنية فى عقولهم.

والجدير بالذكر أنه فى الفترة من ١٨٧٣-١٨٧٥ ظهرت بوادر إنشاء أحزاب سياسية فى اليابان كما شهدت تلك المرحلة حملة كبيرة ترمى إلى الدعوة لإنشاء هيئة برلمانية وروجت مبادئ وأفكار روسو وسينسر بترجمتها إلى اليابانية وإستخدامها فى حملة الدعاية ضد الحكومة. وفى عام ١٨٧٨ أنشئت جمعيات للتمثيل النيابى فى كل مقاطعة، ومنحت هذه الجمعيات سلطات مالية محدودة ولكن هذه الجمعيات لم يكتب لها أن تقوم بدورها المنشود إذ سادت البلاد موجة من الشغب السياسى الذى حال دون إزدهار هذه الجمعيات.

وعلى الرغم من أن الحكومة تمكنت من قمع ذلك الشغب السياسى الذى حال دون إزدهار هذه الجمعيات. إلا أنها لم تغفل مع هذا الحاجة إلى إقامة بنيان سياسى واضح المعالم فى البلاد. لذلك تقدم عدد من المفكرين السياسيين اليابانيين عام ١٨٨١م بمقترحات لإنشاء نظام نيابى على النسق البريطانى، ومن ثم إقامة برلمان ودعوته للإجتماع فى عام ١٨٨٣م. وشهدت هذه المرحلة وقوع إضطرابات خطيرة بسبب إنتشار الفساد، وإرتفعت الأصوات فى طول البلاد وعرضها تنادى بأنه لامناص من قيام برلمان لمنع الفساد السياسى. وفى ١١ أكتوبر ١٨٨١م تولى الإمبراطور رئاسة إجتماع هام حضره جميع أعضاء الوزارة ، وأصدر وعده بإقامة برلمان فى غضون عشرة أيام ، وفى اليوم التالى صدر أمر إمبراطورى يتضمن وعداً للأمة بإنشاء برلمان قبل حلول عام ١٨٩٠ [lxxii].

أسندت الحكومة اليابانية إلى ((إينوهيروبومى)) مهمة إعداد الدستور الذى وعد به الإمبراطور فقضى الفترة من عام ١٨٨١م إلى ١٨٨٣م فى أوروبا يدرس الدساتير الغربية. وعندما عاد إلى اليابان بدأ مهمته الفعلية فى وضع الدستور، وبادر إلى إدخال تغييرات تمهيدية إلى الإدراة الحكومية. وفى عام ١٨٨٥م شرع فى إعادة تنظيم الجهاز الإدارى، وتألفت حكومة وطنية على النسق الألمانى تكونت من تسع وزارات هى الخارجية ، والداخلية، والمالية ، والحربية ، والبحرية ، والعدل ، والتعليم ، والزراعة، والتجارة ،والمواصلات. وتم تحديد إختصاصات كل وزير فى وزارته داخل هذا الإطار السياسى الجديد. كما أسند إلى ((أتيو هيروبومى)) رئاسة الوزراء. وكان وزراء حكومة أتيو جميعاً من أبناء مقاطعتى ((سانسوما)) و((تشوشو)) اللتين كانتا أول مناطق اليابان إحتكاكاً بالحضارة الأوروبية الحديثة، كما كانوا من طبقة ((الساموراى)) الذين شاركوا فى وضع النظام الميجى.

وإستكمالاً للنظام السياسى الذى وضعه أتيو هيروبومى أنشئت فى عام ١٨٨٤م طبقة الأمراء والأشراف على النسق الألمانى حيث ضمت خمس درجات عالية هى بالتتابع، الأمير، الماركيز، الكونت، الغيوكونت، البارون وتم توزيع هذه الرتب على نبلاء البلاط القديم، ورجال الدايميو السابقين ومختلف زعماء الحكومة، ومن ثم أجادت الفصل بين الشئون العامة للدول وشئون البلاط الإمبراطورى.

وكان صدور الدستور اليابانى فى ١١فبراير ١٨٨٩م خاتمة جهود بذلها ((أتيوهيرويومى)) تنفيذاً لقرار الإمبراطور. حيث قامت لجنة إعداد مشروع الدستور برئاسة ((أتيو)) بعملها فى سرية تامة منذ تشكيلها فى مارس ١٨٨٤م وخلال عامى ١٨٨٦م و١٨٨٧م مستعينة بخبرة الدكتور ((هرمان روسلر)) أستاذ القانون الدستورى الألمانى. حتى أعلن الدستور فى ١١ فبراير ١٨٨٩م فى حفل أقيم فى القصر الإمبراطورى حضره ممثلو الدول الأجنبية. وقد نص الدستور اليابانى بالنسبة للسلطة التشريعية على وجود المجالس الآتية[lxxiii]:

١- مجلس شيوخ أو لوردات ((أشراف)) على غرار مجلس اللوردات البريطانية وتضمن مجلس الأشراف أعضاء منحوا حق العضوية مدى الحياة ، وهم من يحملون ألقاباً تعادل لقب أمير وماركيز. أما الأعضاء الآخرون وهم ممن يحملون ألقاب الكونت والغيو كونت والبارون فينتخبهم زملاؤهم الأشراف ، ومدة عضويتهم سبع سنوات، وتضمن المجلس فئة أخرى من الأعضاء عينوا بأمر إمبراطورى لمدى الحياة وكانوا من كبار الموظفين ، وسمح أيضاً لكبار دافعى الضرائب فى كل مقاطعة بإنتخاب عضو أو عضوين لتمثيلهم فى المجلس. وقد أقيم هذا المجلس ليكون قوة محافظة تحد من تطرف مجلس النواب ، وكان نجاحاً فى أداء مهمته.

٢- مجلس النواب على غرار الرايشستاغ الألمانى. وقد أختير أعضاء مجلس النواب بالإنتخاب الشعبى غير أن قانون الإنتخاب نص على شروط من ناحية الأملاك ، ويجب توافرها فى الناخبين، فلم يزد عدد الناخبين الذين توافرت فيهم هذه الشروط على ٤٥٠ ألفاً. وقد زاد عددهم نتيجة لحركات الإصلاح حتى بلغ ١٢ مليوناً فى عام ١٩٢٨م.

وكانت سلطات البرلمان التى تقاسمها المجلسان من نوعين وهما: المالية والتشريعية، فكان على الحكومة أن تقدم للبرلمان فى كل عام مشروعاتها ، وخططها الخاصة بالنفقات والإيرادات وأن تقدمها على شكل ميزانية، وهى لا تستطيع إدخال أى تعديل فى نسبة أى ضرائب جديدة إلا بموافقة البرلمان، ولا يمكنها التعاقد على قروض بغير هذه الموافقة. ولكن هذا البرلمان، ولا يمكنها التعاقد على قروض بغير هذه الموافقة ولكن هذا البرلمان لم يكن مع هذا يملك من السلاطات النهائية ما تملكه عادة المجالس التشريعية وتستخدمه بشكل يكفل لها فرض سلطانها على السلطة التنفيذية.

وقد أفرد الدستور للإمبراطور بعض سلطات تتعدى سلطة البرلمان، منها العلاقات الدبلوماسية، وإعلان الحرب ، وعقد الصلح ، وتكوين الهيئة التنفيذية، ومرتبات الموظفين والمدنيين والعسكريين، وحق العضو، وتخفيف الأحكام، وإعلان حالة الحصار، وإدخال التعديلات الدستورية، وتنظيم وراثة العرش، وتعيين الأوصياء ، وفى إمكان الإمبراطور – أى الحكومة – أن يصدر الأوامر اللازمة لتنفيذ القوانين، أو التى تقتضيها صيانة السلام العام ، والأمن، وتوفير الرفاهية للرعايا. وكان عمل البرلمان يخضع لإشراف الحكومة التى كانت لها السلطة فى دعوته للإنعقاد، وتعطيله، وحله.

ولعل خير سلاح إستخدمه البرلمان فى نضاله مع الحكومة هو حق الإستجواب الذى يجوز إستعماله لإثارة أى مسألة ، وكان يجوز أيضاً لأى المجلسين أن يوافق على قرارات يلوم الحكومة وإعلان عدم الثقة بها، ولكن لم يكن لهذه القرارات أى تأثير من الناحية القانونية، ولم ينجح البرلمان فى إقرار مبدأ المسئولية الوزارية، ولهذا كان الأثر الوحيد لقرارات كهذه هو إستثارة الرأى العام ضد الحكومة.

وإستكمالاً للنظام السياسى اليابانى الحديث على النسق الأوروبى فقد سعت الحكومة اليابانية إلى تنشيط الحياة الحزبية فقام ما عرف باسم ((حزب الأحرار)) بزعامة أتياجاكى تاسوكى مقتبسة فلسفته السياسية من الفكر الليبرالى الفرنسى. وحزب آخر بزعامة ((أوكوما)) والذى حظى بتأييد من الشعب اليابانى وخاصة حكومة الميجى.

ونتيجة لهذه التغيرات السياسية التى حدثت فى اليابان، فقد حظيت اليابان بإحترام العالم الغربى، وتنازلت بريطانيا عن إمتيازاتها فى اليابان وحذت بقية الدول الأوروبية حذو بريطانيا بالتنازل عن الإمتيازات التى كانت قد فرضتها على اليابان من قبل، وتطلعت اليابان إلى أن تصبح دولة كبرى وقوة عظمى وهو ما سوف يظهر فى سياستها الخارجية(lxxiv).

الغالبية الساحقة للسكان حتى أنهم كانوا عشية الحرب العالمية الأولى لا يزالون يشكلون نسبة ٨٠% من مجموع السكان وكان مالك الأرض يستقطع حتى نهاية حكم شوجنية التوكوجاوا من بين ٥٠-٦٠% من المحصول. ومع ذلك كان النظام يتميز حينذاك بالمرونة لأن كان يتواسم مع حالة المحصول.

ولكن منذ عام ١٨٧٣م، فإن الإصلاحات التى آتى بها حكم الميجى كانت تستهدف كما أسلفنا فرض ضريبة عقارية بنسبة ٣% من قيمة الأرض بصرف النظر عن حالة المحصول. وكان تثبيت هذه النسبة كارثة على الفلاحين. وصحيح أن الضريبة كان يقوم بدفعها ملاك الأرض ، ولكن نظراً لأن هذا المالك كان ضعيفاً فإن عبئ الدين الناجم عن محصول ردئ فى أحد الأعوام كان يثقل كاهله ويتسبب فى فقدانه للأرض التى يمتلكها. ولكن فى مقابل ذلك فإن ثورة الميجى قد عملت على إختفاء أعمال السخرة فى الأرض الزراعية وألغت الإستبعاد الفردى.

أما عن الأحزاب السياسية وفيما قبل عام ١٨٨٩م تشكلت ثلاثة أحزاب سياسية هى : حزب الأحرار (Parti – Liberal) وكان يرتكز على الأوساط الزراعية بزعامة شخصيتين معروفتين هما أوكوبو (Okubo)، وأيتاجاكى (Itagaki) وهناك الكايشنتو (Kaishinto) ويمثل الطبقات التى تسكن المدن، ويميل هذا الحزب بولائه إلى الطبقات المالية الليبرالية التى تأخذ بالمنهج الإنجليزى وأخيرا هناك حزب التيسيتو (Teiseito) ويمثل مصالح الأوليجاركية السياسية الحاكمة.

ولم يكن لهذه الأحزاب أية جذور فى أوساط الجماهير. وعلى أية حال فمنذ عام ١٨٨٣م إختفى حزب تيسيتو من مسرح الأحزاب، أم الحزبان الآخران وهما الكايشنتو، والأحرار فقد إندمجا فى بعضهما فيما سمى بعد ذلك بحزب الكينسيتو (Kenzeito) ثم تغير أسمه بعد ذلك، بعد حلول عام ١٩٠٠ ليصبح إسمه السيوكاى (Seiyukai) على أن هذه التجمعات الحزبية كانت تتألف بأسلوب قبلى عشائرى أى من مجموعة من الأقارب والإصهار ، وكان الإخلاص والولاء من ثم للجماعات والأشخاص أكثر من كونه للأيديولوجية الحزبية.

وأخيراً ونحن نقوم بتحليل حصيلة هذه الثورة الإجتماعية الجذرية التى واكبت النهضة الصناعية ، والإقتصادية اليابانية يحق لنا أن نتساءل هل كان هناك نزوح ريفى جماعى على نطاق كبير إلى المراكز الصناعية يمثل ما حدث فى أوروبا أثناء نهضتها الصناعية؟ ويأتى الجواب بأن عدد السكان فى اليابان قد زاد فعلاً فى هذه الفترة زيادة ضخمة ، وكان على الشبان أن يجدوا لهم عملاً فى الصناعات التى تتركز بطبيعة الحال فى المدن ، ولكن يجب أن نلاحظ هنا وبصفة خاصة أن هذه الهجرة أو هذا النزوح البشرى قد أصاب المرأة بأكثر مما أصاب الرجل وكان ذلك أمراً عارضاً

أيضاً. فسرعان ما عمل الزواج على عودة هؤلاء النازحين فى معظمهم إلى المدن بإتجاه قراهم الأصلية. على أن هذه ((البروليتاريا)) الناشئة شهدت أحوالاً ، وظروفاً بالغة الصعوبة تتمثل فى ضعف الدخول فى البداية ، وعدم وجود أية تشريعات لحمايتهم بالإضافة إلى إستخدام أسلوب أشبه ما يكون بأسلوب القسر والسخرة فى تشغيلهم(lxxv).

ـ الأحزاب السياسية اليابانية المعاصرة :

وهى قسمان الأحزاب المحافظة ، والأحزاب التقدمية.

الأحزاب المحافظة : الليبرالى الديمقراطى

وتعود جذور هذا الحزب عندما بدأ ايتاجاكى عام ١٨٧٤م بتشكيل جمعية نيابية لتكون معادلة لقوة كبار الموظفين التقليديين، ونظم رابطة سياسية كنواة لحزب سياسى، هذه الرابطة كانت تقدم الإستشارات للساموراى تلك الطبقة المهمة فى المجمتع اليابانى فى تلك الفترة.

وفى عام ١٨٨٢م قام أوكوما بتكوين حزب سياسى ثانٍ، ومن هذين الحزبين تشكلت الحياة الحزبية فى اليابان. فقد سيطر على الدايت حزب أيتاجاكى باسم الحزب اليبرالى الذى أطلق عليه فى اليابان اسم الجيوتو Jiyoto أو حزب الحرية.

وفى عام ١٩٠٠ إنضم إلى هذا الحزب كبار رجال الحكومة لتشكيل حزب جديد باسم السيوكاى Sieyukai.

الحزب الثانى: تغير اسمه عدة مرات فصار عام ١٩٢٧ المنسيتو Meinseito أى حزب حكومة الشعب. وتعاقب على الحكم مع حزب السيوكاى – ثم بعد الحرب العالمية الثانية استعاد نشاطه تحت اسم الحزب الديمقراطى.

وفى عام ١٩٥٥م اندمج الحزبان الرئيسيان الديمقراطى والليبرالى ليكونا معاً الحزب الليبرالى الديمقراطى الذى حكم اليابان فترة طويلة جداً.

ويعتبر هذا الحزب من أقوى الأحزاب اليابانية وما زال مسيطراً على الحكم منذ عام ١٩٥٤م، وسبب ذلك يعود لأن هذا الحزب محافظ فى إتجاهاته الأمر الذى يتناسب وطبيعة اليابانيين، كما أن برنامج الحزب يتضمن بناء دولة الرفاهية من خلال التنمية الصناعية. ومن ناحية السياسة الخارجية للحزب فإنها تميل للولايات المتحدة الأمريكية، أما من ناحية سياسيته الداخلية فهو منتشر فى جميع أنحاء اليابان لغاية هى الحصول على أصوات الناخبين فى الإنتخابات النيابية، ورئيس الحزب هو الذى يتولى رئاسة الوزارة عندما يكون للحزب أغلبية نيابية.

يعتمد الحزب الليبرالى الديمقراطى فى تمويله على الشركات والمؤسسات الإقتصادية الكبرى، لذلك تفوق موازنته أى حزب آخر. كما أن عدد المقاعد التى يشغلها الحزب الليبرالى الديموقراطى أكبر من تلك التى تشغلها جميع الأحزاب المعارضة. ولكن النسبية موجودة فعندما ينقص عدد مقاعد الحزب الليبرالى الديمقراطى يزداد عدد الأحزاب التقدمية المعارضة.

أما الأحزاب السياسية الأخرى والمسماة الأحزاب التقدمية فتشمل:

١- الحزب الإشتراكى.

٢- حزب الحكومة النظيفة.

٣- الحزب الديمقراطى الإشتراكى.

٤- الحزب الشيوعى.

وتشكل هذه الأحزاب مجتمعة نواة معارضة الحزب الحاكم أى الحزب الليبرالى الديمقراطى.

لابد من القول أن حزب الجماهير الإشتراكى Social Mass Party كان قد تأسس عام ١٩٣٢ إلا أنه أجبر مع غيره من الأحزاب على حل أنفسهم عام ١٩٤٠م أى قبل دخول اليابان الحرب العالمية الثانية[lxxvi].

١- الحزب الإشتراكى : أقوى أحزاب المعارضة ولكنه لا يستطيع أن يتقدم إلى جانب الحزب الحاكم - الليبرالى الديمقراطى - فهناك فارق كبير بينهما.

يتضمن برنامج الحزب الإشتراكى علاقات تعاونية غير عدائية مع الصين والولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى. ويحاول الحزب إحراز مزيد من التقدم والتأييد عن طريق توسيع قاعدته الشعبية. ولكن قلة موارده المالية ما زالت تقف حائلة دون تحقيق أهدافه. وتسيطر المركزية على الحزب فلا يمكن إتخاذ قرارات مهمة دون الرجوع للهيئات المركزية. وقد استعاد الحزب الإشتراكى نشاطه بعد الحرب العالمية الثانية محققاً أعلى نسبة للأحزاب المعارضة فى عام ١٩٤٧م حينما حصل على ٢٦% من أصوات الناخبين فى حين حصل الحزب الحاكم - الليبرالى الديمقراطى - على ٦١% من هذه الأصوات.

٢- حزب الحكومة النظيفة : أو حزب كوميتو يمثل المرتبة الثانية بين أحزاب المعارضة تأسس عام ١٩٦٤م ويتضمن برنامجه تحقيق الكرامة الإنسانية ويرى ضرورة الفصل بين الدين والدولة.

٣- الحزب الديمقراطى الإشتراكى : تأسس عام ١٩٦١م ويمثل الجناح اليمنى من الإشتراكيين يتضمن برنامجه أن تتبنى اليابان سياسة حيادية.

٤- الحزب الشيوعى : تأسس عام ١٩٢٢م، ليس له أى وزن رسمى أو أى دور سياسى. يتأثر وضع هذا الحزب بالعلاقات بين الإتحاد السوفيتى واليابان.

وهكذا يتبين لنا أن الأحزاب المحافظة التى يمثلها بالتحديد الحزب الليبرالى الديمقراطى تتفوق على الأحزاب التقدمية فى إتخاذ تسيير القرار السياسى اليابانى رغم وجود تيارات فى داخل الحزب الليبرالى الديمقراطى سببها الخلافات بين زعماء الحزب الذين يشكلون أجنحة أو إنشقاقات، وقد إنتشرت ظاهرة الخلافات والإنشقاقات فى داخل كل حزب يابانى حتى أصبحت سمة من سمات الأحزاب اليابانية. فقد بلغ عدد الإنشقاقات، داخل الحزب الليبرالى الديمقراطى سبعة عشر إنشقاقات. ويعتقد البعض أن هذه الإنشقاقات دليل ديمقراطي، وأنه عندما ستظهر قوة الأحزاب الإشتراكية المعارضة فإن هذه الإنشقاقات تختفى تلقائياً.

هناك أمر لابد من التنبيه إليه وهو علاقة رجالات الحزب الليبرالى الديمقراطى بالشركات الكبرى ، ورجال الأعمال ، والتجمعات الصناعية ، وهؤلاء الرجال هم المرشحون لإحتلال المراكز القيادية مستقبلاً فى الحزب.

وفى المقابل نجد علاقات رجال الأحزاب الإشتراكية قوية بالنقابات العمالية، فالحزب الإشتراكى يعتمد على النقابات العمالية ، أو إتحادات العمال اليابانية التى تمد الحزب بقاعدة إنتخابية قد تجاوز نصف مجموع المؤيدين للإشتراكيين فى الإنتخابات.

فى الواقع إذا كان الحزبان الكبيران فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية يتبادلان الحكم حسب القوة وظروف كل منهما، فإن الحكم فى اليابان تسيطر عليه الأحزاب المحافظة منذ عام ١٩٤٧م، كما يسيطر عليه الحزب الليبرالى الديمقراطى منذ عام ١٩٥٥م دون إنقطاع.

ويلاحظ أن قادة القوى السياسية المحافظة هم رجال لديهم الخبرة السياسية ويؤيدون الإقتصاد المختلط بين القطاع الخاص ، والمشاركة الحكومية كما أن لهم علاقات مع رجال التجارة والبيوقراطيين ، ولا يثقون بالماركسية بل يعادونها دائماً.

أما عن أسباب سيطرة الحزب الليبرالى الديمقراطى الحاكم فعديدة منها :

١- إستفادة الحزب من الناخب الريفى مقابل الناخب الحضرى. سيما وأن إتجاهات الحزب المحافظة تتفق وميول الريفيين.

٢- إستفادة الحزب من الإستقرار الإقتصادى للسيطرة على الحياة السياسية، فيرى الناخبون أن الإستقرار مرتبط ببقاء الحزب فى الحكم، ويعتقد البعض بأن هذا الإستقرار لا يجرى لمصلحة الحزب الليبرالى الديمقراطى لأن الظروف المرتقبة قد تؤدى لوصول الإشتراكيين للحكم.

وبمقارنة الأحزاب اليابانية بغيرها من الأحزاب العالمية نلاحظ أن هذه الأحزاب تجمع بين النظرية الديمقراطية الغربية ، وبين التقاليد السياسية اليابانية، مع أن هذه الأحزاب تعانى من الإنشقاقات ، وخاصة ما نلحظه فى الحزب الديمقراطى الليبرالى المكون من عدة أجنحة، ولعل ذلك يعود لإندماج الحزبين الليبرالى ، والديمقراطى المختلفين بالغاية دون أسس فكرية موحدة.

وإذا سلمنا بأسباب الإنشقاقات فى الحزب الليبرالى الديمقراطى فإننا نستغرب وجود إنقسامات أدت إلى سبعة أقسام موجودة فى الحزب الإشتراكى ، والذى يضم إشتراكيين يمينيين ، وإشتراكيين متطرفين.

إن غالبية الأحزاب اليابانية لا تعرف الإستقرار الداخلى ، ولم تحول أن تضع برامج سياسية واضحة تعمل بمقتضاها، وهدفها الوحيد هو كسب المعارك الإنتخابية، وتخطى عوائقها المالية ، والتى تنجم غالباً عن عدم دفع الأعضاء المنتسبين للحزب من رسوم الإشتراكات المتوجبة عليهم.

من هنا نلحظ أن الجهاز البيروقراطى فى المجتمع اليابانى هو الذى يقوم بقيادة الأحزاب، وذلك لما للبيرقراطيين من أهمية، وتعمل الأحزاب للإتصال بهم وجذبهم بعد إحالتهم على التقاعد ليكونوا أعضاء قياديين فى الحزب ، وبالتالى فإن القياديين المحليين فى المناطق لا يشاركون فعلياً فى قيادة الحزب، وإنما الأعضاء المركزيين هم أصحاب القرار.

وهكذا تختلف الأحزاب السياسية اليابانية من أحزاب لا تتصل بالرأى العام وبالتالى فإن قراراتها فوقية وبيروقراطية كما هى حال الحزب الليبرالي الديمقراطي، وبين الحزاب الاشتراكي الذي هو على علاقة وثيقة بالسوهيو وهى المنظمة التي تضم عددًا كبيراً من نقابات العمال الكبيرة ، والتي لها مواقف عديدة معظمها يدور حول التقارب بين موسكو ، وبكين. وتقف ضد اتفاقية الأمن المتبادل بين الولايات المتحدة، واليابان أو القواعد الأمريكية في اليابان والتسلح النووي [lxxvii].

وقد ارتبط تطور الأوضاع السياسية باليابان بنزعتها العسكرية حيث أعطيت العشرينات صورة عن عصر ليبريالي أعطاه اليابانيون اسم (ديموقراطية تيشو) . ومع الثلاثينات بدأت حقبة جديدة من السياسة الاستبدادية والتوسع العسكري، وأسباب هذا التحول قد تفوت (جزئيًا) المؤرخ الذي لا يستطيع إلا أن يلجأ إلى بعض الفرضيات التفسيرية ، وأن يضع التطور الياباني في سياقه العالمي. إذ أن انزلاق اليابان إلى نظام الحكم الشمولي أتى في اللحظة نفسها التي غدت فيها دولتان كبيرتان من دول أوروبا الغربية دولتين استبداديتين، فوصول العسكريين اليابانيين إلى السلطة حدث بعد انتصار الفاشيست الإيطاليين ، وتزامن تقريبًا مع تصاعد النظام الهتلري في ألمانيا. وهذا التزامن بين هذه التطورات الثلاثة قد ينبئ عن شئ من القرابة في الإيحاء.

ليست النزعة التسلطية والعسكرية بجديدة في اليابان، فهى تعود إلى النظام القديم حيث لم تكن الأخلاق العسكرية المبالة للخضوع إلى الأوامر المتلقاة من الأعلى تسمح بمكان لإظهار المبادرات الفردية ، والتحديث الذي جرى بعد عام ١٨٦٨ والذي فهم على أنه رد على تحدي الغرب العسكري قد أشرفت عليه القيادة العليا للجيش والبحرية .

ولاشك أن نهاية الحرب العالمية الأولى أدت إلى ليبرالية في النظام ، وإلى توجه أكثر مسالمة في السياسة الخارجية، ومع ذلك فإن الكثيرين من اليابانيين بقوا أنصار للطرائق التسلطية في الحكم، والأخلاق الكونفوشيوسية القديمة التي تدعو إلى انسجام اجتماعي يفرض على الجميع لقيت ترحيبًا أكبر من الترحيب بالأنظمة الفردية الغربية ، ومن اللجوء إلى المؤسسات لحل المنازعات على المصالح في برلمان متعدد الأحزاب. وقد بقى قادة السياسة اليابانية مرتبطين بمفهوم التسلسل وأن السلطة هى للنخبة من الناس، ولم يكن أحد يفكر بانتقاد المؤسسة العسكرية لأن جماهير المواطنين مجذوبة بشعور الفخار القومي عندما تذكر الفتوحات التي قام بها جيش اليابان .

منذ العشرينات واجهت اليابان مصير أمة منقسمة على نفسها أعمق انقسام، انقسامات اقتصادية و اختلافات في العقليات وطرائق العيش بين سكان المدن وسكان الأرياف، منازعات القدماء والمحدثين حول مجهود التجديد، انقسامات ناجمة عن اختلاف مستويات الثقافة والتعليم. فالنزعات الليبرالية كانت تنبثق من أوساط المثقفين في المدن أما في الأرياف حيث بقيت المدارس الابتدائية عامل التغيير الوحيد فقد بقيت الحياة تتابع رتابتها الأولى .

لقد نظر الفلاحون وسكان الأرياف الذين مازالوا يمثلون أكثرية سكان اليابان إلى التحول الذي طرأ على المدن بدهشة ممزوجة باللوم والنقد. والعناصر المحافظة التي تتكاثر كل يوم كانت تغتاظ من انحرافات (الموغا MOGA) وتعزو الأفكار الليبرالية أو المتطرفة إلى قبضة من المثقفين المنحلين. وكثيرون هم ضباط الجيش ، والبحرية، وصغار الملاكين الريفين ، وصغار الطبقات الوسطى الذين رفضوا توجيه أي نقد أو اتهام للعلاقات السلطوية القديمة، وهذه الفئات تنتمي لأجيال ما بعد عصر الميجي MEIJI وتم تشكيلها وفقا للنظام التعليمي الجديد، وقد رسخت المدرسة في أذهانهم حماسة وطنية وروحًا عسكرية لم تعودا مألوفتين في الخارج، وبما أنهم قليلوا الاطلاع على التطور الحديث الذي يجري في البلاد الأخرى فإنهم ينسجمون تمامًا مع حكومة استبدادية ، ومع توسع إمبريالي شبيه بالتوسع الذي عرفه عصر الميجي، وكان رجال السياسة الليبراليون الذين ظهروا بعد الحرب يبدون لهم مدافعين عن مصالحهم ، وبدا لهم إيقاف تطوير القوات المسلحة والاستعمار عملا ينم عن الخيانة، وقد اجتذبت فكرة التوسع العسكري الطبقات الوسطى ، وجعلتها تقف في صف القادة القدماء لعصر الميجي، ولكن التوجيه الذي كانت تقدمه المدرسة الابتدائية بدا أنه حرم المواطن المتوسط من الروح العملية ، والإنتهازية اللتين عرف رجال الميجى ما لهما من قيمة وفائدة. منذ السنوات الأولى للإصلاح أصبح بالإمكان الكشف عن العلاقة المبكرة لما سيُسمى (بالقومية المتطرفة). فبعض اليابانيين

لم يكن يستطيع التخلى عن ردود الفعل القومية البدائية التى تخلى عنها رجل الشارع عن طيب خاطر. بينما حملة المعارضة التى قامت على الحكومة على يد ساموراى الأطراف وتمرد البلاء الذى حدث فى السبعينات من القرن التاسع عشر كانا ظاهرتين عفويتين لتيار سيصبح من مبادئ ((حزب الحرية وحقوق الشعب – JIYU – MINKEN UNDO)). وقد إنفصل هذا التيار القومى المتطرف شيئاً فشيئاً عن التيار الليبرالى الذى كان فى البدء متضامناً معه ، وقد دعمه للوهلة الأولى إلى الحركات الثورية التى ترفض السيطرة الغربية فى البلاد الآسيوية الأخرى ثم غدا بعد ذلك بطل التوسع الإستعمارى الذى أعُبر ترياقاً شافياً من الهيمنة الأوروبية فى آسيا، وبذلك تكون التطلعات الإستعمارية قد إختبأت وراء أفكار (الجامعة الآسيوية) [lxxviii].

نشطت هذه الحركة القومية المتطرفة على يد متطرفين نشيطين ينتمون إلى المقاطعات الواقعة إلى أقصى الغرب من الأرخبيل ، والتى جعلها قربها من القارة أكثر حساسية لمشاكل البلاد الآسيوية الأخرى. وفى عام ١٨٨١م تأسست فى الشمال من كيوشيو (جمعية جينيوشا الوطنية) التى ستنقلب إلى (الكوكوريوكى) عام ١٩٩٠. ومن أجل أن يؤثر الغربيون تأثيراً قوياً فى خيال المستمعين ترجموا هذه التسمية إلى (جمعية التنين الأسود)، والواقع أن هذا التعبير المشتق من كلمة صينية معناها "نهر أمور" توحي إن الحدود الطبيعية لليابان إنما تقع إلى الشمال من منشورياً حيث يقع نهر آمور.

وبعد الحرب العالمية الأولى حصلت الدول الإستعمارية الضاغطة على نفوذ متزايد فى الحياة السياسية اليابانية وخرجت من كبار الموظفين ذوى الأفكار الرجعية (جمعيات وطنية) وجهت همها ونشاطها إلى النخبة من المثقفين بينما قام مناضلون منهم يعملون فى صفوف الطبقات الشعبية ، ولجأ الشعراء الشعبيون ، والمغنون يستمدون موضوعاتهم من حكايا الفلاحين القديمة ، ومن الروايات التى تروى أخبار عهود الإستبداد الماضية. وكما فعل رجال الإصلاح فإنهم تمسكوا بسلطة الإمبراطور المقدسة، وقدموا أنفسهم مدافعين عن "النموذج المثالى القومى" (كوكوتى) والمتحدثين باسم "الإدارة الإمبراطورية" هذان التعبيران اللذان استعملوهما دائماً سيكونان خطوة كبرى منذ ذلك الوقت. وقد قدمت الأوساط القومية المتطرفة شيئاً من عناصر مبدئها للنظريات الإشتراكية الغربية كالفاشيستية الإيطالية والإشتراكية القومية الألمانية، والإهتمام البالغ الذى ناله هذان النظامان الأخيران بدا كأنه إثبات على أن الديمقراطية الليبرالية ربما لم تعد طريقة للحكم ينتظرها ذلك المستقبل العظيم.

إن الحركة القومية المتطرفة أريد لها أساساً أن تكون ضد الغرب. فقد شعر اليابانيون أن بلادهم رغم كونها دولة عظمى لم تصل بعد إلى المساواة المطلقة مع الغرب. فالأمريكيون ، والأوروبيون يصعب عليهم تصور أن أمة من العرق الأصفر يمكن أن تكون على قدم المساواة مع الأمم الأخرى. وفى عام ١٩١٩م أثناء مؤتمر الصلح فى فرساى طلبت البعثة اليابانية تبنى بند يضمن (المساواة العرقية بين الأمم) ولكن الولايات المتحدة وبريطانيا عارضتا قبول المشروع ، وكان الرفض ينسجم مع التشريعات الأمريكية ، والكندية ، والأسترالية التى تضيق من نطاق هجرة الآسيويين إلى بلادهم. وكان العالم الغربى منذ عدة عقود من السنين ينتابه وسوس الخطر الأصفر لذلك عمدت الولايات المتحدة الأمريكية إلى المعايير العرقية لمنع الجنسية الأمريكية عن الأسيويين، وإنتشر فى كالفورنيا ، وفى العديد من الولايات الغربية تمييز عنصرى فى المدارس، وكان السكان يرفضون بيع الأراضى إلى إناس قدموا من الشرق الأقصى. ومن أجل وضع حد لهذا المناخ من التوتر وقعت اليابان ، والولايات المتحدة فى عام ١٩٠٨م "إتفاق جنتلمان" للحد من الهجرة اليابانية. ولكن هذا الإتفاق لم يكن كافياً فى نظر الكونغرس الأمريكى الذى تبنى فى عام ١٩٢٤م "قانون إستبعاد" يمنع اليابانيين من

الحصول على الجنسية الأمريكية. وإستقبل اليابانيون هذا التدبير على أنه إهانة لا مسوغ لها ، وشعروا بمهانة كبيرة. ولابد أن نذكر هنا كذلك بعض التصرفات التى كان لها أثر فى تاريخ الولايات المتحدة ، وتاريخ اليابان على السواء مثال ذلك أن الشعور العنصرى بلغ مداه فى الولايات المتحدة تجاه الأسيويين فى بداية الحرب العالمية الثانية، فكان إسكان الساحل الغربى من اليابانيين بما فيهم أولئك الذين ولدوا فى الولايات المتحدة وأظهروا لنظامها ولاء شبه فيه وصودرت أملاكهم ، وحشروا فى حظائر مع عائلاتهم فى معسكرات للتجميع ولم يستثن حتى الشيوخ المسنون من هذه المعاملة اللا إنسانية.

بقى التيار القومى المتطرف فى اليابان محصوراً فى أوساط محدودة من الناحية العددية ولم تكن له الأهمية التى نالها فى كل من إيطاليا وألمانيا ، وإن آثار حركة واسعة فى الرأى العام، ويمكن أن تضاف رد الفعل هذه إلى عواقب الأزمة الإقتصادية كما أنها نجمت كذلك عن الضيق الذى سببته القطيعة مع الكوادر الإجتماعية القديمة، وعن الإنحلال المتمادى لوحدة البلاد الأخلاقية. فنفور المثقفين والظروف التى يعيش فيه عمال المدن، وإفتقار الحرفيين ، وأصحاب المشروعات الصغيرة بسبب منافسة الشركات الكبرى، والوضع اليائس للعديد من الفلاحين ضحايا إنهيار أسعار المحاصيل خلق كل ذلك فى نهاية العشرينات موجة من الإستياء العام. وكانت هذه الدول المختلفة تهاجم السيطرة الإقتصادية لأصحاب الشركات الكبرى ونفوذها على الأحزاب السياسية، وقد أصابت الخيبة كل أولئك الذين حلموا بمستقبل لعصر الميجى، وتلت الوعود حقيقة منفرة عبرت عنها المصادمات بين الرأسماليين الشرهين أو رجال السياسة الفاسدين. وكانت الرأسمالية الصناعية والنظام البرلمانى ، ومجتمع المدن تبدو لكثير من اليابانيين مشبوهة لأنها تذكرهم بعالم الغرب. وكما حدث لبلاد أخرى فى أزمان أخرى فإن اليابان مالت بكثير من الحنين إلى ماضيها ، وأملت أن تجد فى وصفاته القديمة جواباً لمشاكلها المعقدة فى عصر القلق الذى كانت تعيش فيه[lxxix].

ومن الطبيعى أن تستند رد الفعل السياسي والإجتماعي على الطبقة العسكرية. وحن نتذكر أنه بفضل ياماغاتا نجح الضباط دائماً فى المحافظة على إستقلالهم فى قلب الحكومات المتعاقبة ، وكانوا يتمتعون بحرية واسعة فى العمل. وكان الجيش فى أذهان الجميع شريكاً فى كل إنجازات عصر الميجى ، ومتوجاً بهيبة التقاليد الأرستقراطية القديمة، واليابانيون يتخيلون ضباطهم رجالاً خارج نطاق المألوف أو طبقة تشبه الكهنوت فى خدمة الدولة. ويعتقدون بأن كبار موظفى الجيش أكثر شرفاً وأمانة أو (بحسب تعبيرهم) أكثر صدقاً من الصناعيين ، أو رجال السياسة المشغولين دائماً بمصالحهم الأنانية والرؤساء العسكريون يوافقون بطيب خاطر على هذه الصورة المتملقة. وبما أنهم وضعوا منذ صغر سنهم فى مدارس للأحداث عزلتهم عن العالم الخارجى فقد نشؤوا على التقاليد العسكرية الكبيرة. وبما أنهم تلقوا ثقافة قومية تقارب التوجيه المذهبى فإنهم يحقدون على رجال السياسة الذين حرموهم فى الماضى من ممتلكاتهم وماخيلهم. أما فى موضوع العلاقات الدولية فإنهم لم يرضوا عن إبعادهم إلى مكانة ثانوية تضعهم وراء طبقة التجار فى معالجة الأمور السياسية. وأخيراً فإنهم اتهموا رجال الميجى بأنهم حطموا حوافز الأمة الأخلاقية التى بدونها لا تكون قوة البلاد العسكرية . فإرتباطهم بالقيم التقليدية وإستقلالهم النسبى فى قلب الحكومة هيأ الضباط لأن يكون لهم دور مميز فى رد الفعل السياسية[lxxx].

وقد مهد وصول العسكريين إلى السلطة إلى إقامة نظام الحكم الشمولى. ويذكرنا تطور اليابان فى أكثر من ناحية تطور إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية. وكان الجيش والبحرية المتحفظين تقليدياً تجاه النظام الصناعى الرأسمالى

ينظرون بتعاطف إلى المبادئ النازية التى تـدعو إلى الإشـتراكية الوطنيـة. وكـان قـادة (الزيباتسـو) مـن جهـتهم وكذلك المسؤولون عن الإقتصاد يتخوفـون مـن السياسـة الخارجيـة المغـامرة التـى يمارسـها العسـكريون، ومـن تزايـد النفقات التى تتطلبها، وثقل وطأتها عـلى الميزانيـة. ولكـن كـل واحـد مـن هـذين المعسـكرين كـان يجتهـد فى تجنـب التعصب أو اتخاذ مواقف مبدائية قاطمة، ويواصل أحلامه فى قيام إتفاق عقلانى قائم على أساس من المصالح المتبادلة. والواقع أن الجيش ما لبث أن بدا عاجزا عن تحقيق التطور الإقتصادى فى الممتلكات المنشورية، ووجـب عليـه اللجـوء إلى رجال الأعمال فما لبثت أن ظهـرت مجموعـة مـن (الزيباتسـو) المنشـورية. وكـان الجـيش يهـتم مـن جهـة أخـرى بالتطبيقات الإقتصادية للنظريات الإشتراكية، ويفكر خصاصاً بإمكان (تعبئة عامة) و(بدفاع أمة مسلحة). وكـان يمكـن لهذه الأهداف أن تتحقق بكل سهولة بإستخدام النظام الإقتصادى القائم بدلاً من تغييره. فاليابـان لـن تعـرف إذن أى حركة تأميم من أى نوع ولن يبذل أى جهد حقيقى لتعديل مصير جماهير الفلاحـين الـذين لفتـت قضـيتهم مـع ذلـك إنتباه العسـكريين. وعنـدما تحولـت الأزمـة إلى نـزاع مسـلح إكتفـت الحكومـة بإقامـة رقابـة مشـددة عـلى الأنشـطة الإقتصادية التى لم تكن تختلف فى شئ عن الأنشطة التى أقامها الديموقراطيون الغربيون خلال الحرب العالمية الثانيـة [lxxxi].

إتجاه النظام إلى (الطريقة الشمولية TOTALITAIRE) فى الحكـم ظهـر فى بـادئ الأمـر فى التضـييقات التـى فرضت على الحريات الفردية وعلى التعبير عن الرأى. ونذكر أن (قانون حماية الأمن المـدنى) الـذى صـدر عـام ١٩٢٥م كان يعاقب على مجرد إقتراح تغيير فى النظام أو إلغاء الملكية الخاصة. أما بعد عام ١٩٣١م فقد تبنى عدد من القوانين المماثلة وتأمن تطبيقها بدقة فى الأرخبيل على يد "الشرطة الخاصة" (التى أطلق عليها أيضاً اسم "الرقابة على الـرأى")، وطبقت فى المستعمرات على يد الشرطة العسكريين. وزج رجال اليسار ومناضلوا العمال والطلاب بالمئات فى السـجون، وأنذروا بالتخلى عن (أفكارهم المؤذية). وأوقف بعض الأساتذة عن متابعة التدريس. وفى عام ١٩٣٥م وجه الإتهام إلى ميذوب الذى كانت نظريته عن (الأعضاء) قد نالت بعض الحظـوة فى أوسـاط المثقفـين خـلال العشرـينات بأنـه قـدح بالذات الملكية فمنعت كتاباته وأضـاع فى أن واحـد منصبـه الجـامعى ومقعـده فى مجلـس الأعيـان. وإلى هـذا تضـاف ملاحقة الساحرات التى تقوم بها عناصر متفرقة. ولجأ متعصبون من المتطرفين القوميين إلى تخويف وتجـريح منظمـين لإسكات المعارضين الذين لم يكونوا مع ذلك قادرين عـلى التعبـير عـن آرائهـم فى مجتمـع خاضـع ممتثـل يمـارس فيـه الضغط الإجتماعى ثقله الباهظ على الأفراد.

والدعايا هى العلامة الثانية التى يعرف بها نظام شمولى بطريقة مؤكدة. وقد لجأت إليها الحكومـة عـلى أوسـع نطاق لتحديث البلاد. وغدت تستخدم منذ الآن طرائق للإقنـاع سريعـة التـأثير تطبقهـا بطريقـة منهجيـة عـن طريـق المدرسة أو أجهزة الإعلام. وكان على الكتب المدرسية أن تعـاد صـياغتها عـدة مـرات لتصـبح قريبـة مـن الإديولوجيـة الرسمية. على أن النظام الشمولى اليابانى لم يكن له قط كتاب مثل (كفاحى) رغم الجهود التى بذلت فى هـذا الإتجـاه. فقد طرح بين يدى الطلاب دليل أخلاقى وسياسى بعنوان (المبادئ الرئيسية للكوكوتو) (كوكوتى دوهونجى) هـو مـزيج من مجموعة غير متجانسة من المفاهيم البالية إلى حد بعيد بحيث نجد فيه خليطاً من قصص أسطورية تمجد التفـوق اليابانى وإستمرار الأسرة المالكة اليابانية وتعظم (الإدارة الإمبراطوريـة) وتـذكر بالفضـائل الكونفوشيوسـية عـن الـولاء الشخصى وبر الأبناء بالآباء كما تذكر بقانون العصور الوسطى عن شرف المحارف. فالكوكوتى نوهـونجى KOKUTAI NO HONGI ذو إيحاء مخالف قطعاً للإيحاءات الغربية بتنديده بالفردية التى ينسب إليها كل رذائل الغـرب بـدءاً من الديمقراطية وإنتهاء بالشيوعية [lxxxii].

٢- الأوضاع الإقتصادية

كانت سياسة حكومة الميجى ترمى فى المقام الأول إلى المحافظة على إستقلال اليابان، وكانوا بعيدى النظر إلى حد جعلهم يدركون أن القوات العسكرية للبلاد لا يمكن أن يكون لها أثر يذكر إلا إذا إعتمدت على إقتصاد حديث قوى يمكنه أن يسد مطالبها، ولهذا كانت مسألة إقامة إقتصاد عصرى، ومن أول المهام الجوهرية التى كرس لها هؤلاء الزعماء جهودهم. وكانت البداية قد وضعت فعلاً خلال عهد التوكوجاوا حيث قامت حوالى عام ١٨٦٦م بإستيراد آلات نسيج القطن من إنجلترا وإستقدمت فنيين لهذه الصناعة، كما قبل عام ١٨٨٠م إنشاء فرناً عاكساً للحرارة وحوضاً لبناء السفن وترسانة بحرية. وتولت حكومة الميجى رعاية معظم هذه المنشآت وأضافت إليها بعض المؤسسات الإستراتيجية التى أقامتها بنفسها، كما أنشأت مصانع نموذجية فى ميادين أخرى كنسيج القطن، والأسمنت، والأصواف، ولف الخيوط الحريرية، وكان الغرض الأساسى منها سد الحاجات الضرورية العاجلة، ولتكون نموذجاً تحتذيه المؤسسات الخاصة.

وتمكنت الحكومة اليابانية فى الفترة من ١٨٧٢ – ١٨٨٤م من بناء معظم السكك الحديدية، وأمكن لها عن طريق هذه الشبكة الحديدية ربط كافة المدن الكبرى بعضها ببعض. ولم تقتصر هذه الجهود الجبارة على السكك الحديدية وإنما شملت كذلك الخدمات التلغرافية. فما أن حل عام ١٨٨٠م حتى كانت كافة المدن الهامة قد إرتبطت بخدمة تليفونية، وتلغرافية كاملة، وكان العامل الإستراتيجية قد أملى هذه الجهود فى تقدم وسائل المواصلات والإتصالات. وكذلك ظهرت بصمات الدولة الواضحة فى إنشاء الترسانات البحرية فكانت الدولة تمتلك خمس ترسانات بحرية كبرى. كما تولت الحكومة بنفسها حفر المناجم وصناعة التعدين. وإلى جانب ذلك قامت الحكومة بمشروعات الرى، وتم إدخال وسائل التسميد الصناعى فى الزراعة. وفى جميع هذه المجالات، كان الغرب هو النموذج المثالى الذى تحتذيه اليابان.

وفى ٥ أكتوبر ١٨٨٠م قررت الحكومة أن تنسحب من ميادين الصناعة والتعدين. حيث تم بيع كافة المشروعات التى تمتلكها الدولة للأفراد أو المؤسسات الخاصة، فيما عدا السكك الحديدية، والخدمات التلغرافية، والترسانات البحرية. وبيعت هذه المشروعات إلى المؤسسات الخاصة بأسعار منخفضة للغاية عن تكلفتها الأصلية، ولقد ثار فى الأوساط اليابانية جدلاً كبيراً حول بيع هذه المشروعات ولكن يبدو أن الحكومة اليابانية فى تلك الآونة، كانت تنظر للأمور نظرة عسكرية جعلتها تخفف من أعباء بعض المشروعات التى ترى أنه يمكن للقطاع الخاص أن يقوم بمسئوليته تجاهها. وفى نفس الوقت هيمنت الحكومة وبقوة على النظام المصرفى الأمر الذى مكنها أن تدبر بطريقة غير مباشرة دفة النشاط الإقتصادى إلى الوجهة التى تريدها.

وقد خلق هذا النشاط الإقتصادى بعض المشاكل المالية للحكومة تبلورت فى إمكانية تركيز إستثمار رؤوس الأموال داخل البلاد مع الحصول على العملة الأجنبية لتمويل صفقات المهمات والمساعدات الفنية اللازمة للمشروعات الصناعية من الخارج. ولما كان اليابان بلداً زراعياً فى المقام الأول، والزراعة هى المورد الرئيسى للإيراد فقد أصبح لا مفر من فرض ضرائب باهظة على هذا الجانب من الإقتصاد للحصول على رأس المال للصناعة. وقد تيسر ذلك بفضل الإستثمار الزراعى وزيادة مساحة الأراضى المنزرعة.

ومن أبرز المشكلات الإقتصادية التى واجهت حكومة الميجى التضخم النقدى فى الستينيات والسبعينيات من القرن التاسع عشر الناجم عن خروج الذهب من البلاد بكميات كبيرة عقب فتح الموانى والترخيص للبنوك الأهلية

بإصدار أوراق نقدية دون مقابل. ولمواجهة تلك الأزمة المالية، إتخذت الحكومة بعض الإجراءات وقامت بتخفيض قيمة العملة عام ١٨٦٠م، الأمر الذى ساعد على إستمرار التضخم النقدى وإستمرار إرتفاع الأسعار وقد عمدت الحكومة لمواجهة هذا الوضع إلى إنتهاج سياسة الإنكماش الإقتصادى فى السبعينيات من هذا القرن، والتى إستمرت إلى منتصف الثمانينيات حيث عاود الإقتصاد اليابانى إنطلاقه مرة أخرى[lxxxiii].

ولقد كان المورد الوحيد للأموال الذى أصرت الحكومة اليابانية على رفضه رفضاً تاماً خلال تلك الأزمة هو القروض الأجنبية، خوفاً من الوقوع تحت طائلة الديون الخارجية التى تفرض على الدول المدينة تقديم إمتيازات متعددة للدول الدائنة. ولعل اليابان كانت متأثرة بما حدث للصين حينما أغرقتها الدول الغربية عمداً بالقروض والديون مما عرقل مسيرة تطورها وإنتقص من سيادتها. ولذا نجد اليابان منذ عصر الميجى وحتى نهاية القرن التاسع عشر، لم تعقد سوى قرضين صغيرين. حيث تقدمت حكومة الميجى بطلبين للإقتراض من لندن. تضمن الطلب الأول مليون جنيه إسترلينى لإنشاء خط سكة حديدية يربط بين طوكيو ويوكوهاما عام ١٨٧٠م وتضمن الطلب الثانى ٢,٤ مليون جنيه إسترلينى لتصفية الرواتب المتوارثة التى كانت تتقاضاها طبقة الساموراى السابقة عام ١٨٧٣م ولم تجد اليابان صعوبة فى تسديد الأصول والفوائد بسبب الجهود التى بذلتها الحكومة لتوحيد البلاد، والنهوض بالإقتصاد القومى، وتحسين الأنظمة النقدية والمالية.

وقد واصلت الحكومة الميجى سياسة التنمية الصناعية، والسير بخطى واسعة فى هذا الميدان وصار شعارها زيادة الإنتاج والنهوض بالصناعة، فإستقدمت المهندسين الغربيين وإستعانت بالآلات الغربية وعملت الحكومة كذلك على إستيراد التكنولوجيا فى جميع المجالات، وسعت إلى الإستفادة من مهارات المتخصصين الأجانب فى تعليم اليابانيين. وأصبحت اليابان أشبه ما يكون بمعمل تجارب فى نظر مثقفى أوروبا فى القرن التاسع عشر وسعى الكثيرون من المتخصصين فى مجالات العلم والتكنولوجيا إلى الذهاب إلى اليابان أثناء فترة الميجى، وفتحت اليابان أبوابها لمعظمهم دون تردد. وكانت التكنولوجى يعتمد على عملية المحاولة والخطأ والتجريب، مما عرض حكومة الميجى بعد ذلك مرحلة إنتقاء التكنولوجيا وإختيار ما يتناسب منها مع أحوال البلاد الإجتماعية والطبيعية. وبعد مرور قرن ونصف قرن مرت خلالها اليابان بتجارب مريرة، وسلكت خلالها طريقاً شاقًا ومؤلمًا، عدت اليابان تمتلك اليوم تكنولوجيا فائقة التقدم. وأصبح بمقدورها تصدير التكنولوجيا لهذه الدول التى إضطرت فيما مضى إلى إستيراد التكنولوجيا منها، ولغيرها من الدول[lxxxiv].

ولما كانت اليابان صاحبة أعلى كثافة سكانية بين دول العالم الرئيسية، وتبلغ مساحة الأراضى الصالحة للزراعة سدس مساحة البلاد، وبالرغم من إرتفاع الإنتاج إلا أن ثلث إحتياجات اليابان الغذائية مستوردة، ويعتمد إنتاجها من المواد الغذائية على غلال المزارع الأمريكية الشمالية أكثر من إعتمادها على غلال المزارع اليابانية.

كما تستورد اليابان ٨٥% من حاجتها للطاقة، فلا يوجد لديها بترول أو فحم حجرى أو أية ثروات معدنية أخرى، وهى تستورد أخشاباً من أمريكا الشمالية أكثر من نصف إحتياجاتها.

فى أواخر السبعينات بلغ إنتاج اليابان من الصلب تقريباً حجم إنتاج الولايات المتحدة منه، ولكن مصانع الصلب اليابانية كانت أكثر تطوراً وكفاءة. فمن بين أكثر وأحدث إثنين وعشرين فرناً عالياً لإنتاج الصلب فى العالم عام ١٩٨٧ كان نصيب اليابان وحدها أربعة عشر فرناً مقابل لا شئ للولايات المتحدة، وبذلك إستطاع الصلب اليابانى بمصانعه المتطورة والأعلى فى إنتاجيتها أن يتفوق على الصلب الأمريكى فى المنافسة فى الأسواق الأمريكية فضلاً على الأسواق العالمية.

لقد غطت صناعة الساعات اليابانية على صناعة الساعات السويسرية الشهيرة وقضت صناعة الدراجات البخارية اليابانية على مثيلتها البريطانية وحتى الأمريكية وإضطرت المانيا للتخلى عن سيادتها فى صناعة آلات التصوير والعدسات لصالح الصناعة اليابانية التى فرضت سيطرتها على صناعة النظارات والبصريات أيضاً.

فى أواخر السبعينات إنخفضت تكلفة بناء السفن اليابانية الجديدة عن نظيرتها الأوروبية بنحو ٢٠ إلى ٣٠ % حتى إضطرت الدول الأوروبية إلى اللجوء إلى التدخل فى آليات السوق بفرض قيود للحد من عدد السفن المشتراة من اليابان، مما أجبر شركات بناء السفن اليابانية على تخفيف إنتاجها، ومع ذلك فقد تفوق الأداء اليابانى على الأداء الأوروبى الأمريكى مجتمعين فى هذا المجال.

وبالنسبة لصناعة السيارات فقد بلغ إنتاج اليابان منها عام ١٩٥٨م أقل من مائة ألف سيارة، فى حين ظلت شركة الفولكس واجن الألمانية حتى بداية السبعينات تعتبر المصدر الرئيسى للسيارات الأجنبية فى الولايات المتحدة الأمريكية.

إلا أن مبيعات شركة تويوتا، وشركة نيسان اليابانيتين للسيارات فى الولايات المتحدة الأمريكية سرعان ما تفوقت على مبيعات الشركة الألمانية فى السبعينات، بل أن شركة هوندا حلت عام ١٩٨٧م محل شركة فولكس واجن لتصبح ثالث أكبر مصدر لسيارات الركوب للولايات المتحدة. وقد بلغ إجمالى ما صدرته اليابان للولايات المتحدة عام ١٩٧٧م ما يزيد عن أربعة ملايين ونصف مليون سيارة بينما لم تصدر الولايات المتحدة لليابان إلا خمسين ألف سيارة.

ليس لدى اليابانيين أى عداء للحضارات الأجنبية بل يمكن القول أنهم شغوفون بها، ولا يعتبرون الثقافة الأجنبية غازية لهم، بل يأخذون منها ما يناسبهم، من هنا كان تعاملهم مع الحضارة الصينية فى القديم، وكذلك مع الجيش الأمريكى فى الحديث. أن عزلة الجزر اليابانية عن أنحاء العالم جعل الشعب اليابانى متجانساً مؤمناً بالوحدة الوطنية، ويعلم من داخل ذاته أنه مختلف عن الدول المجاورة، فهو منفتح على كل ثقافة وسعيد بالحصول على كل شئ جديد. فقد أخذ من الصين الكتابة ومبادئ الطب والفلك، ولما حاول المبشرون نشر ديانتهم ونجحوا فى جنوب اليابان، أغلقت الحكومة اليابانية الأبواب أمام الأجانب عدا قلة من الصينيين والهولنديين.

ولما جاء عصر الإمبراطور ميجى من عام ١٨٦٨ حتى عام ١٩١٢م وهو العصر الذى يعتبر تحولاً حقيقياً فى الحضارة اليابانية، فقد ألغى نظام الإقطاع، ووضعت أسس الدولة الحديثة على نسق النظام الأوروبى وبدأت اليابان تقتبس الحضارة والمدنية الغربية.

واعتبر الإنتصار اليابانى على روسيا عام ١٩٠٥ نقطة تحول فى تاريخ اليابان وأصبحت اليابان بعد الحرب العالمية الأولى قوة كبرى، وساعد الإستقرار فى الحياة اليابانيين على التطور، بل أن اليابان إنطلقت بعد الحرب الثانية تبنى ما خربته الحرب وتتفوق على الدولة التى هزمتها عسكرياً.

إن محافظة اليابانيين على إستقرارهم جعل هذه البلاد رائدة فى الإقتصاد العالمى. لقد أعاد اليابانيون المجد لبلادهم والقوة لمدينتهم التى ألقيت عليها القنبلة الذرية.

لقد أصبحت هيروشيما مدينة عملاقة فى المجال الصناعى تنتج السفن والسيارات والكيماويات وبعدما كانت رمزاً للدمار أصبحت رمزاً لإنتصار الإرادة اليابانية[lxxxv].

أدى إنشغال الدول الأوروبية فى الحرب العالمية الأولى إلى إفساح المجال أمام اليابان للتوسع فى الأسواق الأسيوية، وأعتنت اليابان بسياستها الخارجية للحفاظ على هذه الأسواق خاصة بعد التقدم الصناعى اليابانى الذى سيؤدى بالنتيجة إلى ضرورة التفتيش عن أسواق جديدة، والجواب هو القيام بالتوسع العسكرى ناحية الصين. لكن العقبة كانت فى الوعى القومى الصينى المتصاعد، بل إن حكومة شيانج كاى شيك الصينية الوطنية حاولت أن تستعيد بعض المناطق الصينية التى كانت اليابان قد سيطرت عليها.

فى أيلول (سبتمبر) ١٩٣١م سنحت الفرصة الإستعمارية للتوسع اليابانى فى الصين عندما قامت مجموعة من الضباط اليابانيين بتدبير حادث على السكك الحديدية قرب عاصمة منشوريا؛ وكان هذا الحادث مبرراً لإجتياح منشوريا بأسرها وإقامة حكومة صورية فيها مؤيدة للسيطرة اليابانية.

لم تلتفت اليابان لعصبة الأمم المحتجة على هذا الإجتياح، بل انها انسحبت منها، مما جعل مكانة العصبة الدولية ضعيفة ومتأرجحة. وبالمقابل قوى الشعور الوطنى اليابانى بعد الإستيلاء على منشوريا.

وفى أوائل تموز (يوليو) ١٩٣٧م نشبت معارك بين القوات اليابانية والقوات الصينية بالقرب من بكين، وطلبت حكومة شيانج كاى شك بتسوية شاملة لوقف الزحف اليابانى عليها. إلا أن اليابان ورفضت، وبدأت الحرب العالمية الثانية.

حققت اليابان إنتصارات سريعة فى الصين وسطاً، وشمالاً وسعت للإطاحة بالحكومة الصينية، ولكن الصينيين إستمروا بالمقاومة، ولم يجد اليابانيون منفذاً للخروج من هذا المستنقع إلا بتوسيع دائرة الحرب.

عارضت الولايات المتحدة الأمريكية السياسة اليابانية التوسعية، ولم تعترف بمكاسب العدوان اليابانى، وأدى توقيع المعاهدات اليابانية – الألمانية – الإيطالية إلى تزايد قلق وخشية الولايات المتحدة الأمريكية من النازية واليابانية.

وأمام توسع اليابان وإستيلائها على شمال فيتنام فى عام ١٩٤٠م وجنوبه فى عام ١٩٤١م قامت الولايات المتحدة بحظر شحنات النفط لليابان، الأمر الذى سيؤدى إلى تناقصه، وبالتالى تفكير اليابان بشن الحرب على إندونيسيا للإستيلاء على نفطها. وفى طريقها لذلك كان عليها الإستيلاء على بيرل هاربر لمنع البحرية الأمريكية من الوقوف حائلاً دون توسع اليابان فى الجنوب.

رغم إدراك اليابانيين للتفوق الكلى للولايات المتحدة الأمريكية إلا أنهم إعتقدوا أنهم بحربهم الخاطفة وإستيلائهم على كل غرب المحيط الهادى سيجعل إمكانية تحقيق نصر أمريكى أمراً بعيد التحقق.

دفع الهجوم على بيرل هاربر الأمريكيين للإستماتة فى الدفاع فقاموا ببناء قوى بحرية وبرية بسرعة أكبر ممن إستطاع اليابان تأمينه فى الوقت الذى كانت فيه السفن الأمريكية وغواصاتها تغرق معظم السفن البحرية التجارية اليابانية، مما جمّد اليابانيين مكانهم، وعزّ وجود المواد الخام اللازمة للصناعة، فأدت أمريكا بذلك ضربة قاتلة للصناعة اليابانية[lxxxvi].

عرف اليابانيون بإستقلال الولايات المتحدة عام ١٧٧٦ كما عرفوا بالثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، وهذه التغيرات دفعتهم للقيام بحركة إصلاحية تواكب الوضع العالمى، فكان لليابان عهد الميجى ١٨٦٨ – ١٩١٢م والذى منه أعاد الكثير من الإقطاعيين السيادة للإمبراطور، وإعترفوا بأن اليابان يقودها الإمبراطور.

بعد قصف أقوى مركزين يابانيين فى حرب ساحقة أقام المنتصرون سلطة عسكرية، ثم بعد سبع سنوات تُركت اليابان لنظام سياسى مختلف عن نظام الحكومة السابقة، فقد جرد الإمبراطور من أعلى سلطاته السياسية والعسكرية ولم يعد هو القائد الأعلى للقوات المسلحة وأُلغى نظام التجنيد الإلزامى، وأصبح رئيس الحكومة ينتخب مجلس النواب بدلاً من تسميته من الإمبراطور.

لقد أدخلت القوات الأمريكية تعليمات سياسية بإجراء صلاحات شاملة، لقد كان دور الحلفاء فى اليابان نظرياً أكثر منه عملياً، فقائد قوات الحلفاء ماك آرثر الأمريكى كان يتصرف كممثل لقوى الحلفاء المنتصرة. لقد أُنشِئت لجنة الشرق الأقصى لوضع سياسة الإحتلال العامة، ولكن أمريكا كانت هى المسيطرة.

لقد اكتشف اليابانيون ان الأمركيين لا يميلون للإنتقام بل أنهم كرماء، نظر اليابانيون إليهم كمرشدين لهم لأيام افضل بدلاً من ان يكون رد فعلهم لجيش الإحتلال وقائده معارضاً.

ولم يجد الأمريكيون من جهتهم فى اليابانيين مقاومين حتى النهاية، بل وجدوا شعباً يحرص على التعاون لانقاذ بلاده.

كان الهدف الأساسى للحلفاء هو نزع سلاح اليابان، لأن هذا السلاح كان يشكل مشكلة فى شرق آسيا، وتم جمع المدنيين، والعسكريين اليابانيين من المنطقة، ومن المحيط الهادى الذين بلغوا ستة ملايين ونصف، كما سرح الجيش، والبحرية ودمرت أسلحته وسفنه.

أعيد تشكيل الأحزاب القديمة بعد الحرب عام ١٩٤٥ وأعيد إحياء حزبين تقليديين كانا موجودين قبل الحرب، وهما الحزب الديمقراطى، والحزب الليبرالى اللذان إندمجا تحت اسم أصبح الحزب الديمقراطى الليبرالى عام ١٩٥٥م.

وبالمقابل كانت أحزاب اليسار الثلاثة وهى : الشيوعية، والإشتراكية، والإشتراكية الديمقراطية ضعيفة، وكل ما فعلته بالإضافة إلى الحزب المعارض الذى انشئ حديثاً والمسمى حزب الحكومة النظيفة؛ كل ما فعلته هو إبقاء أصوات المعارضة مفتتة، وضمنت بقاء الحزب الديمقراطى بالحكم لمدة طويلة، حتى قامت فى المدة الأخيرة الولايات المتحدة بالضغط على اليابان لتخفيض نسبة العجز التجارى وزيادة نفقاتها العسكرية، فجاء اليابانيون بأغلبية من الإشتراكيين إلى المجلس النيابى – الدايت – وكأنهم بذلك يشيرون بطريقة غير مباشرة للأمريكيين بأن سياستهم مع اليابان قد تؤدى لوصول الإشتراكيين للحكم.

ولقد بدأ ظهرو التوتر السياسى يحيط بالعلاقات اليابانية الأمريكية منذ قامت أمريكا بالتدخل فى حرب فيتنام عام ١٩٦٥م، وقد عارض معظم اليابانيون هذا التدخل، وشعروا بأن الأمريكيين أقحموهم فى هذه الحرب، وإندفع اليابانيون يطالبون بإعادة النظر بمعاهدة الأمن المعقودة مع الأمريكيين.

ومن الخمسينات وحتى السبعينات من القرن الماضى شهدت العلاقات السياسية الأمريكية اليابانية ثباتاً، ويعود سببه إلى التقدم الإقتصادى السريع ففى منتصف الخمسينات كانت اليابان قد إستعادت مستواها الإنتاجى قبل الحرب، وفى الستينات أصبحت ثالث قوة إقتصادية، وفى السبعينات إحتلت المرتبة الثانية فى العالم.

نعم لقد إستغرقت عملية تحويل اليابان إلى دولة يطلق عليها اسم ((دولة صناعية)) مائة عام فقط[(lxxxvii)].

كانت اليابان قد وصلت فى بداية القرن العشرين إلى مرحلة الإقتصاد ذى الدخل المتوسط، على أساس أنها واحدة من أشهر بلاد العالم تصديراً للنسيج مع القدرة على الإنتاج الحربى من السفن والطائرات.

وخلال منتصف القرن الماضى كان على اليابان أن تبنى إقتصادها مجدداً بعد هزيمتها المروعة فى الحرب العالمية الثانية، فقد شهد إقتصادها دماراً شبه كامل فعملت على إعادة بنائه عن طريق تشجيع التصدير والتصنيع، وزيادة الإنتاج الزراعى، فمن أجل تشجيع التصدير إعتمدت اليابان الحماية الجمركية، وخصصت العملات الأجنبية للإستيراد وطبقت نظام الجودة الصناعية الذى ساعد على التصدير الدائم، وصاحبت الجودة زيادة فى الإنتاج الزراعى فقد إعتمدت الميكنة الزراعية بعد هجرة الشباب من الريف للمدن، وكفلت الحكومة شراء المحصول من الفلاحين بشكل يجعل دخلهم موزياً للعاملين فى القطاع الصناعى.

وهنا ينبغى أن نشير إلى التطور المفاجئ الذى حصل فى سياسة الولايات المتحدة تجاه اليابان قبل معاهدة الصلح معها، وذلك أن تدهور سياسة شيانج كاى شيك فى أوائل عام ١٩٤٩م جعل الولايات المتحدة تميل للتعاون مع اليابان كبديل لها فى الشرق الأقصى مكان الصين، وأصدر مجلس الأمن القومى الأمريكى وثيقة بذلك ووافق الرئيس الأمريكى ترومان عليها فى مايو عام ١٩٤٩م تلك الوثيقة التى عبرت عن رغبة أمريكا فى إيجاد يابان قوية وإنهاء القيود حول تصنيع اليابان. كما أعلن الجنرال ماك آرثر فى سبتمبر من نفس السنة أن اليابان صارت فى وضع يسمح له بإبرام معاهدة سلام معها.

منذ منتصف السبعينات بدأت اليابان تتعرض لبعض المشاكل الطارئة التى يعود سببها الرئيس إلى أن عدداً كبيراً من السكان يعيش على مساحة ضيقة جداً من الأرض التى هى بدورها تفتقد الثروات الطبيعية، وعبارة عن جبال وغابات لا تصلح للزراعة أو السكن.

لم يكن أمام اليابان من مورد تعتمد عليه لبناء إقتصادها إلا الإنسان اليابانى الذى إستخدم وسيلة التصنيع ثم التصدير، وقد لعبت العوامل والظروف دورها فى نجاح اليابان.

ومع تعاظم حجم الصادرات اليابانية بدأت الشركات الكبرى تفتح فروعاً ومكاتب تمثيل لها فى جميع أنحاء العالم لتسهيل عمليات تصدير المنتجات اليابانية، ولم يقتصر دور الشركات التجارية على الوساطة التجارية فقط، وإنما إمتد إلى كافة الأعمال الاستشارية، ودراسات الجدوى، وجمع المعلومات عن البلد الذى تتواجد فيه.

ففى معظم العواصم العالمية توجد مكاتب تابعة لوزارة الصناعة والتجارة الدولية اليابانية ومهمتها تقديم أفضل المعلومات لحكومات الدول الموجودة فيها، ودراسة أوضاعها الإقتصادية، والإجتماعية، وتقديم النصح، والإرشاد للشركات اليابانية التى تنوى القيام بما شرع فى هذه البلاد.

على الرغم من النجاح الهائل الذى تحققه الصادرات اليابانية إلا أن مستقبل اليابان الإقتصادى يتعلق بخبرائها. فمعظم الدول الأوروبية، والأمريكية ترى فى التقدم الإقتصادى اليابانى شبحاً يهددها. فكلما فتحت اليابان مركزاً تجارياً لبيع منتجاتها هددت معملاً منافساً لها بالإقفال. لقد بدأت نقابات العمال فى الدول الأوروبية والأمريكية تطالب بفرض قيود مشددة على الصادرات اليابانية، وبدأت اليابان تشعر بخطورة الموقف فعملت على أن تحد من صادراتها طواعية منعاً لهذه المشاكل التى بدأت تتفاقم، وتنذر بخطر أكيد.

ولا يمر موعد إجتماع السبعة الكبار دون ترقب، وحذر من اليابان، هذا اللقاء الذى هو عبارة عن محاكمة عسيرة للسياسة اليابانية الإقتصادية، ذلك أن جميع هذه الدول الصناعية تعانى من عجز فى ميزانها التجارى بإستثناء اليابان، وتحاول هذه الدول حث اليابان على تقليص صادراتها، وزيادة وارداتها لتضييق فجوة العجز فى ميزانها التجارى.

وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وتركت اليابان خراباً وحطاماً، لم يفكر اليابانييون بتعمير الحجر فقط بل كانت بيد أخرى تبنى المصنع.

وقد شهدت فترة الخمسينات تغيراً بإستعمال الطاقة فقد إستعمل البترول بدلاً من الفحم الحجرى، وأدى ذلك لتنمية صناعة جديدة هى البتروكيميائيات التى تزعمتها اليابان فى هذه الفترة(lxxxviii).

قبل الحرب العالمية الثانية كانت الصناعة اليابانية تعتمد على النسيج، وكان الحرير اليابانى الطبيعى يغزو العالم. وكانت اليابان تنظر إلى التصدير وكأنه حياتها، فاتبعت سياسة إغراق الأسواق العالمية بالسلع اليابانية ذات الجودة. وساعد على ذلك البرنامج الذى وضعته وزارة الصناعة والتجارة الدولية. كما أن ظروف الإقتصاد العالمى ساعدت اليابان على التقدم فى تنفيذ برنامجها الصناعى.

وفى فترة السبعينات بدأت اليابان تعانى كغيرها من الدول الصناعية الكبرى من الظروف الإقتصادية الصعبة التى بدأ العالم يشعر بها، وخاصة من حيث إستمرار تمولها بمصادر بعد الحظر النفطى العربى عام ١٩٦٧م.

إضطرت المؤسسات اليابانية إلى تبنى إستراتيجية جديدة فى السبعينات تقوم على تقليل عدد العاملين، وإعادة دراسة المواد المتوفرة، وتقليل حجم القروض. وقد نجحت هذه الإستراتيجية وحققت المؤسسات الصناعية اليابانية أرباحاً فى بداية الثمانينات هذه الأرباح أعادت الثقة للإقتصاد اليابانى بنفسه(lxxxix).

٣- الأوضاع الإجتماعية

فقد جذب الإنتباه من بين هذه الأوضاع تطور التعليم فى اليابان حيث سار فى ثلاثة إتجاهات هى(xc) :

الإتجاه الأول : وقد تمثل فى الإستعانة بالعلماء والمعلمين الأوروبيين سواء أكانوا أعضاء البعثات التبشيرية أو العلماء المتخصصين فى اللغات الأوروبية وخاصة اللغتين الهولندية والإنجليزية. فعندما أمر الإمبراطور رعاياه فى ميثاق الأمة عام ١٨٦٨م أن يطلبوا المعرفة فى كل مكان تدفقت أعداد من العلماء الأوروبيين إلى اليابان، ودعى إلى اليابان الخبراء الفنيين من كل الدول المتقدمة حيث وضعوا موضع الترحيب. وقد حلمت السفن القادمة إلى اليابان مئات المعلمين، والمستشارين، والفنيين الأجانب. وأصيب اليابانيون بحمى التحول إلى الغرب لدرجة أنه فى أوائل السبعينات من القرن التاسع عشر أنفقت الحكومة حوالى ٣٠% من ميزانية وزارة التربية والتعليم على رواتب المعلمين الأجانب وعلى المعونات التى كانت ترسل للطلاب الذين كانوا يدرسون بالخارج. وكان هدف الحكومة الاسمى هو زرع الأنظمة والمناهج الدراسية الغربية فى النظام التعليمى بدءاً بالمرحلة الإبتدائية وحتى المستوى الجامعى.

الإتجاه الثانى : وتمثل فى ترجمة الكتب الاجنبية إلى اللغة اليابانية وإنشاء المدارس الحديثة، ويرجع الفضل الأول فى هذا السبيل إلى خبير أمريكى يسمى ((ماريون – سكوت)) Marion Scott أنشأ مدرسة للمعلمين للعمل بالمدارس الحديثة فى اليابان واستعان بكتبه التى تحمل أفكاره، وغيرها من الكتب الأمريكية بصفة خاصة والأوروبية بصفة عامة التى ترجمت إلى اليابانية، وكانت أهم الكتب التى نقلت العلم إلى اليابانيين مؤلفات كل من جان جاك روسو، وهربرت سبنسر، ودستوفسكى، وتولستوى الذين ساعدت أفكارهم فى زيادة وعى اليابانيين بأحوال العالم المحيط بهم.

الإتجاه الثالث : إرسال البعثات اليابانية إلى الدول الأوروبية المتقدمة لينهل أفرادها من العلوم الحديثة، وكانت وزارة التعليم تدقق فى إختيار أعضاء البعثات من أفضل العناصر الوطنية، وكانت معظم هذه البعثات يتم إرسالها إلى

الولايات المتحدة الأمريكية، وإلى بعض الدول الأوروبية مثل ألمانيا وفرنسا. ولقد كانت نظم التعليم فى عهدها الأول خاضعة لمؤثرات أمريكية كبيرة. ولكن هذه المؤثرات لم تلبث فى عام ١٨٨٠م وما بعده أن تضاءلت وحل محلها التأثير الألمانى. عندما شعر قادة الإصلاح اليابانى أن أساليب التربية الألمانية التى تزكزت على الجوانب الخلفية التى تؤمن بأن هدف التعليم خلق الإدارة المستنيرة التى تميز بين الصواب والخطأ هو ما يناسب الطبيعة اليابانية الإجتماعية، فبدأت المناهج الألمانية تحل محل المناهج الأمريكية على يد أعضاء البعثات اليابانيين.

ونتيجة لتوفر العناصر الثلاثة : الإستعانة بالعلماء والخبراء الأجانب، وترجمة الكتب الأوروبية، وإرسال البعثات إلى الدول الأوروبية المتقدمة، نهض التعليم فى اليابان فى عصر الميجى فى شتى جوانبه. وقد ركزت الحكومة جهودها فى السنوات الأولى على بناء البنية الأولى للمجتمع وهى الطفل، فإهتمت بالتعليم الإبتدائى، وأصدرت قانوناً للتعليم الإجبارى عام ١٨٧٢م وأتاحت فرص التعليم لجميع طوائف الشعب اليابانى. وتم إنشاء المدارس الإبتدائية، والمدارس المتوسطة، وقسمت البلاد إلى ثمانية مناطق تعليمية بكل منها ٣٢ مدرسة متوسطة و١١٠ مدرسة إبتدائية. بالإضافة إلى المدرسة الخاصة بإعداد المعلمين الوطنيين التى أنشئت بمعاونة خبير التعليم الأمريكى ((ماريون سكوت)) وتم إنشاء مدارس لتعليم البنات، وأرسلت الحكومة اليابانية بعثة من خمس فتيات إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعند عودتهن عام ١٨٧٢م، تم إنشاء العديد من مدارس البنات.

وبعد أن جعلت الحكومة التعليم إجبارياً، مضت فى تأكيدها للجانب النفسى والعملى للمعارف فأسست الجامعات. وكانت جامعة طوكيو أول جامعة قومية تقوم بتأسيسها عام ١٨٨٦م وضمت كليات الآداب، والعلوم، والقانون، والهندسة، والطب والزراعة ثم إفتتحت عام ١٨٩٧م جامعة ((كيسوتو)) وفى عام ١٩٠٠م تأسست أول كلية للبنات لتعليم اللغة الإنجليزية، وفى نفس العام أدارت الدكتورة ((يوشيو كايابوى)) كأول طبيبة يابانية، أو كلية طب للنساء.

وإتسم التعليم فى بداية عصر الميجى بالإغراق فى الطابق الغربى، وقد بلغ هذا التأثير أقصى مدى له، وطالب البعض بضرورة إلغاء اللغة اليابانية الصعبة، وإستبدالها بلغة إنجليزية مبسطة تدرس للأطفال فى المدارس. وكان لتلك الآراء رد فعل شديد داخل اليابان تمثل فى التيار الذى ينادى بضرورة التحول، والتمسك بالطابع من أجل الحفاظ على الثقافة الوطنية اليابانية. وكانت المواجه، والتراضى، والإندماج بين تيار التحول إلى الطابع الغربى، وتيار التحول إلى الطابع اليابانى من أهم القضايا التى شغلت الأوساط التعليمية والدراسية فى اليابان خلال تلك المرحلة. وقد بدأ التعليم فى النصف الثانى من عصر الميجى يتجه نحو التمسك بالطابع اليابانى وأصبحت كافة المواد الدراسية فى مراحل التعليم الإلزامية تدرس باللغة اليابانية. كما بدأت الجامعات تستبدل المعلمين اليابانيين بالمعلمين الأجانب إلى أن حل اليابانيون محل الأجانب فى نهاية الأمر.

وبذلك طورت اليابان نظامها التربوى إلى جانب إحتفاظها بثقافتها الوطنية، وإتجهت إلى الإهتمام بشئون العلم والتكنولوجيا التى أتاحت للدول الأوروبية أن تصير قوى عالمية حديثة وكبيرة حتى تتمكن من اللحاق بركب التقدم الغربى وبذلك إستطاعت اليابان فى زمن قصير أن تسد الفجوة التى كانت تفصل بينها وبين الدول الأوروبية فى مجال التعليم، ويمكنا القول بأنها فاقت فى هذا المجال اليوم مثيلاتها فى الغرب الأوروبى.

وحقيقة الأمر، فإن إندفاع اليابانيين لتوسيع نطاق التعليم وتجويده كان بنفس إندفاعهم لزيادة ناتجهم القومى. وفى عام ١٩٥٥م كان نصف الشبان اليابانيين يدخلون بالكاد فى مرحلة التعليم الثانوى ونسبة أقل من ١٠%

يدخلون المؤسسات التعليمية فيما بعد المرحلة الثانوية، وعند حلول السبعينيات صار أكثر من ٩٠% من كلا الجنسين (الذكور والإناث) يتمون مرحلة تعليمهم الثانوى مقارناً ذلك بنسبة ٨٠% للشبان الأمريكيين. وكقاعدة عامة فإن كافة الشبان اليابانيين الذين يدخلون أية مدرسة يتمون تعليمهم فيها دون أى تسرب. وفى عام ١٩٧٥م على سبيل المثال كان ٩٧% من الطلبة اليابانيين الذين إلتحقوا بالتعليم الثانوى قد أتموا دراستهم فيه بالمقارنة بنسبة ٧٩% فى أمريكا. وهذه نسبة مرتفعة جداً على المستوى العالمى. وبالنسبة لمرحلة ما بعد التعليم الثانوى فإن نفس العدد من الذكور والإناث يلتحقون بالتعليم العالى، ولكن الأغلب أن يستكمل الإناث سنتين آخريين فقط فى المعاهد الجامعية، ولكن يكمل الذكور تعليمهم فى كليات لأربع سنوات.

على أن الطلبة اليابانيين لا يكتفون بمجرد الحضور فى فصول المدرسة لساعات أطول فى اليوم، ولأيام أكثر فى السنة عما عليه الحال فى المدارس الأمريكية مثلاً، ولكن ما يزيد على نصف الشبان اليابانيين يلتحقون ببعض الوقت فى مدراس تكميلية خاصة تسمى (الجوكو) (Juku) بالتوازى مع حضورهم سنوات الدراسة فى المرحلتين الإبتدائية، والثانوية لمزيد من التدريب. وهذه المدارس التكميلية لها أشكال وأحجام متعددة، والهدف منها تحسين الفرص أمام الطلب للدخول فى مسابقات تعقدها المدارس ذات الشهرة فى مستوى تعليمها والتى يتوق الطلاب إلى الإنخراط للدراسة فيها. وغالبية الطلاب لديهم فكرة كاملة عن أى الؤسسات التعليمية يمكن أن يقيئوا أنفسهم لدخول المسابقات اللازمة للإلتحاق بها إذا ما أعدوا أنفسهم بدقة أو عامين. وأصبح نظام المسابقات هذا سمة معروفة فى نظام التعليم اليابانى. وحين ينقضى موعد إمتحانات الدخول هذه فإن حوالى ١٨% من الذكور، ونسبة للإناث ممن لا يحالفهم الحظ فى إجتياز هذه الإمتحانات للمؤسسات التعليمية التى يتوقون للإلتحاق بها فإنهم قد يظلون بإصرار لسنة أو أكثر دون إنخراط فى أية مؤسسة تعليمية للتحضير لمحاولة أخرى لإمتحان مسابقة الدخول هذه[xci].

ومن العجيب أن إمتحانات المسابقات تهدف إلى قياس مدى المعلومات المكتسبة تأسيساً على فرضية تلقى قبولاً عاماً فى اليابان. وهى أن النجاح لا يعتمد على الإمكانات الفطرية للطالب، وعلى مدى إستعداده العام ولكن يعتمد بالأحرى على مدى إستخدامه لإمكاناته الفطرية فى الدراسة المنتظمة. فمن المسلم به أن تأثيرات البيئة يمكن أن تؤثر على الإمكانات الفردية لاستيعاب المعلومة، ولكن بالنسبة لوجه النظر اليابانية فليس هناك سوى طريق واحد لتحقيق الفوز هو الإستذكار.

بيد أن تفوق الطالب اليابانى فى المرحلتين : الأساسية والثانوية يأتى من واقع أن هذا الطالب يحضر فى المدرسة ما يزيد عن الطالب الأمريكى بمقدار الثلث فهو يحضر بالمدرسة ٢٤٠ يوماً فى السنة فى حين يحضر الأمريكى ١٨٠ يوماً، فهذا الطالب اليابانى الذى يقضى وقته فى فى محاولات مستميتة للتفوق على نفسه عن طريق المسابقات من ناحية، والمدارس التكميلية من ناحية أخرى كان من الطبيعى أن يتفوق على نظرائه على المستوى العالمى. ولا غرابة إذن أن الشبان اليابانيين فى الإختبار الدولى للعلوم (International Science Test) للشبان من أعمار عشرة إلى أربعة عشرة عاماً ويشمل ١٩ دولة صناعية أحرز هؤلاء الشبان اليابانيون تفوقاً ظاهراً على أقرانهم من الدول الأخرى. وقد أحرز الشبان اليابانيون من أعمار عشر سنوات الترتيب الأول فى الإختبارات التمهيدية (subtests) فى علوم الأرض، والكيمياء، والبيولوجى، وأثبتوا أنهم الأوائل فى الفهم والتطبيق، وفى العمليات الذهنية ذات المستوى الأعلى. أما الشبان اليابانيون من عمر ١٤ عاماً فقد جاءوا فى المرتبة الثانية بعد أقرانهم من المجريين فى علم الأحياء، ولكن جاء ترتيبهم الأول فى الطبيعة والكيمياء، والتطبيقات العملية.

ومن السمات المميزة لنظام التعليم اليابانى هو أن المدراس فى طول اليابان وعرضها تتعهد بضمان أن كل تلميذ يكون قد حقق بالفعل فى نهاية كل مرحلة دراسية حداً أدنى من المستوى التعليمى ولا يستثنى من ذلك تلميذ واحد. وليس هناك أى تسرب تعليمى فى أى مرحلة من المراحل أو سنة من السنين رغم أن ذلك يشكل عبئا ثقيلاً على المدرسين. ونجد الأمريكيين مثلاً أكثر إستعداداً للقبول بحرمان بعض الطلبة المتعثرين من التعليم فى حين يبذل المدرس اليابانى قصارى جهده ليطمئن إلى أن كل طالب فى الفصل قد حقق مستوى معيناً قبل نهاية العام الدراسى، ويعمد المدرس فى هذا الخصوص إلى حشد جهد الطلبة الآخرين، وأولياء أمور الطلبة المتعثرين لأن المدرس اليابانى يعتبر نفسه ليس مسئولاً فقط عن تقديم المادة العلمية للطالب وإنما مسئولاً كذلك عن التأكد من أن الطالب قد إستوعب علومه بالفعل.

ونظراً لدرجة التجانس غير العادية فى الشعب اليابانى، وبالتالى فى مؤسساته التعليمية يضاف إلى ذلك نوعية عالية من التعليم، والتدريب للتلاميذ فى مرحلتى التعليم الأساسى، والثانوى اللذين توليهما اليابان أهمية قصوى، فإن ذلك يزود اليابان بإمدادات لا تبارى من القوة العاملة مهيأة للعمل فى الشركات الصناعية التى تتلقفهم وتصقلهم بمهارات أكثر تخصصاً فى مواقع العمل.

وعلى أية حال فقد درج اليابانى على النظر إلى العمل اليدوى على أنه لا يتضمن أى قدر من المهانة بعكس الحال فى بعض الأقطار الأخرى، فالمدارس اليابانية على سبيل المثال تستخدم أعداداً أقل فى أمور النظافة بالمقارنة بالمدارس الامريكية، وذلك لأن المدرسين والطلبة يتقاسمون العمل الخاص بالنظافة فى مدارسهم.

ولكى يتضح لنا الأثر الحاسم الذى تركه النظام التعليمى فى تهيئة اليابان لإنطلاقها وتحقيق ((معجزتها)) التى أثارت إنتباه الباحثين فى العالم فأننا نتعرض إلى تركيبة المجتمع اليابانى وكيف تأثرت تأثراً جذرياً بشكل مهد الطريق أمام إنطلاقة هذا الشعب فى المجالين الصناعى والتكنولوجى وبالتالى الإزدهار الإقتصادى.

فلقد تميزت تركيبة المجتمع اليابانى منذ نشأته الأولى بميل فطرى واضح إلى أن ينقسم هذا المجتمع رأسياً إلى مجموعات ((هيراركية)) هرمية على حساب العلاقات الأفقية. هذه التقسيمات الطبقية بدأت تخف حدتها منذ أجبر الغرب اليابان على فتح أبوابها للمؤثرات الغربية فى منتصف القرن التاسع عشر كما رأينا فى الفصل الأول. وواقع الأمر، فإن هذه التقسيمات الطبقية الصارمة قد بدأت فى التلاشى بفضل تنفيذ النظام التعليمى الموحد على مستوى اليابان بأسرها – هذا النظام التعليمى الموحد قد حول اليابان إلى واحدة من أشد المجتمعات مساواة فى العالم. فالتعليم الإجبارى من ناحية، والإمتحانات الصارمة من ناحية أخرى جعل اليابان تتحول من مجتمع إقطاعى يستند على الطبقية والمحسوبية إلى مجتمع يستند على الكفاءة والمقدرة. كذلك يرجع الفضل للنظام التعليمى الذى بدأ منذ عهد الميجى إلى علو نسبة الملمين بالقراءة والكتابة بدرجة تجعل اليابان فى مصاف أعلى الدول فى هذا المجال. وهو الأمر الذى يسر على اليابان منذ بداية نهضتهم مجابهة التحدى أمام أساليب الغرب التكنولوجية وقدرتهم على تبوأ مركز القيادة اليوم فى عديد من المجالات. والحقيقة الواضحة أيضاً أنه لم يكن هناك عامل مركزى هام فى نجاح اليابان الحديثة أكثر من نظامها التعليمى[xcii].

وواقع الأمر، أنه حتى فى أواخر عهد شوجنية التوكوجاوا كان اليابانيون قد تجاوزوا كلاً من الصينيين والكوريين فى القراءة، والكتابة، والمؤسسات التعليمية. ولكن معظم التعليم فى عهد التوكوجاوا كان تعليماً خاصاً فى غالبيته. وبحلول أواسط القرن التاسع عشر كانت معظم الإقطاعيات ملحقاً بها مدارس خاصة ((بالدوميين)) الإقطاعى تخص

طبقة الساموراى النبيلة، وكان هناك ما يزيد على الألف ((أكاديمية)) خاصة يلتحق بها بعض أعضاء الشعب جنباً إلى جنب مع شبان الساموراى. وإلى جانب ذلك كانت توجد عشرات الألوف من المؤسسات التعليمية التى أطلق عليها اسم التيراكويا (Terakoya) كمدارس للمعبد نظراً لموقعها إلى جانب المعابد البوذية.

وقبل حلول منتصف القرن التاسع عشر أيضاً كان هناك أكثر من ٤٥% من السكان الذكور يجيدون القراءة والكتابة، ونحو ١٥% من الإناث يجيدونها. وهذه النسب لم تكن تقل بحال من الأحوال عنها فى أشد دول العالم الغربى تقدماً فى ذلك الوقت. وعموماً فإنه فى عام ١٩٠٧م تمكنت اليابان من إدخال كافة أبنائها إلى المدراس. وكان الإلتحاق بالتعليم إجبارياً، وبالمجان تماماً خلال السنوات الدراسية الستة بدأ يتشكل النظام التعليمى للصفوة عبارة عن خمس سنوات للمدارس المتوسطة ينفصل فيها الذكور عن الإناث، ويسير معها بالتوازى، ولمدة خمس سنوات كذلك نوع آخر مع التعليم الفنى (الأدنى)، ثم بعد ذلك ثلاث سنوات للتعليم الثانوى الأعلى (High School) للذكور فقط على غرار ما كان متبعاً فى مدارس الجيمنازيوم الألمانى أو اليسية الفرنسى. ثم هناك مدارس للتعليم الفنى (الأعلى). وفى النهاية، كان هناك التعليم الجامعى لثلاث سنوات أو أربع طبقاً لنوع التخصص. وكانت المدارس الثانوية الأعلى High Schools بمثابة فترة إعداد للتعليم الجامعى.

وبعد الحرب العالمية الثانية أعيدت بنية التعليم اليابانى من جانب قوات الإحتلال لكى تتواءم مع أسلوب الفكر الأمريكى، ولكى لا تغلب على نظام التعليم اليابانى سمة تعليم الصفوة مع أسلوب الفكر الأمريكى ليكون من ثم أكثر ملاءمة لنسق المجتمع اليابانى الجديد الذى يولى جماهير الشعب إهتماماً أكبر. وبدلاً من نظام ستة / خمسة / ثلاثة ، الذى كان سائداً قبل الحرب فإن العدد المقابل بالنسبة لمراحل التعليم : أصبحت على التوالى : التعليم الأولى ثم الأوسط والأعلى، ثم الجامعة أى حل محله النظام التعليمى الأمريكى : ستة / ثلاثة / أربعة أى ست سنوات أولية ثم ثلاثة للمدارس الثانوية الأولى (Junior High School) وجعلته مجانياً تماماً. وحصيلة ذلك أن أصبح اليابانيون من أعلى شعوب العالم فى التعليم، وعلى الرغم من أن مستوى التعليم الجامعى أضعف بعض الشئ عنه فى الولايات المتحدة، فإن الشعب اليابانى يستوعب أكبر قدر من التعليم الرسمى فى المتوسط عما يستوعبه أى شعب آخر. ورغم أن المستويات العامة للإنجاز التعليمى لا يتسنى بسهولة قياسها على مستوى العالم نظراً للحواجز اللغوية فإن اليابانيين مع ذلك وبخاصة فى مجالى الرياضيات، والعلوم يحتلون المركز الأول فى غالبية مباريات الإنجاز الدولية فى هذين المجالين.

والآن تؤكد الإحصائيات الرسمية أن الهيكل التعليمى المدرسى اليابانى الإجمالى الذى يتكون من نحو ١,٣ مليون مدرس يتولون التدريس لنحو ٢٧ مليون تلميذ تضمهم ٦٦,٠٠٠ مدرسة تقع بكاملها تحت السيطرة الدقيقة والصارمة لوزارة التعليم من ناحية، ووضع البرامج الدراسية، والكتب المدرسية، ومرتبات المدرسين ومكافآتهم وعلى الرغم من تلك الصرامة، ووحدة المناهج مما قد تجده كثير من المجتمعات الأخرى كنوع من القهر - إلا أن الحقيقة، أن الكل يسعى إلى التوصل إليها. ومما يدل على العناية الفائقة بالتعليم هو أن الغالبية الساحقة من الأطفال اليابانيين (٩٢%) منهم يحضرون دوراً للحضانة حيث تبدأ العملية التعليمية فى مرحلة مبكرة. وكل فرد يابانى يتلقى على أقل القليل تسعة سنوات من التعليم الأساسى الإجبارى. ثم تنخرط الغالبية العظمى فى التعليم الثانوى، وهى نسب تتفوق على كل الولايات المتحدة وبريطانيا، وغالبية الأقطار الصناعية المتقدمة الأخرى، ونتيجة ذلك هو أن ليس من اليابانيين الآن من لا يجيد القراءة، والكتابة سوى نسبة شديدة الضآلة تبلغ ٠,٧%.

ومرة أخرى فإن حصيلة هذا النظام التعليمى الصارم فى المرحلتين الإبتدائية والثانوية هو أن الشبان اليابانيين يحققون فوزاً ساحقاً فيما يسمى الآن بالإختبارات العالمية ذات القياس الموحد (International Standardized Tests) التى تقيس القدرات الحسابية أو العلمية (خصوصاً وأن جانبا كبيراً مما يدرسونه فى هذه المجالات وحتى فى مستويات إختبار الذكاء الموحد، فإن الطالب اليابانى المتوسط يسجل ١١٧ نقطة بالمقارنة بما يسجله الطالب الأمريكى والأوروبى وهى ١٠٠ نقطة.

يلاحظ أنه بالنسبة للتعليم العالى فى اليابان أن الإهتمام لم يكن بنفس القدر الذى وجه للمراحل التعليمية الأولى، فلم يكن نصيبه فى مجمل ما تم تخصيصة للتعليم إجمالاً بمثل ما تخصصه الدول الصناعية الكبرى من إجمالى ميزانية التعليم لديها للتعليم العالى. لذلك فإن الجامعات اليابانية لم تحرز تفوقاً مبهراً فى الأبحاث. ممثلاً فى عام ١٩٨٧م لم تحصل اليابان إلا على أربعة جوائز نوبل فى العلوم مقارناً ذلك بما حصلت عليه الولايات المتحدة وهو ١٤٢ جائزة من هذا النوع. على أن الأمر قد يشهد تغيراً فى المستقبل القريب بدأت اليابان تخصيص مبالغ أضخم للأبحاث الصرف عما كان عليه الحال فيما مضى[xciii].

وفى الوقت الذى نرى فيه الحركة عارمة لمحاكاة الحضارة الغربية بأجلى معانيها فإن ذلك لم يشمل المسائل السياسية من قريب أو بعيد ولم يكن يسمح لأحد بأن يمارس الحريات سوى حرية التعبير، أما باقى الحريات الأخرى التقليدية بالنسبة للعالم الغربى، فلم يكن يتسنى الإعتراف بها، بل إن حق الإنتخاب العام (Sufrage Universet) لم يصبح حقيقة واقعة سوى فى عام ١٩٢٥م.

أما عن الدين والدولة فحقيقة الأمر أن الديانة حسب مذهب ((الشنتو)) قد تم إعلانها ديانة رسمية لليابان عام ١٨٦٨م، وأصبح الإمبراطور شخصية مقدسة، كما صارت اليابان ((أرض الآلهة)) فى نظر اليابانيين كناية عن تقديس ترابها، ولقد كان مذهب الشنتو فى أصله عبارة عن مزيج من عبادة الطبيعة والسلف، ثم تطور ليقوم على نظريات توضح كيف أن ((إيزاناجى)) أبو السماء، و((إيزانامى)) أم الأرض قد أنجبا جزر اليابان المقدسة كما أنهما أنجبا كذلك عدداً لا حصر له من الآلهة، وتضمن مذهب الشنتو كذلك أن ((أماتيراسو)) أو ((ميكامى)) إحدى بناتها - إلهة الشمس - أرسلت حفيدها فيما بعد ليؤسس أسرة تتولى حكم اليابان إلى الأبد.

وعندما دخلت الديانة البوذية أرض اليابان فى القرن السادس الميلادى أخذت الشنتو فى الإنحسار حتى أصبحت معابدها تحت إدارة البوذيين وإشرافهم، وإستطاع كهنة البوذية أن يربطوا هيئات الشنتو ببعض المقدسات تنتمى إلى طقوسهم ولكن ذلك لم يكن يعنى القضاء الكامل على مذهب الشنتو، وإنما إستمرت أغلب المعابد الكبرى تتلقى الدعم والمساندة من الهيئات المختلفة. وحدث فى نهاية عهد ((شوجنية)) التوكوجاوا حركة إنتعاش مادى تأسست على أثره عدة طوائف فى أوساط الشعب اليابانى عدين لمذهب الشنتو بالولاء.

ومما يجدر ذكره أن إنتعاش مذهب الشنتو خلال عهد شوجنية التوكوجاوا كان وبالا عليهم، وصار هذا الإنتعاش عنصراً هاماً من عناصر الإطاحة بالشوجنية ذاتها، إذ أن مذهب الشنتو كان يؤكد على الحق الإلهى للإمبراطور فى حكم اليابان وهذا وفر السند الشرعى فكان الإطاحة بحكم الشوجنية بسهولة ويسر، وذلك حينما أعلن الإمبراطور أنه سوف يحكم البلاد حكماً مباشراً دون الإستعانة بخدمات الشوجنية.

ولكن رؤى لكى يكون مذهب الشنتو عقيدة رسمية للدولة أن يتم فصله عن البوذية، وفروعها، وكانت الخطوة الأولى فى هذا السبيل هى توخى الدقة والعناية بفصل طوائف الشعب اليابانى المعتنقين لمذهب الشنتو عما سواهم. وعلى أن حكومة الميجى أخذت بإتجاه مناهض للبوذية فإنسحب أعضاء أسرة الإمبراطور من الطوائف البوذية وصدرت التعليمات الإمبراطورية بمنع حفلات البوذية داخل القصر الإمبراطورى وإعتدى الغوغاء على معابد البوذية. ولكن منذ عام ١٨٧٢م تولد لدى اليابانيين إقتناع بتغلغل البوذية، وتمشيها بالتوازى مع مذهب الشنتو بل وإمتزجت العقيدتان فى عقلية الرجل اليابانى العادى إلى الحد الذى لا يمكن فيه المساس بإحداهما دون الإضرار بالأخرى.

لذلك رأت الحكومة التخلى عن سياسة القمع التى كانت نتهجها شوجنية التوكوجاوا إزاء البوذية، ونشير فى هذا الصدد إلى أن موقف الدولة فى عصر الميجى من المسيحية لم يكن أقل عداء من العصر الذى سبقه إذ واصلت الحكومة اليابانية سياسة القمع التى كانت تنتهجها التوكوجاوا. ولكن الحكومة اليابانية رأت بثاقب نظرها أن هذا الموقف إزاء المسيحية سوف يضر بالعلاقات الخارجية لليابان خاصة مع الغرب لذلك عمدت إلى الإفراج عن الأربعة آلاف مسيحى الذين كانوا معتقلين فى السجون اليابانية.

ثم تخلت الحكومة اليابانية تدريجيا عن قمع الديانات الأخرى فى سبيل تركيز جهودها نحو إنشاء نظام دينى رسمى للدولة. وحتى حلول عام ١٩٣٠م كانت الحكومة اليابانية تتولى بنفسها أمر ٥٠,٠٠٠ كاهن وترعى شئون نحو مائة ألف معبد كانت مرتبة فى ١٢ طبقة يتبوأ أعلاها المعبد الأكبر فى ((إيز)) وكان مكرساً لآلهة الشمس. وعملت حكومة الميجى من جهة أخرى على إستخدام نظام التعليم الذى أنشأته حديثاً بالإضافة إلى سائر وسائل الدعاية لنشر العقائد الثلاثة للنظام الدينى الجديد من أجل تعميق فكرة تقديس اليابان، وكانت هذه المرتكزات العقائدية الثلاثة هى :

أ- أن الإمبراطور إله مقدس لأنه إمتداد لأجسام وأرواح الآله العظيمة الماضية، وخاصة تلك التى تنتمى إلى روح الشمس.

ب- أنا اليابان تحظى بالرعاية الخاصة من لدن الآلهة ولهذا فإن ترابها وأهلها ومؤسساتها فريدة من نوعها وتسمو على ما سواها.

جـ- إن لليابان رسالة مقدسة وهى : ((جمع العالم بأسره تحت سقف واحد)) (هاكو – ايشى – يو).

وبذلك يتاح لسائر البشرية ميزة التمتع بحكم الإمبراطور، وسارت الحكومة فى عام ١٨٦٩ على سياسة تقديس أرواح كافة من ماتوا فى سبيل الإمبراطور[xciv].

وكان من الطبيعى أن التغييرات التى أصابت الحياة بمختلف جوانبها فى اليابان تنعكس على الحياة الإجتماعية فظهرت المطاعم الجديدة التى تقدم الاطعمة الغربية مثل لحوم البقر وبأدوات مائدة غربية، بعد أن كان اليابانيون يحرمون أكل لحوم البقر لكونه يتنافى مع التعاليم البوذية، كما ظهر الشباب اليابانى مرتدياً الملابس الأوروبية. كما ظهرت الملابس الأوروبية فى مراسم البلاط والحفلات الرسمية منذ عام ١٨٧٢م.

ومن المظاهر الغربية فى الحياة الإجتماعية اليابانية ظهور الطراز الأوروبى فى البناء. وشجع الإمبراطور الناس على ذلك بدعوى أن الطراز التقليدى اليابانى لم يعد صالحاً مع التطور الحادث فى شتى نواحى الحياة اليابانية، كما بدأت تدخل التعبيرات الغربية فى أحاديث الناس، والتأثيرات الغربية فى عادات اليابانيين التى جعلت العادات المتأثرة بالطقوس البوذية تضعف أمامها.

ولقد كانت المشكلة الكبرى التى صاحبت دخول الثقافة الغربية هى إضطراب القيم حيث شهدت اليابان فترة من الزمان كان الشعب خلالها يقلل من شأن التراث الثقافى التقليدى، ولا يقنع إلا بما هو جديد. وكان الحظر الكامن فى هذه العملية يهدد بالقضاء على الوحدة الإجتماعية، والثقافية، والروحية للبلاد.

وقد حاول قادة الفكر فى مواجهتهم لهذا الخطر، أن يجدوا المخرج فى الشعارات التالية : ((الروح الشرقية والفنون الغربية)) و((الروح اليابانية والعلوم الغربية)) ولكن هذه الشعارات فى الواقع لم تكن ذات أثر كبير نظراً لأن الحضارة أو الثقافة كل لا يتجزأ، وأنه من المستحيل تبنى الواجهة العلمية أو الفنية لتلك الحضارة، واستيفاء الباقى ولهذا السبب كان من المحتم عند إدخال الثقافة الغربية إلى اليابان أن تتصارع القيم الواردة من الغرب مع قيم الثقافة اليابانية التقليدية، وقد أدى ذلك إلى الإضطراب. ولما كانت القيم ذاتها نتاج تاريخ طويل، فإنه لم يكن من السهل خلق قيم جديدة الأمر الذى أدى إلى تفسخ الأوضاع القديمة تدريجياً ومن ثم ((ضياع ضمير الشعب اليابانى وإخلاصه)) على حد تعبير الكاتب اليابانى الشهير ناتسومى سوسيكى (١٨٦٧-١٩١٦) وبالرغم من ذلك فقد كان دخول الثقافة الغربية إلى اليابان مسألة حيوية للغاية حتى ولو كان ثمن ذلك حدوث بعض الإضطرابات فى القيم، إذ لم يكن هناك مجال للتراجع على الإطلاق، وقد أثبتت النتائج النهائية نجاح تلك السياسة نجاحاً منقطع النظير، حيث ساهمت فى إنطلاق المجتمع اليابانى نحو التقدم.

ومن إيجابيات هذه التغييرات فى الحياة الإجتماعية إنتشار حركة التعليم ومحو الأمية بين اليابانيين، وظهور فكرة تحرير المرأة على النسق الأوروبى، وظهور أفكار تحررية للمثقفين اليابانيين على صفحات الصحف، وظهور محلات بيع الكتب وشيوع مبدأ التسامح الدينى، وغير ذلك من مظاهر اجتماعية حديثة، وقد أحدثت هذه التغييرات هزة فى عقول ونفوس اليابانيين ووجدت رفضاً وإنكاراً من البعض الذين ساروا ضد المبادئ والعادات المستورة ولكن عجلة الحياة الحديثة إستمرت فى طريقها لتصبح اليابان قوة عظمى فى شرق آسيا تتطلع لجيرانها[xcv].

رابعاً: التوسع اليابانى فى الصين

١- الحرب اليابانية – الصينية (١٨٩٤-١٨٩٥م)

كانت أولى المعارك التى إستخدمت فيها القوة اليابانية الحديثة هى الحرب مع الصين بشأن كوريا. إذ حدث في عام ١٨٩٤ أن تدخلت الصين تدخلاً عسكريًا لإخماد الثورة في كوريا نظرًا لأن كوريا كانت تابعة لإشرافها، ولكن اليابان لم تقبل هذا التدخل الحربي من قبل الصين خصوصا وإن اليابان بعد الانقلاب الصناعي الكبير وجدت حاجة الأراضي اليابانية لا تستوعب كل هذا الإنتاج الضخم من المصنوعات ووجدت أنها في حاجة إلى إيجاد أسواق خارجية لتصريف تلك المنتجات، ولهذا فإنها في حاجة إلى التوسع، والفتح، وكانت الأزمة الكورية فرصة ذهبية لليابان لتحقيق تلك السياسة. فدخلت في حرب مع الصين، وانتصرت انتصارًا حاسمًا بسرعة مذهلة أرغمت الصيت على الاعتراف باستقلال كوريا وعلى التنازل عن جزيرة فرموزا، وميناء بورت آرثر (على رأس شبه جزيرة لياونتج) وغرامة حربية قدرها ٢٠٠ مليون من الينات وذلك بمقتضى معاهدة شيمونسكي **Shimonseki** ١٧ أبريل ١٨٩٥، ولكن ضغطت الدول الأوروبية وهى المانيا وروسيا وفرنسا على اليابان للتنازل عن ميناء بورت آرثر في نظير زيادة في الغرامة الحربية فاضطرت اليابان إلى الرضوخ لمشورة تلك الدول .

وبعد أن فرغت اليابان من صراعها مع الصين أخذت تستعد للصراع المتوقع بينها وبين روسيا نتيجة لتنافسها على المصالح في الشرق الأقصى . وأرادت اليابان أن تحمي ظهرها وأن تضمن معاونة انجلترا أو وقوفها على الأقل على الحياد في الصراع المتوقع بينهما وبين روسيا، ونجحت في عقد تحالف مع انجلترا مدته عشرين عاما في سنة ١٩٠٢ تعهدت فيه الدولتان بمساعدة الأخرى في حالة دخولها في حرب مع دولة أخرى .

وقد ساعدت الظروف الدولية على إخراج هذا التحالف إلى حيز الوجود، فإنجلترا قد وجدت نفسها فى عزلة سياسية بعد إحتلالها لمصر سنة ١٨٨٢ وفرنسا قد غضبت لإنفراد إنجلترا بهذا العمل دون إشتراكها فيه، فالعلاقة بين الدولتين ساءت إلى حد كبير، وبلغت ذروتها فى حادثة فاشودة سنة ١٨٩٨م. وفى نفس الوقت فشلت الحكومة فى عقد إتفاق مع ألمانيا التى بدأت فى تحدى سيادة إنجلترا الحربية بزيادة عدد قواتها البحرية، وإنشاء أسطول حربى قوى ينافس قوة إنجلترا البحرية فى بحر المانش.

هذا من ناحية الموقف السياسى فى أوربا، أما إذا إنتقلنا إلى منطقة الشرق الأقصى نجد أن اليابان بدأت تظهر كقوة لها خطرها فى توجيه سياسة تلك المنطقة، وفى محاولة السيطرة على إقتصادياتها على حساب المصالح الإنجليزية. وفى نفس الوقت فهى تنظر بعين القلق إلى تقدم روسيا نحو الشرق الأقصى، وتدخلها فى شئون الصين، ومحاولة بسط نفوذها على تلك المنطقة. وقد أثر هذا بطبيعة الحال على مصالح إنجلترا فى الشرق الأقصى.

ولما كانت اليابان تتفق مع إنجلترا فى نظرتها إلى خطورة توغل النفوذ الروسى فى الشرق الأقصى على مصالحها الإقتصادية والسياسية، رأت الدولتان ضرورة الدخول فى حلف مشترك لحماية تلك المصالح. وكان هدف إنجلترا من عقد هذا الحلف دفع الخطر الروسى من ناحية، وتأمين مصالحها فى الشرق الأقصى ضد اليابان نفسها من ناحية ثانية، وتدعيم مركزها فى أوربا عن طريق سحب بعض قواتها البحرية من الشرق الأقصى والإنتفاع بها قريباً من تلك المعاهدة الإعتماد على حليف قوى ضد تدخل أية دولة أوربية فى صراعها المقبل مع روسيا.

وتلى تلك الخطوة إعلان الحرب على روسيا فى عام ١٩٠٤، فقامت إنجلترا وأمريكا بتمويل اليابان لمساعدتها على مواصلة الحرب، فإستولت اليابان عل بورت آرثر ومالت كل من المانيا وفرنسا إلى التدخل لصالح روسيا أسطولاً حربياً مكوناً من ٢٩ سفينة حربية عبر قناة السويس لمواجهة الأسطول اليابانى فى المياه اليابانية، وحدثت بين الأسطولين معركة فاصلة تسمى معركة بحر اليابان فى مايو سنة ١٩٠٥م إنتصر فيها الأسطول اليابانى على الروسى وكانت خسارة الأسطول الروسى كبيرة بلغت ٤ آلاف قتيل و٧ آلاف أسير ولم ينجوا من الأسطول الحربى الروسى سوى ثلاثة سفن حربية فقط. وإنتهت بعقد معاهدة بورتسموث فى ٥ أغسطس سنة ١٩٠٥م بين الطرفين.

وبهذه المعركة الحربية ظهرت اليابان أمام العالم كقوة حربية خطيرة فى الشرق وكانت بحق نقطة تحول فى تاريخ اليابان الحديث. وقد وضعت تلك الحرب حداً لمطامع روسيا فى الصين، وكذلك للتدخل الأوروبى فى الشرق الأقصى فإعترفت روسيا بمركز اليابان المتفوق فى كوريا، وكانت هذه خطوة أولى لضمها نهائياً فى عام ١٩١٠م.

ترتب على إنتصار اليابان على روسيا نتائج خطيرة بالنسبة للموقف الدولى فى كل من أوربا والشرق الأقصى ففى أوربا ضاعت هيبه روسيا كدولة كبيرة لها وزنها فى السياسة الأوربية والعالمية، فلم تصبح العقبة فى سبيل ألمانيا والنمسا فى شئون البلقان، فروسيا كانت تدعى بصفتها الدولة الصقلبية الكبرى بحماية مصالح البلقانيين أو الصقالبة كما كانت تطلق عليهم.

كما أن فرنسا التى كانت تعتمد على تحالفها مع روسيا فى مقاومة الإحتلال الإنجليز لمصر، وفى دفع الخطر الألمانى عن نفسها، وجدت أن الأهمية إمكان تغيير سياستها الخارجية بحيث لا تدخل فى إعتبارها الإعتماد على مساعدة روسيا. وفى نفس الوقت لابد من وضع حد سياستها العدائية ضد إنجلترا. فمن مصلحتها التقرب من إنجلترا والإتفاق معها على حل المشاكل المعلقة ليتفرغ الطرفان لمواجهة الخطر الألمانى الذى ظهر بجلاء ووضوح، وخصوصاً بعد أن أصبح لألمانيا أقوى جيش فى أوربا، وبعد أن دخلت فى سباق بحرى مع إنجلترا.

فهذا الموقف الدولى، والخطر المحدق بالدولتين الإنجليزية والفرنسية قد دفعهما إلى عقد الوفاق الودى Entente Cordiale بينهما فى عام ١٩٠٤م. هذا الوفاق الذى أطلق يد إنجلترا فى مصر فى نظير إطلاق يد فرنسا فى مراكش والذى وضع حداً للنزاع بين الدولتين الكبيرتين الذى إستمر فترة طويلة من الزمن(xcvi).

وترتب على تصفية الجو بين إنجلترا وفرنسا أخذت الحكومة الفرنسية تعمل من جانبها على تقريب شقة الخلاف بين إنجلترا وروسيا، فدخلت الدولتان فى مفاوضات طويلة لحل المشاكل المعلقة بينهما. وخصوصاً ما يتعلق منها بمصالح روسيا فى أواسط آسيا عل وجه الخصوص. وكانت المشكلة الإيرانية من أعقد المشكلات التى إعترضت طريق المفاوضات، فإنجلترا لها مصالح حيوية فى جنوب إيران حيث توجد حقول البترول الإيرانية التى تستغلها الشركات الإنجليزية، وبالإضافة إلى ما تقدمه الموانى الإيرانية على الخليج العربى من إمداد الأسطول الإنجليزى بما يحتاج إليه من وقود. وفى نفس الوقت إيران مجاورة لروسيا، وتستطيع أن تضغط عليها من حين إلى آخر تحقيقاً لمصالحها ومطامعها

وفى عام ١٩٢٢م إعترفت اليابان بسياسة الباب المفتوح وإتفقت فيما بينهما وبين الولايات المتحدة الأمريكية، على أن تكون حمولة الاسطول اليابانى ٦٠% فى حمولة الأسطول الأنجليزى أو الإمريكى وبذلك أصبحت اليابان القوة الآسيوية الأولى فى الشرق الأقصى، وبدأ منذ ذلك الوقت النفوذ الأوروبى فى الإضمحلال نتيجة لنهضة اليابان، وتلتها بعد ذلك الصين ثم سائر الدول الآسيوية فى الشرق الأقصى(xcvii).

٢ـ الحرب اليابانية ـ الروسية

لقد نجحت اليابان في إثارة مخاوف انجلترا من احتمال أن يمتد التوغل الروسي إلى الهند، فأبرمت مع إنجلترا ، سيدة البحار حينذاك تحالفًا (١٩٠٢ - ١٩٢٢) تعهدت بمقتضاه كل من الدولتين بمساعدة الدولة الأخرى إذا ما دخلت في حرب مع دولة ثالثة. ويلاحظ في هذا الصدد أن اليابان ورطت ساسة الإنجليز في التوقيع على وثيقة قلما أمكن استدراجهم للتوقيع على مثلها لإنها تحد من حريتهم في الحركة. لذلك لما بدأت الحرب اليابانية ـ الروسية في عام ١٩٠٤ بادر الممولون الانجليز بإقراض اليابان أموالاً طائلة لكي يتسنى لها تحقيق النصر على القيصر الروسي .

واقع الأمر أتت فكرة هذا التحالف قد راودت اليابانيين في منتصف التسعينيات وتم طرحها على جوزيف تشمبرلين عام ١٨٩٧، ولقيت الفكرة استحسانًا شديدًا في كلا البلدين باعتبارها تخدم مصالحهما في احتواء التوسع الروسي في المنطقة. فلقد نظر البريطانيون إلى هذه الاتفاقية المنشودة كوسيلة لتفادي تزايد التزاماتهم للحفاظ على السلم من ناحية، وضمان إنسياب تجارتهم بحرية في منطقة الشرق الأقصى. أما اليابانيون فقد أدركوا قيمتها فيما تحققه لهم من ضمان في حالة نشوب حرب بينهم وبين الروس، وعدم مواجهتهم من ناحية أخرى بحالة من العداء من جانب الدول الأوروبية الأخرى بالإضافة إلى الاعتراف الرسمى من جانب بريطانيا بالنسبة لمصالح اليابان السياسية، والتجارية والصناعية فى كوريا(xcviii).

على أن منشوريا هى التى لعبت دوراً هاماً فى إذكاء حدة التنافس الدولى بين كل من اليابان، وروسيا، والصين إعتباراً من نهاية القرن التاسع عشر حيث تحتوى أراضيها على إحتياطيات ضخمة من الذهب، والحديد، والفحم وغير ذلك من المعادن. وكانت اليابان قد شرعت فى التفاوض المباشر مع روسيا عام ١٩٠٣ من أجل الحصول على موافقتها على الإعتراف بحقوق اليابان فى حرية التصرف فى كوريا ولكن اليابان وهى تسعى إلى هذا التفاهم مع الروس كانت واقعة تحت الضغط البريطانى، لذلك فقد كانت تسعى فى نفس الوقت إلى تحجيم نطاق النفوذ الروسى فى منشوريا لكى لا يتعدى منطقة السكك الحديدية فقط على أن يظل المتبقى من منشوريا تحت السيطرة الصينية.

وبينما كان التفاوض يجرى بين البلدين على قدم وساق إذ بالقيصر نقولا الثانى يبعث بقوات ضخمة بإتجاه الشرق عبر خطوط حديد سيبيريا، فقامت اليابان بقطع المفاوضات فى فبراير ١٩٠٤م، ووجهت ضربة مفاجئة إلى الأسطول الروسى المتمركز فى ميناء بورت آرثر فى جنح الظلام، ونجحت اليابان فى حصار سفن الروس فى الميناء. وسرعان ما قامت فى جنح الظلام، ونجحت اليابان فى حصار سفن الروس فى الميناء. وسرعان ما قامت المشاة اليابانية بإختراق الحدود المنشورية الكورية عند نهر يالو فى حين قامت قوات يابانية أخرى بإحتلال ميناء دايرين (Dairen) وحاصرت ميناء بورت آرثر من جهة البحر أيضاً، وأجبرت اليابان الروس على الإنسحاب ناحية الشمال على طول الخط الحديدى بضرب متكرر، ومكثف على الأجانب وسقط ميناء بورت آرثر فى يد اليابانيين فى يناير ١٩٠٥م وفى هذه الأثناء سارع الروس إلى إرسال أسطولهم فى بحر البلطيق لتعزيز وجودهم فى ميناء فيلاديفستيك. ولكن بريطانيا رفضت السماح للأسطول الروسى بإستخدام قناة السويس أو حتى الموانئ البريطانية الواقعة على الطريق فكان على القائد الروسى أن يمر عبر رأس الرجاء الصالح. وهنا أدرك الأدميرال اليابانى توجو أن الروس سوف يلجأون إلى أقرب السبل داخل الجزر اليابانية ولهذا ظل متربصاً بأسطول حربى قوى فى مضيق تسوشيما اليابانى الذى يقع بين كوريا واليابان، وإستعان الأدميرال توجو لأول مرة فى تاريخ الأساطيل البحرية بالاسلكى الذى مكنه من متابعة سير الاسطول كل تلك المسافة[xcix].

وباغت توجو الأسطول الروسى بكيفية عسكرية ماهرة جعلت الأسطولين الروسيين فى مواجهة كل من الآخر غير قادرين على إطلاق النار تماماً، وعلى الفور أطلقت اليابان زوارق الطوربيد لتوجه ضربة نهائية للأسطولين.

ولقد كانت نتيجة هذه المعركة كارثة ضخمة للأسطول الروسى ويكفى تدليلاً على ذلك بأنه تم تدمير ٣٢ سفينة حربية من جملة الأسطول وعدد سفنه ٣٥ سفينة وعلى ذلك فإن هذه المعركة البحرية الشهيرة قد أنهت الحرب بين البلدين فى مايو ١٩٠٥. وفقدت روسيا أربعة آلاف من جنودها إلى جانب أسر أربعة آلاف آخرين فى حين لم يفقد اليابانيون سوى ١١٦، وجرح ٥٣٨ مقاتلاً.

وتجدر الإشارة إلى أنه حينما نشبت هذه الحرب الروسية – اليابانية حاول الرئيس تيودور روزفلت (Theodore Roosvelt) ألا يمتد لهيبها إلى الصين من ناحية، وأن تقف الولايات المتحدة موقف الحياد من ناحية أخرى مع ميل أمريكى مشوب بالعطف مع اليابان، ومن ذلك فإن الرئيس الأمريكى بادر بتوجيه إنذار إلى كل من ألمانيا وفرنسا بالوقوف على الحياد بعدم التدخل لصالح روسيا، معلناً أنهما إن تدخلتا فلسوف تتدخل الولايات المتحدة بثقلها إلى جانب اليابان.

ولما حققت اليابان فى حربها مع روسيا النصر تلو النصر كان فى مخيلتها ما حدث فى عام ١٨٩٥م حين سلبتها الدول التى أطلقت على نفسها اسم ((أصدقاء الصين)) ثمرة إنتصارها، لذلك إتجهت اليابان فى هذه المرة نحو الولايات المتحدة تطلب وساطتها فى حل الأزمة. ورغم أن الحكومة الروسية رفضت هذه الوساطة الأمريكية فى بادئ الأمر

ورغم نصح الرئيس روزفلت لها بقبولها مبينا لها أنا اليابان قد تعمد إلى إحتلال أجزاء أخرى من ممتلكات روسيا إلا أن الرئيس الأمريكى لم ييأس من معاودة الكرة خصوصاً بعد أن سقطت بورت آرثر فى أيدى اليابانيين. ثم تلتها موكدن ولكن روسيا أبت وأصرت، وإستكبرت إستكباراً، وقررت كما رأينا إستدعاء أسطولها الأوروبى فى بحر البلطيق.

وتجدر الإشارة فى هذا المقام إلى التهنئة التى بعث بها الرئيس روزفلت لممثل اليابان فى الولايات المتحدة بقوله ((إن إنتصار إنجلترا فى الطرف الآخر على قوات نابليون البحرية، وعلى الأرمادا (قوات أسبانيا البحرية) لا يعدل الإنتصار العظيم الذى أحرزه أمير البحر توجو(c))).

إستطاع إذن الرئيس الأمريكى فى ٨ يونيو من عام ١٩٠٥ إرسال مذكرة لكل من المتحاربين يطلب منهما ضرورة وضع حد لهذه الحرب، وعاد القيصر الألمانى إلى تأييد روزفلت لاسيما فى إقناع الروس بضرورة التسليم بمطالب اليابان، ودعا روزفلت الدولتين إلى سفينة ما فلاور (May Flower) وبدأت المناقشات فى بورتسموث الأمريكية.

وكما حسمت معاهدة شيمونوسيكى نتيجة الحرب الصينية - اليابانية لعام ١٨٩٤م فإن معاهدة بورتسموث (Portsmouth) (الولايات المتحدة) الموقعة فى ٥ سبتمبر ١٩٠٥م فعلت نفس الشئ بالنسبة للحرب اليابانية - الروسية نتيجة تدخل الولايات المتحدة للتوسط بين الدولتين. وقد تضمنت بنود المعاهدة تحقيق توسع للممتلكات اليابانية على النحو التالى :

١- حصلت اليابان على ميناء بورت آرثر بما فى ذلك الخط الحديدى الذى يربط هذه المنطقة بموكدن.

٢- حصول اليابان على حق الصيد فى مياه سيبيريا.

٣- ضم كوريا لليابان (وإن كان ذلك لم يتحقق بصفة نهائية إلا فى عام ١٩١٠م).

٤- سيطرة المشروعات اليابانية فى منشوريا وأهمها الخط الحديدى الشهير فى جنوب منشوريا الذى تم تسليمه بكامله إلى اليابان.

وكيفما كان الأمر. فإن هذه الأوضاع الجديدة قد وفرت لليابان مكانة ضخمة فى آسيا. كما أن حركة القومية اليابانية الوليدة صارت تجد فى هذه الواقعة الجديدة منشطاً غير عادى جعل اليابان تتطلع إلى دور الشرطى فى آسيا كلها، وجعل الدول الأوروبية تتخوف من هذا العملاق المتعاظم. وكان من نتيجة هذا الإنتصار اليابانى أن بريطانيا بدأت تشعر أن تلامذتها من ضباط البحرية اليابانية حققوا النصر على الروس. ولكن الأهم من ذلك أن الدول الغربية قد أصابتها الصدمة أن ترى أمة أوروبية تنهزم بهذه السهولة أما عنصر آسيوى وكان على الغرب أن يعيد تقييم نظرته لليابان بسرعة. وعلى الفور دعا الرئيس الأمريكى تيودور روزفلت لعقد مؤتمر سلام فى بورتسموث كما أسلفنا.

كانت معاهدة بورتسموث فى عام ١٩٠٥م نجاحاً لسياسة الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأقصى فى مستهل القرن العشرين والتى حددها وزير الخارجية الأمريكى جون هاى (John Hay) فيما سمى بمذكرات الباب المفتوح فى المجال التجارى، وسلامة أراضى الصين وكذلك حماية جزر الفلبين من المطامع اليابانية[ci].

ولكن يلاحظ أن اليابانيين حينما أحرزوا نصرهم الرائع فى ربيع ١٩٠٥ كانت إمبراطوريتهم الناشئة قد أصابها الإعياء مما دعا اليابان إلى دعوة الرئيس روزفلت للتوسط، ولكن المندوب اليابانى مع ذلك لم يكن قائماً بالسيطرة على جنوب منشوريا، وكوريا، والنصف الجنوبى من سخالين من يد الروس لذلك فقد طالب أيضاً بتعويضات مالية ضخمة،

وقد تسبب ذلك فى امتناع الأمريكيين ولذلك رأى اليابانيون التخلى عن هذا المطلب. وعلى ذلك فإن معاهدة بورتسموث تكون قد حافظت على توازن القوى الذى كاد الروس أن يطيحوا به فبقيت روسيا دولة هامة من دول المحيط لكن اليابان ظهرت إلى جانبها بمثابة الند القوى، وكان هذا يتماشى مع وجهة النظر الأمريكية.

ومع ذلك، فقد شعرت جماهير الشعب اليابانى بالإحباط لما أسفرت عنه المعاهدات من مكاسب ضئيلة فى نظرهم، وأنحو باللائمة فى ذلك على الأمريكيين. وكان هناك حشد جماهيرى فى طوكيو عام ١٩٠٥م نظم عدداً من مظاهرات الإحتجاج على طول البلاد وعرضها يستنكر ذلك ((السلام المهين)). وسرعان ما ردت الجماهير الأمريكية بالمثل، وإن كان لأسباب مغايرة. فقد كانت الهجرة اليابانية تسبب بعض المشكلات للأمريكيين. وفى عام ١٩٠٦م أصدر ((مجلس فرنسيسكو للتعليم)) قراره يحظر الحضور على أبناء اليابانيين فى المدارس الحكومية الأمريكية (وإن كان هذا الحظر قد أبطل فيما بعد) [cii].

الفصل الرابع

سياسة اليابان الخارجية (١٩٤٥ - ١٩٧٠م)

أولاً- الولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً- كوريا.

ثالثاً- الإتحاد السوفيتى.

رابعاً- مكانة اليابان عالمياً.

الفصل الرابع

سياسة اليابان الخارجية

أولاً: الولايات المتحدة الأمريكية :

إستطاع اليابانيون أن يسيطروا على مساحات واسعة من الصين وخصوصاً منشورياً، وشمال الصين، ثم تقدموا نحو منطقة البحر الجنوبي، وكانوا إمبراطورية واسعة تكفى لمد اليابان بالغذاء، والمواد الأولية.

لكن العسكريين اليابانيين نسوا القاعدة التى تقول أن قوة المرء هى فى قدرته على معرفة حدوده، وتناسوا القوة الأخرى الموجودة على الطرف الثانى للمحيط الهادى والتى لم تكن لتسمح لهم بالتعاظم، والتوسع.

لقد قدم الأمريكيون المعونة المكثفة اليابان لتكون حارسة للمصالح الأمريكية ضد التمرد الشيوعى، وذلك بعد أن فقدت الولايات المتحدة كل أمل فى صمود الصين الوطنية بعد قيام الصين الشعبية عام ١٩٤٩م، لذلك ستعمل أمريكا على تغيير العقلية العسكرية اليابانية بعقلية ديمقراطية معارضة للتفكير الفاشى.:

وأول مرة تعرضت جزر اليابان للقوات الغازية فى تاريخها كان يوم ٢٨ أغسطس ١٩٤٥م وتم ذلك بدخول قائد القوات الحليفة ماك آرثر أرض اليابان فى ٨ سبتمبر من نفس السنة. ويقى الإمبراطور على عرشه، ولكنه وجه خطاباً دعا فيه شعبه للحفاظ على الإستقرار الإجتماعى وإرساء مبادئ الديمقراطية.

وطبقاً لإنذار بوتسدام فإن ((القيادة العليا للقوات المتحالفة)) بدأت بتسريح الجيش اليابانى، وتصفية الشركات الكبرى للسيطرة على النواحى الإقتصادية، ونزعت السلاح لإقرار النظام الديمقراطى.

وفى موسكو عقد فى ديسمبر ١٩٤٥م مؤتمر لإنشاء ((مجلس متحالف لشؤون الشرق الأقصى)) ولكن سلطة الجنرال ماك آرثر بقيت مطلقة ومؤثرة(ciii)، وأصبحت السيادة اليابانية محصورة فقط فى جزرها الأربعة.

وعام ١٩٤٥م نشأ الحزب الليبرالى المعتدل برئاسة يوشيدا الذى إستطاع التفاهم مع الأمريكيين، وترتيب الأوضاع اليابانية كإعادة البناء الإقتصادى. تقدم هذا الحزب على منافسيه من الأحزاب الأخرى، وخاصة الإشتراكى، والشيوعى اللذان لم يعد لهما نفس الأهمية فى اليابان.

بقيت الولايات المتحدة الأمريكية تعتمد على سياستها لإيقاف المد الشيوعى فى الصين على شيانج كاى شك لكن فشل الزعيم الصينى وتدهور الصين الوطنية وعدم إحراز نتائج مرضية تقف بوجه المد الشيوعى دفع الولايات المتحدة الأمريكية لتغيير سياستها فى المنطقة بدلاً من الإعتماد على الصين الوطنية تحولت إلى اليابان، ووضعت ثقلها هناك بتغييرات ديمقراطية وتخفيف قيود الإحتلال الأمريكى، فسمحت أمريكا لليابان بإستخدام الصناعات الحربية القديمة لأغراض مدنية، وصارت اليابان هى الحليف المستقبلى للولايات المتحدة الأمريكية بدلاً من الصين.

بدأت السياسة الأمريكية بإعطاء اليابان حريتها، ولكن ضمن قيود حتى إذا أردنا مقارنة الإحتلال الأمريكى لألمانيا بإحتلالها لليابان نجد الفرق شاسعاً، فقد كان الإحتلال الأمريكى لليابان بسيطاً، ولم تعمل أمريكا على تحطيم

الإقتصاد اليابانى كما حصل للألمانى، كما أن اليابان لم تقسم بين الطامعين من قوات الإحتلال.

هذه السياسة أدت لأن تسير اليابان شيئاً فشيئاً فى طريق السيادة الإقتصادية، فوقعت إتفاقيات تجارية مع ألمانيا، بل أن عدد الدول التى وقعت إتفاقيات خاصة ولها تمثيل مع اليابان جاوز العشرين دولة كانت لها حق الإتصال المباشر مع اليابان، ولكن طبعاً عن طريق الجنرال ماك آرثر الذى كانت تقدم له أوراق المعتمدين الأجانب[civ].

وقد توصلت الولايات المتحدة إلى أهدافها من عملية الإحتلال بسرعة. وكان الهجوم الشيوعى على كوريا قد دفعها فى عام ١٩٥٠ للرد بسرعة على هذا العمل العسكرى ودفع الأمريكيين للإعتماد أكثر فأكثر على اليابان، وجاء هذا الإعتماد مكشوفاً عندما دخلت الولايات المتحدة فى صراعها علناً مع الشيوعيين.

هذه السياسة أوجدت ميلاً واضحاً عند الأمريكيين لعقد صلح منفرد مع اليابان، وكان الطلب اليابانى الوحيد تقديم الضمانات الأمريكية لليابان بالوقوف إلى جانبها ضد أى هجوم شيوعى. وفى ٢٠ يونيو – جزيران – ١٩٥١م وجهت الولايات المتحدة دعوة إلى إحدى وخمسين دولة حيث تم توقيع معاهدة فى ٨ سبتمبر ١٩٥١م جاء فيها تخلى اليابان عن سيطرتها على كوريا، وفرموزا، وجزر كوريل، وسخالين، بل أن معظم جزر المحيط الهادى أصبحت تحت الوصاية الأمريكية. وتخلت اليابان عن حقوقها فى الصين.

بالنسبة للإحتلال الأمريكى لليابان، فقد تعهدت الدول الحليفة بإجلاء قواتها خلال فترة تسعين يوماً، مع إمكانية عقد إتفاقيات، ومعاهدات للتمديد لها بناء للرغبة اليابانية، ريثما تتمكن اليابان من تحمل عبء الدفاع عن نفسها.

وفى نفس اليوم ٨ سبتمبر ١٩٥١م وقعت اليابان معاهدة مع الولايات المتحدة أعلنت فيها اليابان عن عدم قدرتها على الدفاع عن نفسها، وعن رغبتها ببقاء القوات الأمريكية على أراضيها. وهذه المعاهدة عرفت باسم معاهدة الأمن ((Security Treaty)).

هنا لابد من الإشارة إلى أن الولايات المتحدة من ألمانيا، وموقفها من اليابان هو واحد، ففى سياستها مع الأولى كانت ترغب بإيقاف المد الشيوعى فى أوروبا، وكانت ألمانيا هى المعقل الرأسمالى الكفيل لذلك، وكذلك بالنسبة لليابان، فقد لعبت الدور الذى لعبته ألمانيا فى أوروبا، ولكن على الأراضى الأسيوية، وذلك بإيقاف المد الشيوعي فى الصين، وكان على الولايات المتحدة أن تقدم المعونات اللازمة لكلا البلدين لنجاح سياستها.

لقد كانت سياسة ماك آرثر فى اليابان تعتمد على ثلاثة أهداف وهى :

١- نزع السلاح اليابانى.

٢- غرس الديمقراطية فى الحياة السياسية اليابانية.

٣- إستعادة الإقتصاد اليابانى لنشاطه، لتصبح اليابان سويسرا الشرق الأقصى[cv].

إن السياسة التى إتبعتها الولايات المتحدة الأمريكية فى اليابان فى المرحلة الأولى من إحتلالها، سمحت بالأحزاب الجديدة والليبرالية بالظهور وحدَّت من نشاط الأحزاب الإشتراكية، والشيوعية. وظهرت فى البلاد خمسة أحزاب سياسية هى الحزب الليبرالى والحزب التقدمى، اللذان يعتبران إمتداداً لحزبى السيوكاى والمنسيتو، وكذلك كان للإشتراكيين والشيوعيين أحزابهم، مثل الحزب الديمقراطى الإشتراكى، والحزب الشيوعى والحزب التعاونى، كما شهدت اليابان إنشاء ٣٦٣ حزباً سياسياً تنافست للدخول إلى المجلس النيابى خلال المعركة الإنتخابية، ولو كانت النتيجة دائماً لصالح الحزب الليبرالى[cvi].

بعد عام ١٩٤٨م عملت اليابان على التخلص من آثار الحرب العالمية الثانية وبدأت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تميل لمنح اليابان مساعدات تخلصها من الفاشية العسكرية التى كانت متحكمة لسياستها قبل وخلال الحرب. وعندما قدمت أمريكا هذه المساعدات كانت مصممة على نزع سلاح اليابان، وإرساء قواعد الديموقراطية الغربية فيها.

وإذا كانت السياسة الأمريكية لدعم اليابان تعتمد بداية على تقديم المساعدات المالية، رأت أمريكا فى الخمسينات ضرورة التخلى عن هذه الطريقة بتقديم المساعدات والمضى بتنمية الإقتصاد اليابانى ليدعم نفسه بنفسه.

ومما ساعد على نجاح خطة التعاون اليابانى الأمريكى لبناء سياسة إقتصادية ثابتة فى اليابان تقوم على أسس صناعية، قيام الحرب الكورية.

ففى يونيو ١٩٥٠م وصل جون فرستر دالاس مستشار وزير الخارجية الأمريكية إلى اليابان وبدأ بدعوة حكومتها لتسليم نفسها لإعادة الإستقلال إليها، وعدم الإعتماد على المظلة الأمريكية للدفاع عنها، لكن اليابان رفضت ذلك خاصة وإن الشعب اليابانى ما زال يعانى من هزيمته العسكرية وأثارها، فى هذه الظروف شهد الشيوعيون ما يعرف بالحرب الكورية. هذه الحرب أتت فى ظروف نشأة الصناعة اليابانية التى إستطاعت التقدم بقوة سريعة لتلبية متطلبات القوات العسكرية للأمم المتحدة التى تحارب فى كوريا.

وفى خلال عام واحد من إندلاع الحرب الكورية إزدادت الطاقة الإنتاجية للمصانع اليابانية بنسبة خمسين بالمائة. كما عملت الحكومة اليابانية لتدبير الأسس اللازمة والبنية الأساسية للإقتصاد للتوسع ولبذل المعونات للصناعات الهامة كالصلب وبناء السفن وبناء السدود، والمحطات المائية.

وفى خلال الخمسة عشر عاماً من النمو الإقتصادى بعد الحرب الكورية عملت الولايات المتحدة على إرخاء قبضتها، وسمحت بتنمية الصناعات الاساسية، فاحتلت اليابان عام ١٩٦٦م المركز الأول فى الصناعات البحرية كما إحتلت المركز الثانى فى صناعة الإلكترونيات، والمركز الثالث فى إنتاج الصلب، والمركز الرابع فى الصناعات الكيماوية.

وفى أوائل السبعينات حققت اليابان معجزتها الإقتصادية، وأصبحت ثالث أكبر قوة إقتصادية فى العالم، وبدأ الأمل بأن يلعب الشعب اليابانى دوراً قيادياً، وبدأ الشعب اليابانى يشعر أن معاهدة الأمن **Security Treaty** التى عقدتها مع الولايات المتحدة الأمريكية هى بمثابة مشكلة لسياستها الخارجية، فاليابان لا تزال تحتمى بأمريكا ومضطرة للسير فى ركابها مع أنه لا علاقة لها بالتنافس النووى بين أمريكا والسوفييت أو بالمواجهة بين السوفييت والصين، أو بالحرب القائمة فى فيتنام، والتى عارضها اليابانيون بمظاهرات ضد الدور الأمريكى فى فيتنام، لدرجة أن التيار الشيوعى بدأ يجد تجاوباً عند اليابانيين، وساد القول بأن حرب فيتنام قد تمتد إلى الصين، وبعد ذلك إلى اليابان نفسها[cvii].

كانت سياسة اليابان الخارجية مع الولايات المتحدة الأمريكية نسبية مع تقدمها الإقتصادى، فكلما أحست اليابان بقوتها الإقتصادية كلما اعتبر اليابانيون وجود القوات الأمريكية فى اليابان وتبعيتهم لها، يشكل جرحاً فى كرامتهم السياسية، وبالتالى فإن الإتفاق مع أمريكا لم يعد يتمشى ومصالحها. وقد ولدت المشكلات العالقة بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية هذا الشعور، ومنها مشكلة أوكيناوا، والمطالبة بإلغاء معاهدة الأمن[cviii].

وبمقتضى معاهدة ١٩٥٢م بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية وعدت اليابان بأن تكون أوكيناوا أحد الاقاليم التابعة لوصاية الولايات المتحدة الأمريكية وبالتالى لم يرض هذا الأمر اليابانيين سكان الأقليم فبدأوا يطالبون بالإنضمام لبلادهم، وقد ثارت ثائرة الأهالى بعد حرب فيتنام. وشعر اليابانيون أن حكم الأمريكيين لبلادهم قد جعل منها المستعمرة الوحيدة فى العالم بعد الحرب العالمية الثانية.

إنتهت هذه المشكلة بموجب إتفاق تضمن إعادة أوكيناوا لليابان فى عام ١٩٧٢ مع إستمرارية إستخدام القواعد الأمريكية فيها للدفاع عن كوريا الجنوبية وعن تايوان، لأن ((أمن كوريا يعتبر أساسياً بالنسبة لأمن اليابان ذاتها)).

وقد عادت جزر أوكيناوا لليابان فى ١٥ أيار (مايو) ١٩٧٢ [cix].

٢- المطالبة بإلغاء معاهدة الأمن .

خلال الخمسينات، وحتى أواخر الستينات كان الإهتمام اليابانى يدور حول القواعد العسكرية الأمريكية، ومعارضة معاهدة الأمن.

وقد جرى تعديل هذه المعاهدة وجعلت مدتها عشر سنوات إعتباراً من عام ١٩٦٠م، وكان هذا التعديل يجيز للقوات الأمريكية داخل اليابان التحرك لقمع الإضطرابات إذا دعتها الحكومة اليابانية لذلك. أما بالنسبة للمسألة النووية فقد نصت المعاهدة على عدم قيام الولايات المتحدة الأمريكية بأية تغييرات دون الرجوع إلى الحكومة اليابانية، وبالتالى حظرت المعاهدة على الولايات المتحدة تكديس أسلحة نووية فى اليابان. وتكثفت الأعمال لإلغاء هذه المعاهدة إثر الحرب الفيتنامية، وقام الطلاب بالتظاهر، وأصدرت الحكومة اليابانية قوانين تحد من هذه التحركات بل أنه عملت أيضاً على وضع قيود على طلاب، وأساتذة الجامعات التى تسودها الإضطرابات.

ولما حل موعد تحديد مصير المعاهدة، ولم يتقدم أى طرف بإلغائها ظلت المعاهدة نافذة المفعول.

وبدراسة هذه المعاهدة يتبيّن أنها كانت على شكل إتفاقية بين واشنطن وطوكيو وكانت تعتبر نوعاً من أنواع الإحتلال الأمريكى. وقد قامت المظاهرات فى اليابان تطالب بإلغائها، ولكن الحكومتين كانتا تعبران عن رضائهما التام لمضمون ومحتويات معاهدة الامن المشترك، فمن جهة أمريكا كانت ترى فى وجودها فى اليابان تأكيداً وضمانة لعدم نشاط النفوذ العسكرى اليابانى من جهة، وكذلك فى الحد من الأطماع السوفيتية أو الصينية فيها من جهة ثانية. وبالنسبة لليابان فإن هذه الإتفاقية كانت تحدد ميزانية الدفاع بحدود لا تتجاوز الواحد فى المائة من الدخل القومى، الأمر الذى ساعد على إنصراف الإقتصاد اليابانى نحو النمو والزيادة دون تحمل أعباء عسكرية. لقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية هى المكلفة بهذه الأعباء وكان للأعمال العسكرية نصيب كبير فى موازنتها.

واقع الأمر لم يكن فى صالح أى من الدولتين إعادة النظر فى معاهدة الأمن، ولكن الكونغرس الامريكى بدأ يناور فى نهاية عام ١٩٨١م لإعادة النظر فى المعاهدة، وذلك كوسيلة تهديدية لإرغام اليابان المتفوقة إقتصادياً على صرف جزء من أموالها على القضايا الدفاعية، الأمر الذى تأمل الولايات المتحدة الأمريكية بنتيجته أن يتأخر التقدم الحاصل فى الميزان التجارى اليابانى، مع أن ذلك يعنى تخلى الولايات المتحدة الأمريكية عن إلتزاماتها العسكرية تجاه اليابان، ويعنى أيضاً أن اليابان التى قد تجد نفسها وحيدة تضطر للتفتيش عن بديل، وقد يكون الإتحاد السوفيتى هو ما لا ترضاه واشنطن.

بدأت اليابان تتطلع لبناء قوة عسكرية عام ١٩٨٩م بعد أن تأكدت أنها الأولى فى العالم إقتصادياً، وإن هذا المركز لابد له من قوة دفاعية للحفاظ على المكاسب الإقتصادية.

ومقارنة بما تنفقه اليابان على دفاعها نجده لا يتجاوز ١% من الدخل القومى فى حين أن هذه النسبة تبلغ ٧% عند الولايات المتحدة، وهذا يؤدى للقول بأنه لم تزد اليابان من قدراتها الدفاعية فإنها ستبقى معتمدة على الآخرين أى الولايات المتحدة.

بالمقابل فإن الشعب الأمريكى لم يعد يقبل أن يدفع الضرائب إلى مالانهاية من أجل حماية الشعب اليابانى خصوصاً إذا إعتبرنا أن المنتجين الأمريكيين يعتبرون أنفسهم مهددين بالمنتجات اليابانية، وأنه لا يجوز أن تركز اليابان كل همها على الإنتاج الإقتصادى فى حين تقوم الولايات المتحدة بالدفاع عنها.

ونظراً لأن اليابان تعتمد على طاقتها من البترول الذى يصلها من الخليج العربى وبما أن هذه المنطقة تعرضت مؤخراً لمضاعفات سياسية – سقوط شاه إيران – والحرب العربية الإيرانية - وغزو السوفييت لأفغانستان؛ كل هذه المضاعفات دفعت اليابان لتعديل سياستها الدفاعية فوضعت خطة خمسية ١٩٨٦ – ١٩٩٠م بنتيجتها أصبحت ميزانية اليابان ثالث أكبر الميزانيات الدفاعية، فقد تجاوزت بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلغت ٣٠مليار دولار فى حين لم تصل ميزانية الدول المذكورة هذا الرقم[cx].

وبعد تورط الولايات المتحدة الأمريكية فى حرب فيتنام، وإضطرارها للخروج من هذا المستنقع عام ١٩٦٨م وبعد أن حدد الرئيس جونسون عدد القوات الأمريكية فى فيتنام وتلاه إعلان الرئيس نيكسون الإنسحاب البطئ عام ١٩٦٩م، بدأت الشكوك تراود اليابانيين تجاه هذه السياسة، وبالتالى بدأت خشيتهم تزداد من إتباع الأمريكيين سياسة العزلة، ومبدأ مونرو القديم، والذى سيدفع اليابانيون ثمنه غالياً لإضطرارهم لتسليح أنفسهم أما قوى الجبروت المجاورة.

زادت هذه الخشية عند إعلان الرئيس الأمريكى نيكسون مبدأه فى ٢٥ يوليو ١٩٦٩م بأنه لن تكون هناك فيتنام أخرى، وإن الولايات المتحدة الأمريكية تتوقع من الدول الآسيوية أن تتحمل العبء الأكبر من مسؤولية الدفاع عن نفسها.

هذه الخشية إزدادت أكثر عندما بدأ وزير خارجية أمريكا هنرى كيسنجر يتفاوض سراً مع الصينيين، وبدت الزيارة المرتقبة للرئيس نيكسون للصين ظاهرة للعيان. وإذا كان اليابانيون قد إعتبروا فى التقارب الأمريكى الصينى إمتهاناً لهم، إلا أن مرونتهم السياسية ظهرت بتجاوز محنتهم الناتجة عن التقارب الأمريكى الصينى، والإلتفاف عليها بالتقارب هى أيضاً مع الصين. حتى أن رئيس الوزراء اليابانى لم يجد حرجاً فى ٢٩ سبتمبر ١٩٧٢م من إعتراف اليابان بالصين الشعبية خاصة وأن اليابان لم تعتقد بقوة دورها العسكرى المستقل، لأنه مهما بلغت اليابان من القوة فلن تستطيع مجاراة الإتحاد السوفيتى، أو الصين الشعبية، وبالتالى كانت المظلة الأمريكية لليابان تقنع اليابانيين بأن أى محاولة لغزو بلادهم ستؤدى إلى حرب عالمية ثالثة خاصة وأن الأسطول السابع الأمريكى موجود فى المياة اليابانية[cxi].

كما إن سياسة اليابان الخارجية التى تدور فى فلك الولايات المتحدة الأمريكية دفعتها للتعامل مع دول دون أخرى فهى تتعامل مع كوريا الجنوبية وليس الشمالية، وتعاملها مع تايوان أكبر بكثير من تعاملها مع الصين الشعبية.

تحيط باليابان دولتان هما : كوريا والإتحاد السوفيتى، ونذكر بما يحمله العنصر الكورى من حقد على اليابان التى إحتلت أرضه فى الحرب العالمية الثانية، نضيف إلى ذلك الشعور بالخوف الذى يشعر به اليابانيون من الإتحاد السوفييتى[cxii].

ثانياً- كوريا

لقد حظيت شبه الجزيرة الكورية بالوحدة خلال الألف عام الماضية حتى مزقتها الحرب العالمية الثانية، ثم قامت الحرب الكورية تزيد من هذا التمزق.

ويعيش حوالى ٢٠ مليون كورى فى الشمال فى نظام شيوعى يسانده الإتحاد السوفيتى والصين، ويعيش نحو ٤٢ مليون فى الجنوب تحت نظام دكتاتورى لا يعترف بحقوق الإنسان ولكنه يتمتع بحماية الأمريكيين الذين يملكون قواعد جوية وبرية فى المنطقة.

الإنقسام فى كوريا أبقى هذه المنطقة ساخنة خلال الحرب الباردة التى دامت حوالى نصف قرن، ولكن كوريا الجنوبية وبدعم أمريكى إعتمدت المنهج اليابانى فى التطور الصناعى فأصبح لها قوتها الصناعية.

يوجد حالياً صراع فى كوريا الجنوبية بين النظام الدكتاتورى الحاكم وبين فئة المثقفين التى تطالب النظام بإحترام حقوق الإنسان وبممارسة الديمقراطية بطريقة أفضل.

ينظر اليابانيون إلى الوجود العسكرى الأمريكى فى كوريا الجنوبية كضمان لهم يمكنهم من عدم الإهتمام كلياً بالمشاكل الداخلية فى كوريا الجنوبية، وبالنزاع القائم بين الكوريين.

أما العلاقات اليابانية الكورية فلا تزال تحكمها العقد القديمة الناجمة عن المرارة التى عاناها الكوريون من الإحتلال اليابانى لبلادهم قبل الحرب العالمية الأولى، والذى إستمر حتى الحرب العالمية الثانية. ويكفى هذا المثال لنبين مقدار الحقد بين الشعب الكورى والشعب اليابانى : فعند تجدد الصراع بين الكوريين مثلاً، وظهور إقتراح بحلول قوات الدفاع الذاتية ككل وسط مكان القوات الأمريكية الموجودة فى الجنوب نتساءل ما هو موقف الكوريين ؟ يجيب على هذا التساؤل رئيس إحدى الجامعات فى كوريا الجنوبية:((فى هذه الحالة سوف ننضم إلى كوريا الشمالية لنحارب اليابانيين))[cxiii].

٣- الإتحاد السوفيتى

أما الدولة الأخرى التى تشعر اليابان تجاهها بالخوف فهى الإتحاد السوفيتى الذى كان يتمتع بقوة عسكرية هائلة، والذى ما زال يرغب برد إعتبار روسيا بعد الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ – ١٩٠٥م). أن مشاعر العداء إزدادت عند اليابانيين عندما دخل الإتحاد السوفيتى الحرب ضد اليابان حينما أشرفت هذه الحرب على نهايتها عام ١٩٤٥م فإحتفظ بمئات الألوف من الأسرى اليابانيين فى سيبيريا وهلك العديد منهم تحت أعمال السخرة.

وإذا بدا الإتحاد السوفيتى وكأنه حامى السلام فى العالم، مما سمح للحزب الشيوعى اليابانى بالإنتعاش بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن ذلك ما لبث أن أخذ منحى العداء ضد السوفيت، حتى أن الحزب الشيوعى اليابانى أدار ظهره للإتحاد السوفيتى، بل أن الإشتراكيين اليابانيين دهشوا عندما تبينوا موقف الإتحاد السوفيتى من التسلح النووى وسياسته العنيفة مع الدول التى تدور فى فلكه.

كان الإتحاد السوفيتى هو الدولة التى تحظى بأقل درجة قبول عند اليابانيين الذين قد يقبلون الصين، بإعتبار أن اليابان والصين يكنون الإحترام للعوامل التاريخية القديمة المشتركة؛ الكونفوشياسية والبوذية ولكنهم يرفضون السوفييت.

إلا أن العلاقات بين اليابان والإتحاد السوفيتى ما لبثت أن تحسنت فى السبعينات حينما ظهر وكأن اليابان ستقوم بمشاريع عملاقة فى سيبيريا، لكن هذه المشروعات لم تتم، ولم تتحقق الأحلام التى بنيت عليها.

أن أسباب عدم الرضى فى العلاقات اليابانية السوفيتية يعود لضخامة التعزيزات العسكرية السوفيتية فى شرق آسيا وكذلك لبقاء السوفيت فى أراضى اليابان الشمالية المتمثلة بجزر كوريل الأربعة.

بالنسبة للتعزيزات السوفيتية، فإن الوصول للمياة الدافئة لا يمكن أن يتم إلا عبر مضائق تقع معظمها تحت سيطرة اليابانيين. ولكن السوفييت اللذين لديهم شمالى جزيرة هوكايدو يستطيعون من هناك التحرك، وما يضايق اليابانيين أن قوات الدفاع الذاتى التى يملكونها لا تستطيع حمايتهم طويلاً عند وقوع عدوان سوفييتى عليهم لحين وصول الإمدادات الأمريكية.

أما بالنسبة لجزر الكوريل الأربعة، فقد إحتلها السوفييت عام ١٩٤٥م وطرد اليابانيين الموجودين فيها، وقد بدأ اليابانيون يطالبون على الأقل بالجزء الجنوبى منها الذى يمكن رؤيته من هوكايدو. وقد بقيت هذه المشكلة قائمة حتى الآن[cxiv].

رابعا:ً مكانة اليابان عالمياً

بدأت اليابان من أواخر الستينات وأوائل السبعينات تبحث عن دور سياسى عالمى مستقل بها، فقد بدأت تتخلى عن سياسة العزلة، وحاولت أن تجد لها دوراً يتناسب ومكانتها الإقتصادية التى وصلت إليها.

وتجلى ذلك فى سياستها لإستعادة جزيرة أوكيناوا من الولايات المتحدة الأمريكية التى كانت قد إعتمدتها لإقامة قواعدها العسكرية عليها، ولبناء خطها الدفاعى فى المحيط الهادى. وبالفعل وقعت فى ٢١ نوفمبر ١٩٦٩م إتفاقية بشأن عودة الجزيرة إلى اليابان، ونصت الإتفاقية على أن اليابان بتحالفها مع الولايات المتحدة الأمريكية قد أصبحت متأهبة للدخول فى مرحلة سياسية جديدة تتناسب وقوتها الإقتصادية والصناعية الهائلة. وإن عودة جزيرة أوكيناوا لليابان يجب أن لا يمنع الولايات المتحدة من القيام بدورها السياسى، والعسكرى فى الدفاع عن الشرق الأقصى- بما فى ذلك اليابان نفسها.

وهكذا فإنه بالرغم من سعى اليابان من أجل القيام بدور سياسى مستقل فى المنطقة إلا أنها لا زالت تابعة بصورة أو بأخرى للمصالح، والسياسات الأمريكية الخارجية.

شكلت اليابان قوة إقتصادية عالمية، وبالتالى أصبح الظن السائد عند أغلبية اليابانيين ضرورة إيجاد نظام عسكرى يابانى بدلاً من معاهدة الأمن مع الأمريكيين ولكن ليس بوسع اليابانيين تشكيل قوة عسكرية كافية تقدر على حماية مصالحها العالمية، صحيح أن اليابان تملك القوة التكنولوجية والإقتصادية الكافية لإيجاد قوة نووية لها، ولكن ضيق مساحة أراضيها، وكثافتها السكانية العالية جعل تكوين القوة النووية أمراً متعذراً.

وعلى الرغم من عدم الرضى للروابط العسكرية مع أمريكا، فإن ذلك كان هو الحل الأمثل لسد إحتياجات اليابان الدفاعية، ولكن هل ستدوم العلاقات الأمريكية اليابانية إلى الأبد ؟

إن التقدم الإقتصادى اليابانى بطريقة هائلة جعل المواطن الأمريكى يقول بأن هذا الأمر يعود إليه، فهو الذى يدفع الضرائب، فى حين تقوم حكومته بتسهيل الدفاع عن اليابان، التى ينصرف شعبها لبناء قوتهم الإقتصادية، وهذا يعنى أنه يتوجب على الشعب الأمريكى الدفاع عن أراضيه، وأراضى الآخرين. هنا لم يكن أمام اليابان إلا أن تقوم ببناء قوة دفاع ذاتى لها[cxv].

تتجاوز ميزانية هذه القوة ثلاثة مليارات دولار فى السنة وتحتل المركز السادس فى العالم من حيث حجم الإنفاق فهى تأتى بعد الولايات المتحدة الأمريكية، والإتحاد السوفيتى السابق، والصين، وبريطانيا، وألمانيا الغربية.

والقوة عبارة عن حوالى ٢٦٠ ألف جندى متمركزين فى جزيرة هوكايدو فى شمالى البلاد لدرع أى عدوان سوفيتي محتمل، كما تشمل القوة ٥٧٥ سفينة بالإضافة إلى ١٦ غواصة تدعمها ٣٠٠ طائرة معظمها مضاد للغواصات. أما السلاح الجوى فيضم ٦٠٠ مقاتلة نفاثة من بينها خمسون طائرة من طراز فانتوم، وطائرات الإستطلاع وطائرات التدريب.

والملاحظ أن إهتمام اليابان ينصب حول نوعية التسليح، والتدريب أكثر مما ينصب على زيادة القوات المسلحة التى أشير هنا إلى أن نسبة الضباط عالية جداً فيها، مما يعنى أن هذا الجيش هو نواة الجيش الذى قد يضم عديداً من الإحتياطيين.

وإذا كنا نتكلم عن مكانة اليابان عالمياً لابد من الإشارة إلى القروض الضخمة التى قدمتها اليابان للدول النامية.

ترجع سياسة الإقراض المالى التى إتبعتها اليابان لعام ١٩٧٠م أما قبل ذلك التاريخ فكانت اليابان دولة مقترضة.

ومما ساعد اليابان على تقديم القروض، والدعم المالى للدول النامية فيعود إلى فائض ميزان المدفوعات اليابانى الذى تضخم، وبلغ عشر مليارات دولار خلال عام ١٩٧٧م، لذلك كانت الحلول المطروحة تعتمد على تقديم قروض طارئة للدول النامية.

وقد بلغ إجمالى المعونات الرسمية، والخاصة التى قدمتها اليابان خلال الثلاث سنوات الأولى بعد عام ١٩٧٠م ما يزيد على نصف مليار دولار. وكانت قد إحتلت فى عام ١٩٧٣ المركز الرابع بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، وألمانيا، بل أنه فى عام ١٩٧٤م إحتلت اليابان المركز الأول بين الدول المقرضة للبنك الدولى بزيادة قدرها ٢١٤% عن قروضها فى السنة السابقة. وقد بلغ إجمالى القروض اليابانية للبنك الدولى فى عام ١٩٨٠م حوالى ٤٥٠ مليار ين.

وفى عام ١٩٨٥م كانت اليابان أكبر دولة دائنة فى العالم إذ بلغت أصولها فى الخارج ١٣٠ مليار دولار بينما تراجعت الولايات المتحدة فأصبحت مدينة للخراج بحوالى ١٠٧ مليار دولار.

يعانى الإقتصاد العالمى من عدم الإستقرار الناجم عن الفائض التجارى الذى تحققه اليابـان، وبـين العجـز فى ميزانيـات دول العالم. وقد أدى ذلك إلى أزمة إقتصادية شهدتها الأسواق المالية فى الشرق الأقصى مؤخراً.

لذلك كان على اليابان أن تخفض من حجم صادراتها وتزيد من وارداتها، بـل أن الحكومـة اليابانيـة عملـت عـلى رفع سعر صرف الين بالنسبة للدولار، ولكن هذه السياسة لم تأت بالنتيجة المرجوة؛ فقد كان من المتوقع أنـه فى حالـة إرتفاع سعر الين سيؤدى ذلك إلى زيادة أسعار السلع الأجنبية فى مواجهة السلع اليابانيـة، ولكـن المسـتهلك بقـى عـلى السلع اليابانية إما لجودتها، أو لأن اليابانى أعرض عن شراء منتج بديلاً لسلعها، وإن كان أرخص سعراً.

وأخيراً لابد من القول أن المنافسة من جانب بعض الدول الأسـيوية ممـن أطلـق علـيهم النمـور الآسـيوية مثـل كوريا الجنوبية، وسنغافورة، وتايلاند، وتايوان، وماليزيا والتى تنتج سلعاً قريبة فى جودتها من السلع اليابانيـة ولكنهـا تختلف عنها برخص أسعاره نظراً لإنخفاض الأجور. إلا أن المؤشرات تبين بقاء التفوق اليابانى على مثيلاتهـا مـن الـدول الصناعية الكبرى

الفصل الخامس

الصين واليابان (١٩٣١ - ١٩٧٨)

أولاً- الحرب اليابانية الصينية الثانية ١٩٣١ - ١٩٤٥ .

ثانياً- معاهدة السلام والصداقة بين البلدين ١٩٧٨ .

الفصل الخامس

الصين واليابان (١٩٣١ – ١٩٧٨)

أولاً-الحرب اليابانية الصينية الثانية(١٩٣١-١٩٤٥)

تضرب المشكلة الصينية – اليابانية بجذورها إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، وسبب هذه المشكلة هو أن اليابان قد أصبحت دولة كبرى على النسق الأوروبي وتزايد عدد سكانها تزايداً لا يتناسب بحال من الأحوال مع العدد القليل من المستعمرات الذى ورثته عن الألمان فى منطقة الشرق الأقصى ، أو فى فرموزا ، أو فى كوريا. بيد أن إستيلاء اليابان على ميناء بورت – آرثر فتح أعينها على عملية التوسع الإستعمارى فى منشوريا، ولقد كانت منشوريا أرضاً صينية، وكانت حكومة الصين الوطنية بزعامة تشيانج كاى شيك قد خرجت لتوها كما أسلفنا من حروب أهلية طاحنة فى نفس الوقت الذى بدأت اليابان فى شن حملة إقتصادية على منشوريا تحسباً للإستيلاء عليها.

لقد نمت صادرات اليابان ووارداتها مع منشوريا ، وقام اليابانيون بتنفيذ مشروعات إقتصادية ، وخطوط حديدية واسعة النطاق. وفى نفس الوقت هاجر إلى منشوريا عشرات الألوف من اليابانيين. ومن ناحية أخرى نجد أن القيادة العسكرية اليابانية شديدة التحمس لتحقيق التوسع اليابانى فى منشوريا خلال العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين.

ونرى الوضع الداخلى فى اليابان قبيل إندلاع الحرب ممثلاً فى إجراء إنتخابات عامة فى عام ١٩٢٥م قبل تولى الإمبراطور هيروهيتو الحكم بعام واحد. وظل ذوو الإتجاهات المعتدلة ممسكين بزمام السلطة بزعامة شيديهارا (Shidihara). ولكن بعد أن حل البارون تاناكا رئيساً للوزارة تصاعدت موجة الإتجاهات الفاشية بشكل واضح. وقد ورد فى ((مذكرة تاناكا)) الشهيرة والتى تمت ترجمتها – ما يؤيد الأحداث التى وقعت عام ١٩٤١، ١٩٤٤م فهناك مقتطفات من هذه المذكرة تنم عن فحوى هذه المذكرة بإجمالها مثل: ((من أجل أن تتولون جلالتكم المهمة التى أنيطت بكم فى بعث عهد جديد فى الشرق الأقصى ، وإنشاء إمبراطورية على مستوى القارة ... فإنه بمجرد غزو الصين، فإن كافة أقطار آسيا الأخرى سوف تستسلم أمامنا، ولسوف يفهم العالم أن آسيا لنا، ولسوف لا يجرؤ أحد على التدخل وحين نصبح سادة الصين تغزو الهند وآسيا الصغرى وأسيا والوسطى .. وأوربا، وأن أول ما ينبغى عمله هو ضمان السيطرة على منشوريا ومنغوليا...)).

ولن نستطيع بطبيعة الحال أن نرى المشكلة فى إطارها الصحيح، والمزاج السياسى الدولى الذى تحكم فيها دون أن نرى ما كانت عليه الأحوال فى أوروبا فى تلك الآونة. لقد إنشغلت أوروبا منذ عام ١٩٣٥م بمشكلة أثيوبيا وظهور الفاشية فى إيطاليا، وظهور هتلر على المسرح الأوروبى، فضلاً عن الحرب الأسبانية، لذلك فإن إهتمامات أوروبا بما يجرى فى منطقة الشرق الأقصى لم يلفت نظر أوروبا بالقدر المطلوب. ولم يكن يدور بخلد أحد ما كان يحدث داخل الصين، وكيف كان الشيوعيون هناك يعدون جيشهم فى تكتم شديد، لذلك لم يكن هناك أى رد فعل أوروبى سريع إزاء سيطرة اليابان على منشوريا ، وإقامة حكومة منشوكو.

وقامت الحكومة الأمريكية بتقديم إحتجاج ولفت الإنظار إلى سياسة الباب المفتوح ولكن الولايات المتحدة وجدت من الإحصاءات أن اليابان أكثر أهمية عن الصين بثلاثة أضعاف بالنسبة للتجارة الأمريكية. لذلك لما قامت اليابان بالتحلل من معاهدة واشنطن لعام ١٩٢٢م التى كانت تنص على تحديد نسبة القوة البحرية فى المحيط الهادى، كما خرجت كذلك من مؤتمر لندن الذى كان يطالب اليابان بتحديد حمولة أسطولها، فإن بريطانيا هى الأخرى لم تحرك ساكناً.

لقد كانت الدولة الوحيدة التى إنزعجت إيما إنزعاج من التقدم اليابانى هى روسيا السوفيتية. ولعلنا نذكر أن الدولتين كانتا قد تصادمتا منذ عام ١٨٩٤م وهذا التنافس اليابانى - الروسى أثار إنتباه الدول الأوروبية كما أثار الولايات المتحدة بنفس القدر. وسوف نرى أن الدول الغربية بدأت تدرك أن قيام اليابان بدور الشرطى فى المنطقة لن يخضع بصفة دائمة للدول الأخرى ، وأن اليابان ستحاول لا محالة أن تحظى بنصيب الأسد.

وقد حاولت الحكومة الصينية جاهدة - وكانت قد أصبحت عضواً فى عصبة الأمم - جذب إنتباه الدول الكبرى إلى المخططات التوسعية اليابانية دون أن تتحرك هذه الدول أى تحرك إيجابى ، وذلك بسبب الأزمة الإقتصادية التى إجتاحت العالم عام ١٩٢٩م، من ناحية بالإضافة إلى نمو الفاشيه فى إيطاليا والنازية فى ألمانيا من ناحية أخرى هذا فضلاً عن إنشغال الإتحاد السوفيتى بمشكلاته الداخلية، وعدم إنضمامه إلى عصبة الأمم، يضاف إلى كل ذلك أن عصبة الأمم قد تدهورت مكانتها بوجه عام، وخاصة بعد إنسحاب ألمانيا منها عام١٩٣٣م ، وإنسحاب إيطاليا منها عام١٩٣٦م. ومن جهة أخرى نجد أن نسبة الصينيين إلى جميع سكان منشوريا البالغ عددهم ٣٠ مليوناً عام ١٩٣١م قد بلغت نسبة ٩٠% وهكذا تكون الصين قد إحتفظت بمنشوريا ليس فقط بحق السيادة القانونية، وإنما كذلك بحق الإستيطان العنصرى.

ولقد تجلى الصراع الإقتصادى بين كل من الصين واليابان حول خطوط سكك حديد منشوريا. ففى حين تمسكت اليابان بموافقة الصين فى معاهدة ١٩٥١م المبرمة بينهما بألا تقوم بإنشاء خطوط حديدية فى منشوريا تنافس الخطوط الحديدية التى تمتلكها اليابان، فإن الصين أنكرت هذا الإدعاء، وشرعت فى بناء خطوط حديدية تنافس الخطوط اليابانية فى كل شئ فيما عدا نقل المنتجات الداخلية إلى الموانئ التى تسيطر عليها الصين، وكذلك نقل هذه المنتجات خارج بورت - آرثر.

وبتزايد المنافسات الإقتصادية بين اليابان والصين فى منشوريا تعددت فرص الإحتكاكات بين الشعبين فى منشوريا ، وتصاعدت الدعوة بين التوسعيين اليابانيين لإستغلال هذه الإحتكاكات من أجل شن هجوم شامل ضد الصين. وقويت هذه الدعوة فى أعقاب إرتفاع نسبة البطالة فى اليابان بسبب الأزمة الإقتصادية الدولية. وهكذا أصبحت الحرب ضد الصين علاجاً مرتقباً لمشكلتى البطالة ، والكساد الإقتصادى القومى اليابانى، وبخاصة لخلق مجالات لإستيعاب الفائض البشرى اليابانى المتراكم[cxvi].

ـ بداية الصراع

لقد إستغلت حكومة اليابان وقوع حادثة تخريب وقعت عند الخط الحديدى اليابانى فى منشوريا، وبدون إعلان الحرب زحف الجيش اليابانى فى كوانتونج ليستولى على المواقع الإستراتيجية الرئيسية فى جنوب منشوريا فى شهر سبتمبر ١٩٣١م.

وإستنجدت الصين بعصبة الأمم مستندة إلى نص المادة ١١ من الميثاق التى تحث على إتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنع وقوع عدوان على سلامة إحدى الدول، كما إستنجدت بالولايات المتحدة إستنادا إلى ميثاق عام ١٩٢٨م الذى كانت قد وقعته الولايات المتحدة، وفرنسا، وإيطاليا، وألمانيا، والإتحاد السوفيتى، واليابان الذى يقضى بمنع الحروب، والعمل على تسوية المشكلات بين الدول بالطرق السلمية، وهو الميثاق الذى عرف باسم ميثاق برياند كيلوج (Briand Kellog Pact).

ولما تقدم تشيانج كاى شيك بشكوى إلى عصبة الأمم، صدر قرار العصبة فى ٣٠ سبتمبر ١٩٣١م بإلزام اليابان بسحب قواتها من الأراضى التى إحتلتها مع تلطيف عبارة الإلزام هذه بتحفظ تقليدى يقول ((على أن يكون ذلك بالكيفية التى تكفل سلامة الرعايا اليابانيين))، مما قلل من فاعلية القرار. ثم ما لبث أن صدر قرار آخر فى ٢٤ أكتوبر يقضى بسحب القوات اليابانية، الأمر الذى رفضته اليابان.

وأثناء إعادة طرح القضية فى جنيف تفاقم الصراع بين الصين واليابان نتيجة مقاطعة البضائع اليابانية، وتم قتل بعض اليابانيين فى شنغهاى. وخاب ظن تشيانج كاى شيك فى الداخل، ولكن تشيانج كاى شيك كان يرى دوماً أن ينهى الوضع مع الشيوعيين قبل التصدى للغزاة اليابانيين. لذلك كان أسلوبه هو السعى للتفاهم مع العدو اليابانى، ولذلك أيضاً عرض فى ٣١ مايو ١٩٣٣م أن يجرى إبرام هدنة بين الصين واليابان تقضى بإنسحاب القوات اليابانية والقوات الصينية من على جانبى السور العظيم تاركة فيما بينهما مساحة من الأراضى يمكن أن يقال أنها ليست ملكاً لأحد حسب التعبير المشهور (No Man's Land).

وفى هذا الوقت بالذات تسرب الشيوعيون إلى هونان والحوض الأدنى لنهر اليانجستى وصارت نانكين مهددة أيضاً. وظل تشيانج كاى شيك حتى نوفمبر عام ١٩٣٩ أمام عدو متربص لا قبل له عن صده مباشرة لذلك فإنه عمد إلى اللجوء إلى فرض حصار قوى على الشيوعيين بعد أن ضيق عليهم الخناق فى نفس المناطق التى إختاروا إحتلالها ، ولكنها لم تكن توفر لهم فى نفس الوقت المواد الغذائية اللازمة لحياتهم.

وخرج الشيوعيون جماعات صغيرة، الواحدة تلو الأخرى من دائرة الحصار المضروبة عليهم ، وشرعوا فيما سمى فى التاريخ الصينى بالمسيرة الطويلة التى طوقت أنباؤها الآفاق بما تضمنته من مشقة بالغة، ونظراً لعدد من قاموا بها، والمسافة الهائلة التى قطعوها فى هذه المسيرة التى سنعرض لها مرة أخرى فى مكان آخر من هذا المؤلف وإتخذت المسيرة إتجاه الجنوب أولاً على أمل أن تتلقى بعض الدعم من إقليم فوكين ثم إنحرفت المسيرة ناحية الغرب لتصعد بعد ذلك ، ومعها سلاحها ، وأمتعتها ونساؤها وأطفالها نحو الشمال عشرة آلاف كيلو متراً سيراً على الأقدام ، وإستمرت ما يزيد على سنة حافلة بالكوارث والمصاعب فى مقاطعة شانسى (Chensi).

وتابعت القوات اليابانية زحفها للإستيلاء على كل منشوريا، وبعد أن تحقق لها ذلك عملت على تكوين حكومة محلية، وأعلنت إستقلال منشوريا تحت اسم جديد هو اسم منشوكو فى عام ١٩٣٢م. ووضع اليابانيون على رأس هذه الدولة المصطنعة إمبراطور الصين السابق بو – يى (Pou-yi). ولم تكتف اليابان بذلك. فتابعت توسعها، وإستولت على إقليم جيهول (Jehol) الذى يقع بالقرب من بكين.

على أنه تجدر الإشارة إلى أن تدهور قوة عصبة الأمم كان فى حد ذاته سبباً فى تزايد أطماع اليابان ، وعدم إكتراثها بالمجتمع الدولى ، لوتجلى ذلك فى إنسحابها من العصبة فى ٢٨ مارس ١٩٣٣، وشرعت فى القيام بدور سياسى كبير فى منطقة شرق آسيا مشابه لدور الولايات المتحدة الأمريكية، ومبدأ ((مونرو)) فى العالم الجديد، وذلك بإدعائها بأنه لا يحق لدولة غير أسيوية أن تتدخل فى شئون الشرق الأقصى. وفى سبيل ذلك عملت على تنمية أسطولها البحرى ليكون نظيراً للأسطولين الأمريكى والإنجليزى، فخلق ذلك التصرف من جانب اليابان تسابقاً رهيباً فى القوة البحرية بين هذه الدول.

ولكن كما رأينا فى حملة سيبريا، ولما لم تنته الحرب العالمية الأولى بعد، فإن هذا النمو الإستعمارى اليابانى أدى إلى قيام الولايات المتحدة بتعديل سياستها تجاه الشرق الأقصى، وخصوصاً تجاه الإتحاد السوفيتى، والتى وضعت اليابان كحاجز فى مواجهته فى أول الأمر درءاً لمخاطر الشيوعية، ثم بعد ذلك تعترف الولايات المتحدة بالإتحاد السوفيتى تمهيداً لوضع سياسة مشتركة أمريكية – روسية لمحاربة الخطر اليابانى المشترك.

ومع ذلك. فإن الولايات المتحدة طلبت من اليابان أن تبقى على سياسة الباب المفتوح فى الصين أمام الجميع لكى تستفيد الدول الغربية من هذه السياسة على قدم المساواة. ولذا نجد الخطوات التى إتخذت لمناهضة اليابان ظلت لها صفة السلبية – الأمر الذى جعل اليابان تقدم على خطوة جديدة أكثر خطورة على نفسها، وهى محاولة وضع الصين بكاملها تحت السيطرة الإقتصادية اليابانية طوعاً أو كرها[cxvii].

ورفضت الصين أن تصبح بمحض إختيارها بمثابة مستعمرة يابانية، لذلك وقعت الحرب الصينية – اليابانية فى عام ١٩٣٧م ولقد تعللت اليابان فى ذلك بأن أرواح اليابانيين تتعرض للخطر، كما عمدت اليابان إلى مباغتة الصين بضربة قبل أن تستكمل إستعداداتها العسكرية بقيادة تشيانج كاى شيك الذى كان عدواً لدوداً لليابانيين. ولما وقعت حادثة على الحدود بين القوات الصينية والقوات اليابانية عند مدينة أوين – بنج (Ouen – Ping) فى شهر يوليو ١٩٣٧م طالبت اليابان بسحب الجيوش الصينية من الشمال ، وكان معنى ذلك أن مصير الشمال الصينى سوف يكون شبيهاً بمصير منشوريا، فرفضت حكومة تشيانج كاى شيك هذا الطلب. وزحفت الجيوش اليابانية إلى بكين وإستولت عليها فى ١٨ يوليو ١٩٣٧م، وعلى شنغهاى ، ونانكنج فى السنة التالية، بل وعلى شمال الصين بآسره وجانب من الصين الوسطى، وشواطئ الصين الجنوبية، بيما لجأت حكومة تشيانج كاى شيك منطقة تشونج كينج (Tochung – King) لتعاود القتال بعد ذلك.

لقد كانت الصين ترتكز فى حقيقة الأمر فى مجابهتها لهذا الغزو اليابانى على عدة مرتكزات منها :

أ- أن اليابان تود الإنتصار فى حرب خاطفة للقضاء على قوة الكفاح الصينى وإرغام الصين على قبول شروطها، وإذا باليابان تجد نفسها متورطة فى حرب طويلة المدى ، وعلى مساحات مترامية.

ب- أن القوات اليابانية عمدت إلى السيطرة على المدن ، وعلى المواقع الإستراتيجية فقط ، ولكن الريف الصينى ظل بكامله تقريباً تحت سيطرة الصينيين مما يهدد اليابان بحرب عصابات تستنفد قواها.

جـ- أن اليابانيين كانوا يعتقدون أن حكومة تشيانج كاى شيك سوف تسقط بعد الضربات الأولى، ولكن القائد العسكرى ظل مسيطرة على المقاومة الشعبية رغم التفوق اليابانى الساحق فى المعدات العسكرية.

د- أن سياسة اليابان الإقتصادية فى الصين بدأت تهدد إمتيازات الدول الأوروبية فيها – الأمر الذى يدعو إلى زيادة تحرك هذه الدول ، ومعها الولايات المتحدة ضد اليابان.

ولقد إستمرت هذه الحرب بين الصين واليابان إلى أن وقعت الحرب العالمية الثانية لتصبح هذه الحرب جانباً من جوانب الحرب العالمية ، وجزءاً مهماً للغاية بعد قيام اليابان بضرب بيرل هاربور فى عام ١٩٤١م.

فقد ظلت اليابان تسعى جاهدة للخلاص من الموقف المتأزم فى حربها مع الصين. وكان هناك عدد من القادة اليابانيين يرون أن تحسين الأوضاع مع بريطانيا وأمريكا هو أفضل حل لإيجاد نوع من التوازن إزاء التهديد الروسى. كذلك كان هناك فريق مقتنع بأن ألمانيا سوف تكسب الحرب. وكان على رأس هؤلاء وزير الخارجية كونوى (Kenoe). وكانت الشواهد على ذلك متمثلة فى عملية إجتياح المدرعات الألمانية المشهورة (Blitzkrieg) بسرعة البرق ، والتى تمكنت فيها هذه المدرعات من إجتياح هولندا ، وبلجيكا ، وفرنسا فى الفترة من ١٥ مايو حتى ٤ يونيو ١٩٤٠ - الأمر الذى بلغ ذروته فى تمكن المانيا من إرغام الحلفاء على إخلاء دنكرك.

كذلك نجد أن الغارات الجوية الألمانية على بريطانيا قد إستمرت فى الفترة من أغسطس حتى نوفمبر ١٩٤٠م، وبلغت هذه الغارات ذروتها فى شهر سبتمبر ١٩٤٠م حينما أخفق جورنج ، وسلاح الطيران الألمانى بالكاد - بعد أن كان على مقربة من حافة النصر - فى تحقيق تحطيم السلاح الجوى البريطانى. وبذلك لم يتحقق الحلم الألمانى فى غزو الجزر البريطانية الأمر الذى لو كان قد تحقق فلربما إنتهت الحرب لصالح الألمان.

لذلك جاءت الخطوة المتسرعة التى خطاها وزير الخارجية اليابانى ماتسوكا (Matsuka) بالإقدام على توقيع الميثاق الثلاثى (Tripartite Pact) مع كل من إيطاليا وألمانيا فى نفس شهر سبتمبر ١٩٤٠. وقد رأينا فيما سبق أن اليابان قامت بعقد إتفاقية حياد مع روسيا فى إبريل ١٩٤١ وظنت اليابان أنها سوف تتنفس الصعداء مرة أخرى. ولكن فى شهر يونيو من نفس العام وبعملية مفاجئة تماماً وجه هتلر إهتماماته لمهاجمة روسيا دون أن يخطر اليابان بذلك وبصرف النظر عن دوافعه لهذا التكتم فقد أسقط فى يد اليابان إذ وجدت نفسها أمام أحد أمرين : إما أن تحترم إلتزاماتها طبقاً للميثاق الثلاثى مع المانيا ، وإما أن تحترم حيادها مع روسيا. وفضل اليابانيون أن يتمسكوا بإتفاقهم مع الروس ، وحدث تعديل حكومى يابانى أسقط ماتسوكا من الحكومة ، وقد كان من أشد اليابانيين تعاطفاً مع ألمانيا.

وفي هذا الظرف ظهر عامل اقتصادي دفع الأمور دفعا نحو معركة بيرل هابور. لقد تسببت الحرب الصينية ـ اليابانية التي استطال أمدها شدة احتياج اليابانيين للبترول في حين أن الولايات المتحدة قد فرضت حظراً في عام ١٩٤٠ على تصدير عدد من المواد الاستراتيجية لليابان بدأتها بالحديد الخردة ثم اتبعت ذلك بالصلب وأخيرا عمدت إلى حظر تصدير البترول لليابان .

وحدث توتر في اليابان بين دعاة الحرب ، ودعاة التفاوض .وقد استقر الرأي على بدء الاستعدادات الحربية في شهر سبتمبر ١٩٤١. وذكرنا أن نومورا (Nomura) وزير الدفاع الياباني كان يجري المباحثات في واشنطن في تلك الأثناء. وفي ١٧ أكتوبر أعلن توجو التعبئة العسكرية . لقد كانت الشروط الأمريكية التي تلقاها نومورا متشددة فليس هناك أقل من انسحاب كافة القوات اليابانية من الهند الصينية ، والصين، ومنشوريا، وفي أول ديسمبر اجتمع المجلس الإمبراطوري للدخول في الحرب مع الولايات المتحدة إذا ما كان ذلك ضرورياً .

وتم الهجوم المرتقب على بيرل هاربور من جانب الاسطول الياباني ، والطائرات اليابانية صبيحة يوم الأحد ٧ ديسمبر ١٩٤١ وكان ذلك الهجوم مفاجأة كاملة حتى أن نومورا نفسه لم يحط علمه بما أقدمت عليه حكومته إلا بعد أن عاد إلى السفارة اليابانية في واشنطن بعد انقضاء إحدى جلسات المباحثات مع وزير الخارجية الأمريكي كورديل هل، الذي ظن بطبيعة الحال أن الأمر كان يتضمن خديعة للأمريكيين .

وكانت حصيلة هذا الهجوم: تمكن الأسطول الياباني من ضرب ميناء بيرل هاربور في سرعة مذهلة . والغريب أن الأمريكيين لم يعيروا التفاتا للتحذيرات التي سجلتها أجهزة الرادار الأمريكية من اقتراب بعض الطائرات . وتم تدمير سبعة مدمرات حربية أمريكية إلى جانب عدد كبير من الزوارق، كما أمكن لليابانيون في نفس الوقت بهجمات مركزة على كل من الفلبين ، وهونج كونج ، والملايو. ففي الفلبين تم ضرب الطائرات الأمريكية وهى جاثمة على ممراتها وأمكن تدميرها تماما، وفي سنغافورة تم إغراق المدمرة البريطانية الشهيرة "برنس أوف ويلز" والباخرة الحربية "ريبالص" .

وبعد أن صارت اليابان الآن حرة طليقة من أي تهديد بحري أمريكي تحركت بسرعة فائقة على اتساع المحيط الهادي فسقطت هونج كونج في أيديهم يوم ٢٥ ديسمبر. ومانيلا في ٢ يناير ١٩٤٢ وباتان في إبريل، وكوريجيدور في مايو. وتم الاستيلاء على سنغافورة في ١٥ فبراير. كذلك تم الاستيلاء على جزر الهند الشرقية الهولندية (إندونسيا) في أوائل مارس ١٩٤٢، وبورما في نهاية إبريل ١٩٤٢. وفي خلال ستة شهور فقط من الهجوم الأول على بيرل هاربور كانت اليابان تعد العدة للتقدم نحو استراليا. ولكن خطوط مواصلاتها أصبحت ممتدة كما كانت استعدادات الولايات المتحدة تجري على قدم وساق للهجوم المضاد [cxviii].

ولقد يتبادر إلى الذهن التساؤل عما كان يدور في أذهان القادة العسكرين اليابانيين حينذاك . لقد كان في ظنهم أن يبادورا بعد ذلك باحتلال منطقة شرق آسيا ثم يتوقفون بعد ذلك لاتخاذ موقف دفاعي بعد تثبيت مواقعهم. وكان في تصورهم أن أمريكا وبريطانيا سوف لن يتسنى لهما النهوض من هذه الصدمة قبل انقضاء بضع سنوات ، وبذلك تكون اليابان قد تمكنت من تنظيم مواردها لمواصلة الغزو وبناء قوة اقتصادية عسكرية تكفي لإرغام أعدائهم للسعي نحو الصلح، كذلك كان هناك الأمل في انتصار الألمان على الساحة الأوروبية الأمر الذي يسفر بالتالي عن انهزام بريطانيا فتصبح عاجزة عن مساندة أمريكا في المحيط الأطلنطي، الأمر الذي يشغلها هى الأخرى عن المحيط الهادي .

ونتيجة لذلك فإن قوة الاقتصاد الأمريكي قد وفرت للأمريكيين قوة ضاربة وجبارة، وتمكن الجنرال ماك أرثر من الاندفاع في فبراير ١٩٤٥ من غينيا الجديدة التي توقف عندها الزحف الياباني إلى مانيلا. وما لبث القوات الأمريكية أن تمكنت من الوصول إلى أوكيناوا بفضل مجهود الأدميرال نيميتز واحتلاله جزيرة بعد أخرى في المحيط الهادي خلال الفترة من إبريل إلى يونيو ١٨٤٥ وبذلك فإن قوة الاقتصاد الأمريكي انقذت أمريكا من الانهيار ، وكأن اليابان قد نسيت شعارها القديم وهو "فيكوكو ـ كيوهى". أي أن الدول الغنية هى التي تبني الجيش القوي .

ويهمنا الآن الحديث عن انعكاسات هذه الانتصارات اليابانية السريعة في مستهل نشوب الحرب . بادئ ذي بدء فإن أسطورة سيادة العنصر الأبيض قد انهارت من أساسها وإلى الأبد وبدأ اليابانيون وقد هزتهم نشوة هذه الانتصارات السريعة الحاسمة في معاملة الهولنديين ، والبريطانيين ، والأمريكيين الذين وقعوا في الأسر باحتقار ومهانة متعمدة أمام سكان البلاد الأصليين على اتساع منطقة المحيط الهادي في كل من إندونسيا، وتايلاند، والملايو، وهونج كونج، والفلبين، وفي مناطق أخرى .

والمهم أنه بعد معركة بيرل هاربور اكتسح اليابانيون أمامهم كل شئ في الجزر القريبة من الشاطئ الأسيوي ، واستولوا على جزر الفلبين نفسها ، وسنغافورة ، وبورما ولم ينته صيف عام ١٩٤٢ إلا وقد أصبحوا على مرمى حجر من استراليا وبذلك زال النفوذ الأمريكي ، والأنجليزي من النصف الغربي للمحيط الهادي في ظرف سنة واحدة.

وتجدر الإشارة إلى أن اليابانيين طرحوا منذ نوفمبر ١٩٣٨ فكرة إقامة نظام جديد في شرق آسيا (Order nouveau en Asie Orientale) وأرادوا لهذا النظام أن يضم بين جناحيه كلا من الصين ، ومنشوكو ، واليابان، الأمر الذي يعني تكريس الزعامة اليابانية في تلك المنطقة من العالم ، وسرعان ما قام الحكام اليابانيون بصياغة عبارة جديدة وهو إيجاد "منطقة الرخاء المشترك لشرق آسيا" (Sphere de Co-prosperite d'Est Asiatique) وذلك في الوقت الذي أنشأ اليابانيون وزارة جديدة على نحو ما تفعل الدول الاستعمارية أطلقوا عليه اسم وزارة آسيا الشرقية العظمى (Ministere de la grande Asia Orientale) وأصبح حلم الزعامة حقيقة واقعة على الأقل أمام أعين اليابانيين [cxix].

وتنبغى الإشارة إلى أن النصر العسكري الصاعق الذي حققته اليابان في بيرل هاربور قد أحدث أثرًا سيكولوجيا ضخما انعكس أثره سلبا على اليابانيين فقد تسببت كارثة بيرل هاربور في تلاحم الشعب الأمريكي الذي لا يزال حتى تلك اللحظة منقسماً حول دخول الحرب العالمية أو عدم التورط فيها، وصار الشعب الأمريكي موقناً بضرورة حمل السلاح لسحق اليابان والألمان على حد سواء .

وقد انهمكت الولايات المتحدة في ديسمبر ١٩٤١ في إعادة بناء قواتها العسكرية. وفي مايو ١٩٤٢ تمكنت الوحدات الأمريكية ، والاسترالية من الاشتباك في معركة "مرتجفة" مع الإسطول الياباني . وفي يونيو من نفس العام تمكنت إحدى الأسراب الأمريكية من إلحاق هزيمة شديدة بالأسطول الياباني لأول مرة. وكان هذا الأسطول يزمع السيطرة على جزيرة ميداوي (Midway) في المنطقة الواقعة غرب هاواى .

وفي سبتمبر ١٩٤٢ كان اليابانيون يعبرون أدغال غينيا الجديدة للوصول إلى طرفها الجنوبي لكن زحفهم توقف بمعركة شرسة استمرت حتى شهر فبراير ١٩٤٣. وفي نهاية الأمر أرغم اليابانيون على التقوقع عند وادي قنال في شمال شرق استراليا، وبذلك يكون الغزو الياباني قد وصل إلى منتهى اتساعه منذ السنة الأولى من الحرب .

على أنه ينبغي ملاحظة أن اليابان منذ دخولها الحرب ضد الولايات المتحدة في عام ١٩٤١ كانت تستخدم أقصى طاقاتها الاقتصادية ، وكانت قبل ذلك قد أجهدت قواها في محاولة السيطرة الكاملة على الصين منذ أن احتلت أراضيها منذ عام ١٩٣٧. وقد استخدمت الصين لأول مرة حرب العصابات لإنهاك اليابانيين. وعلى ذلك فإنه كان على اليابان أن تجند كافة مواردها من الطاقة البشرية، وكان عدد سكان الولايات المتحدة ضعف عدد سكان اليابان من جهة كما كانت طاقتها الاقتصادية عشر أضعاف طاقة اليابان من جهة أخرى .

وكان من المستطاع في المراحل الأولى للحرب أن تعوض الروح القومية لليابان عن النقص في الوسائل المتاحة . لكن استمرار الانهاك أثر ولاشك على الروح المعنوية . ومع ذلك فلقد حارب اليابانيون بشراسة مذهلة، ولم يترددوا أمام الموت. لكن تفوق العتاد الأمريكى كان أكبر من شجاعة الجنود، فقد إستخدمت الولايات المتحدة الغواصات، وعمدت إلى بث الألغام فى الموانئ الإستراتيجية، وقرب نهاية عام ١٩٤٤م كان قد تم عزل معظم الحاميات اليابانية، وأصبحت هدفاً سهلاً للقصف الأمريكى وإشتد شعور اليابانيين بنقص الإمدادات من المواد الخام.

لقد كانت المعركة الكبرى التى تعتبر نقطة تحول فى مسار الحرب هى التى تمت فى ليتى (Leyte) فى وسط الفلبين فى ٢٠ أكتوبر، والتى تمكن الحلفاء فيها من إنزال ربع مليون جندى، وخسرت اليابان فى هذه المعركة الحاسمة أغلب ما تبقى لها من أسطولها فى محاولة لصد هذا الغزو المضاد. وفى يناير ١٩٤٥م نزلت القوات الأمريكية بالقرب من مانيلا، وإستولى الأمريكيون على مانيلا بعد معركة شرسة، وتجمعت القوات الأمريكية فى أوكيناوا.

ولما شعر اليابانيون بقرب غزو بلادهم لم يترددوا فى قذف آخر ما لديهم من طائرات على السفن الأمريكية، وكما حدث لليابانيين فى تاريخهم القديم بهبوب الأعاصير التى أنقذت بلادهم من الغزو المغولى عام ١٢٨١م والذى أطلق اليابانيون عليهم إسم الكاميكاز Kamikaze قام الطيارون اليابانيون بطلعات إنتحارية مذهلة أطلق عليها نفس الإسم تبركاً بها. ولكن التفوق العسكرى الأمريكى إنتهى بالتغلب على هذه البطولة الخارقة، وتم الإستيلاء النهائى على جزيرة أوكيناوا فى يونيو ١٩٤٥م ،وقد خسرت اليابان فى هذه المعركة نحو ١١٠,٠٠٠ جندى.

فى هذا الظرف كانت ألمانيا قد إستسلمت فى ٧ مايو، وأصبح واضحاً أن اليابان لن تكسب الحرب ، ومع ذلك ظلت الروح المعنوية بين المدنيين عالية، وظل الشعب اليابانى يقبل كافة أنواع الحرمان والكوارث فجاء تصميمه على النضال حتى النهاية.

والحقيقة أنه منذ حلول عام ١٩٤٤م كانت حاشية الإمبراطور تدرك تفاقم الوضع العسكرى، وتسعى إلى إبرام هدنة. وفى يوليو ١٩٤٤م تمكنوا من إجبار الجنرال توجو على التنازل عن رئاسة مجلس الوزراء.

ومنذ شهر يونيو ١٩٤٤م دعا الإمبراطور إلى عقد مجلس أعلى للحرب للنظر فى وقف القتال، وطلب وساطة الإتحاد السوفيتى. ولكن الولايات المتحدة أعلنت عدة مرات عن إصرارها على التسليم غير المشروط لكل من اليابان، والمانيا ثم أكدت ذلك فى إعلان بوتسدام فى ٢٦ يوليو الذى حدد التسليم غير المشروط.

وكان على اليابان أن تفقد كل ممتلكاتها الإستعمارية، وأن تشرب من نفس الكأس ويجرى إحتلال أراضيها حتى تصبح دولة مسالمة تماماً ومنزوعة السلاح. وهكذا إقتربت الحرب العالمية الثانية من نهايتها المحتومة. ولكن الأمريكيين دون تفكير عميق فى عواقب قرارهم ألقوا قنبلتين ذريتين على كل من هيروشيما، ونجازاكى فى ٦، ٩ أغسطس ١٩٤٥م على التوالى. ويكفى أن نشير إلى حجم الدمار الذى ألحقه إسقاط هاتين القنبلتين، وهو فقد اليابان ٢٠٠,٠٠٠ نفس بشرية، وإدخال العالم كله إلى العصر النووى. وتجدر الإشارة فى هذا المقام إلى مؤتمرين هامين فى تاريخ الحرب العالمية الثانية بوجه عام، وبمصير اليابان بوجه خاص وهما مؤتمر القاهرة لعام ١٩٤٣م ومؤتمر بالتا لعام ١٩٤٥م[cxx].

وبعد أن منيت اليابان كما رأينا خلال عام ١٩٤٣م بالهزائم المتلاحقة التقى تشيانج كاى شيك فى القاهرة بكل من ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى والرئيس الأمريكى روزفلت، وتمخض هذا اللقاء عن إعلان القاهرة فى أول ديسمبر ١٩٤٣م. وقد تضمن الإعلان تأكيد هؤلاء القادة لإرادتهم على مواصلة الصراع ضد اليابان، حتى يتسنى إستعادة كافة الأراضى التى إستولت عليها بالقوة، مثل منشوريا، وفرموزا وجزر البسكادور ((حتى ينبغى إعادتها إلى الصين)). وكذلك تحرير كوريا ((التى ينبغى أن تصبح مستقلة)). ولم تشارك روسيا فى هذا اللقاء الهام. ولكن توافرت فى حقيقة الأمر فرصة سانحة أمام الزعيم السوفيتى ستالين فى ٤ يونيو ١٩٤٤م. وهذه الفرصة تمثلت نزول قوات الحلفاء فى نورماندى، وأصبح وضع القوات الألمانية مزعزعاً، ومن ثم أصبحت اليابان هى العدو الوحيد المتبقى أمام الحلفاء. ومع ذلك فإن الصين لم تكن فى وضع يحقق لها القيام بالهجوم. وكان ماوتسى تونج قد أكد فى ١٢ يونيو من نفس العام لمنافسه تشيانج كاى شيك مساندته غير المشروطة للصراع ضد اليابان، كذلك عاجلت المنية وانج تسينج (Wang Tsing) فى ١٠ نوفمبر ١٩٤٤م وكان موالياً لليابان مخلفاً حكومة قد أصابها الوهن. كل ذلك مهد الطريق أمام ستالين لحبك مناورة سياسية غاية فى البراعة والدهاء بالدعوة إلى مؤتمر يالتا.

وإختار ستالين هذا الظرف المناسب لتوجيه الدعوة إلى مؤتمر يالتا فى ٣ فبراير ١٩٤٥م، فدعا حلفاءه البريطانيين، والأمريكيين لهذا المؤتمر فى حين لم يوجه الدعوة إلى الصين وكان ذلك أمراً مقصوداً لأن ما سيتمخض عنه المؤتمر سوف يكون على حساب الصين، الأمر الذى يبدو واضحاً من إستعراض شروط يالتا التى كانت كما يلى: (إن زعماء القوى الكبرى الثلاث، الإتحاد السوفيتى، والولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى قد إتفقت على أنه بعد إنقضاء ثلاثة أشهر من إستسلام المانيا وإنتهاء المعارك فى أوروبا يدخل الإتحاد السوفيتى الحرب ضد اليابان إلى جانب الحلفاء بشرط[cxxi].

١- أن يظل الحفاظ على الوضع الراهن فى منغوليا الخارجية ((أى جمهورية منغوليا الشعبية).

٢- أن يستعيد الإتحاد السوفيتى الحقوق السابقة التى إغتصبت منه عن طريق الهجوم اليابانى الغادر لعام ١٩٠٤م أى :

أ- أن يعاد الجزء الجنوبى من سخالين والجزر المجاورة إلى الإتحاد السوفيتى.

ب- أن يجرى تدويل ميناء دايرين التجارى، وإن يجرى الحفاظ على المصالح المتعاظمة للإتحاد السوفيتى فى هذا الميناء وإن يعاد إستئجار ميناء بورت آرثر كقاعدة بحرية للإتحاد السوفيتى.

جـ- أن يعاد إستغلال الخط الحديدى لشرق الصين، والخط الحديدى لجنوب منشوريا بإعتبارهما منفذاً لميناء دايرين ، وذلك عن طريق إنشاء شركة صينية – سوفيتية على أساس أن يجرى الحفاظ على المصالح المتعاظمة للإتحاد السوفيتى، وإن تحتفظ الصين بكامل سيادتها على منشوريا.

د- أن يجرى تسليم جزر الكوريل إلى الإتحاد السوفيتى ويبقى مفهوماً أن الشروط المتعلقة بمنغوليا الخارجية، وكذلك الموانىء والسكك الحديدية المشار إليها بعاليه تستلزم موافقة الجنرال تشيانج كاى شيك، وطبقاً لما يراه المارشال ستالين يسعى الرئيس ((روزفلت)) للحصول على هذه الموافقة.

ويتفق زعماء القوى الكبرى الثلاث على أنه يجب تحقيق مطالب الإتحاد السوفيتى ((دون مناقشة)) بمجرد أن تحقق هزيمة اليابان.

ويعلن الإتحاد السوفيتى من جانبه إستعداده لأن يبرم مع حكومة الصين ((الوطنية)) ميثاق للصداقة والتحالف من أجل تقديم المساندة للصين بقواتها المسلحة لتحريرها من نير اليابانيين.

على أن السياسة السوفيتية كانت تهدف من وراء عقد مؤتمر يالتا إلى تحقيق هدفين على مرحلتين : أولهما القطيعة مع اليابان وإدارة ظهرها إليها ثم إبرام معاهدة جديدة مع الصين من أجل تثبيت أقدامها فى منشوريا.

فأما بالنسبة للمرحلة الأولى، فإن معاهدة عدم الإعتداء التى كان الإتحاد السوفيتى قد أبرمها مع اليابان، ومدتها خمس سنوات يمكن التحلل منها بإشعار يبلغ لليابان قبل إنقضاء هذه السنوات الخمس بعام واحد أى فى ١٣ أبريل ١٩٤٥. وهذا ما بدا واضحاً حيث قام وزير الخارجية السوفيتى مولوتوف بإستدعاء سفير اليابان فى موسكو لوضح له أن الأمور قد تغيرت تغيراً جذرياً منذ توقيع المعاهدة المذكورة فى عام ١٩٤١م. ذلك أن ألمانيا قد هاجمت الإتحاد السوفيتى الذى وجب عليه التحالف مع إنجلترا والولايات المتحدة، وهاتان الدولتان تعتبران فى حالة حرب مع اليابان ... وإن الإتحاد السوفيتى قد أصبح والحالة هذه يتمسك بحقه فى فسخ المعاهدة طبقاً للمادة الثالثة من الميثاق المذكور.

وأما بالنسبة للمرحلة الثانية - هى تحقيق التقارب مع الصين من أجل ترسيخ أقدام السوفيت فى منشوريا - فإن الأوضاع دفعت بهذا التقارب دفعاً. ففى مؤتمر سان فرانسيسكو فى أبريل ١٩٤٥م حيث كان الحلفاء يسعون إلى إرساء قواعد منظمة الأمم المتحدة، قام السوفيت بعقد عدد من الإجتماعات الودية مع الصينيين، وعملوا على تشجيع إطلاق العنان للشائعات القائلة بأن الإتحاد السوفيتى ينوى القيام بإعلان الحرب على اليابان. ولما إستسلمت ألمانيا فى ٧ مايو ١٩٤٥م كان الأمر يقتضى الإسراع فى تحقيق هذا الهدف، لأن اليابان طلبت من روسيا السوفيتية التوسط بينها وبين الحلفاء، لما لاحظت أن الإتحاد السوفيتى لم يكن ضمن الحلفاء الثلاثة الآخرين المجتمعين فى برلين، وأنه لم يوقع على إعلان بوتسدام فى ٢٦ يوليو ١٩٤٥م ذلك الإعلان الذى أعلنت فيه كل من الصين وإنجلترا والولايات المتحدة لا يرضون بديلاً عن تسليم اليابان تسليماً غير مشروط. ولذلك فمنذ حلول ٨ أغسطس أعلن مولوتوف للسفير اليابانى أن تحالف الإتحاد السوفيتى مع الحلفاء يستلزم إنضمامها إلى إعلان توتسدام - الأمر الذى يعنى أن الإتحاد السوفيتى يعتبر نفيه منذ ٩ أغسطس فى حالة حرب مع اليابان.

وإذا علما أن القنبلة الذرية الأولى ألقيت فى هيروشيما فى ٦ أغسطس وإن القنبلة الثانية ألقيت على نجازاكى فى ٩ أعسطس، وإن المعاهدة الصينية - الروسية أبرمت فى ١٤ أغسطس ١٩٤٥م، فإن حرب السوفيت ضد اليابان تكون لم تستغرق ستة أيام كاملة حققت فيها توقيع المعاهدة المنشودة مع الصين. وقد نصت المعاهدة أن تكون مدتها ٣٠ عاماً، ولم تتضمن سوى ثمانية مواد تضمنت ضرورة مواصلة النضال، وعدم توقيع أى سلام منفرد .... إلخ. ولكن ملحقات المعاهدة هى التى كانت أكثر أهمية من المعاهدة ذاتها، إذ أنها تضمنت تقديم المساعدة العسكرية ، والمادية ، والمعنوية لحكومة الصين ((الوطنية)) (فقط). أما بالنسبة لشرق الصين وميناء بورت آرثر، فكانت تشغل ثلاثة ملاحق تحوى عشرين مادة عن ((الملكية المشتركة))، و((الإدارة المشتركة)) لخط السكك الحديدية.

ولقد كانت الصين يراودها الأمل أن تتضمن المعاهدة تحديداً حول التاريخ الذى تجلو فيه القوات الروسية عن منشوريا. ولكن الملاحق لم تشر من قريب أو بعيد إلى ذلك، وإن كان الجلاء الروسى لم يتم إلا فى ٣ مايو ١٩٤٦م - أى بعد ثمانية شهور من إستسلام اليابان.

بعد الاشارة إلى مؤتمر يالتا، فقد يحسن الإشارة أيضاً إلى مؤتمر بوتسدام وإنذار بوتسدام الشهير، فرغم وفاة الرئيس روزفلت تم إفتتاح مؤتمر سان فرانسيسكو فى موعده المحدد فى ٢٥ إبريل ١٩٤٥م - لوضع ميثاق الأمم المتحدة وبعد إفتتاح هذا المؤتمر بوقت قصير سلمت المانيا تسليماً بدون قيد أو شرط. وفى ٢٦ يوليو ١٩٤٥م أذاعت أمريكا ، وبريطانيا ، والصين بيان بوتسدام الذى دعت فيه هذه الدول اليابان إلى الإستسلام دون قيد أو شرط وإلا واجهت الدمار العاجل والشامل. ولكن اليابان تباطأت فى الإستجابة لهذا النداء - الأمر الذى أسفر عن إلقاء القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما فى ٦ أغسطس ١٩٤٥م ، والقنبلة الثانية فى ٩ أغسطس ١٩٤٥م. وفى خلال الفترة بين إلقاء القنبلة الأولى والقنبلة الثانية دخلت روسيا الحرب ضد اليابان وبدأت فى مهاجمة منشوريا.

وإنعقد مؤتمر إمبراطورى يابانى فى ساعة متأخرة من ليل ٩ أغسطس للنظر فى أمر قبول بيان بوتسدام، وإنتهى الأمر إلى أن قبلته اليابان بشرط واحد هو ألا يتضمن المساس بسلطات صاحب الجلالة الإمبراطور بإعتباره السيد الأعلى للبلاد. ولكن الرد الأمريكى كان عنيفاً، إذ تضمن القول ((أنه من اللحظة التى يتم فيها الإستسلام يصبح الإمبراطور والحكومة اليابانية خاضعين للقائد العام للحلفاء)).

وما لبث أن إنعقد مؤتمر إمبراطورى آخر صباح يوم ١٤ أغسطس أصدر فيه الإمبراطور أوامره بقبول العرض الأمريكى برغم معارضة العسكريين اليابانيين لذلك. وفى ظهر اليوم التالى أذيع بيان الإستسلام على الأمة اليابانية. ثم فى ٣٠ أغسطس بدأ الأمريكيون فى الوصول إلى أرض اليابان نفسها. وفى سبتمبر ١٩٤٥م أقيم الإحتفال الرسمى لإستسلام اليابان على ظهر الباخرة الأمريكية ميسورى فى خليج طوكيو. وهكذا كتب على اليابان أن تندحر فى الحرب العالمية الثانية.

لقد رأينا اليابان فى أقل من أربعة شهور خلال عام ١٩٤٢م قد أصبحت مسيطرة على إمبراطورية إستعمارية يقطنها حوالى ٥٠٠ مليون نسمة توفر لها معظم إنتاج العالم من المطاط، ٧٥% من القصدير، وكميات هائلة من البترول والتانجستين، وغير ذلك والكثير من المعادن، والمواد الإستراتيجية الأخرى، الأمر الذى جعل طوكيو تقوم بإنشاء وزارة جديدة ((لآسيا الكبرى)). وعلى الرغم من هذه الإنتصارات فإن اليابان ترددت كثيراً أمام غزو الهند. وقد كان ذلك هو الوقت الذى تعد فيه المانيا لهجومها بإتجاه القوقاز. وكان من المتصور أن يكون هناك جهد يابانى - المانى مشترك تتصل فيه القوات اليابانية مع القوات الالمانية فى مكان ما يقع ما بين البحر الأسود والهند، وكان اليابانيون - والحالة هذه - قد تقدموا على الألمان فى الوصول إلى تلك المنطقة المنشودة. ولكن الالمان أمكن صدهم فى ستالينجراد، لذلك فإن أى تفكير من جانب اليابان لمهاجمة الهند تبدد تماماً.

نقطة أخرى نود أن نشير إليها فى ختام حديثنا عن إنحدار اليابان فى الحرب العالمية الثانية وهى أن اليابان فى مخططها الإستعمارى وأحلامها الواسعة تجاهلت عدة حقائق وأسست خطتها على عدة إحتمالات، فأما عن هذه الحقائق التى تجاهلتها فهى أنه ما كان لليابان أن تحتفظ بمستوى مجهودها الحربى لمدة طويلة نظراً لأن الإقتصاد اليابانى كان يعتمد بصفة أساسية على وارداتها من البترول والفحم، والحديد الخام، والبوكسايت، ومواد إستراتيجية أخرى كثيرة. ولم يغب عن ذهن الولايات المتحدة هذه الحقائق فقامت القوات البحرية، والجوية الأمريكية بإقامة نطاق حول جزر اليابان بلغ من القوة حداً منع هذه الواردات من الوصول إلى اليابان. والحقيقة الثانية التى تجاهلتها وما كان ينبغى أن تغيب عن ذهنها تمثلت فى قوة الإقتصاد الأمريكى كعمق إستراتيجى للقوات الأمريكية الضاربة ونسيت اليابان ((فوكوكو - كيوهى)) ذلك الشعار الذى طالما رددته.

أما الإحتمالات التى أسست عليها اليابان خططها فقد كانت متمثلة فى ظنها بإحتمال هزيمة الروس فى أوروبا فى خريف عام ١٩٤١م - الأمر الذى دعا اليابان إلى إتخاذ موقفها المتشدد تجاه الولايات المتحدة، كذلك كان يراودها الأمل فى أن تحرز المانيا نصراً ساحقاً على الساحة الأوروبية وهو ما لم يتحقق.

وهكذا نجد اليابان قد فقدت فى ظل الإحتلال كل ما كان لها من ممتلكات وعادت أراضيها إلى ما كانت عليه عام ١٨٩٤م، على الرغم من أن عدد سكان اليابان كانوا حينذاك ٤٢ مليوناً، ولكنهم فى ظل الإحتلال بلغوا ٧٠ مليوناً، فإسترجعت روسيا ممتلكاتها التى فقدتها فى عام ١٩٠٥م مثل بورت آرثر ، وجزر الكوريل ، والجزء الجنوبى من سخالين. أما كوريا فقد جرى تقسيمها إلى قسمين، القسم الشمالى ويحتله الإتحاد السوفيتى، والقسم الجنوبى وتحتله الولايات المتحدة. أما جزر المحيط الهادى التابعة لليابان فقد ضمتها الولايات المتحدة إلى ممتلكاتها[cxxii].

ثانياً- معاهدة السلام والصداقة بين البلدين ١٩٧٨

وقد أسفر تفاعل تطوير العلاقات فى النصف الأول من عام ١٩٧٨م عن إقتراح السفير اليابانى فى بكين يوم ٣١ مايو إستئناف المباحثات بخصوص معاهدة السلام بين البلدين. ويمكن إستخلاص أبرز العوامل التى أدت لهذا التطور الجديد فى الآتى :

١- إستقرار القيادة الصينية وإتجاهها للإعتدال بعد الصراع الذى ساد منذ وفاة ماوتسى- تونج، وتركيز القيادة على التنمية الداخلية ، وإستيراد التكنولوجيا.

٢- إحساس الصين بأن الإتحاد السوفيتى دائب العمل على محاصرتها، ومن ثم تحركت بسرعة للتغلب على حادثة الصيد مع اليابان.

٣- يأس القيادة اليابانية من محاولة إنتزاع أية تنازلات من الإتحاد السوفيتى تؤدى إلى إستعادة الجزر الشمالية الأربع.

٤- ضغط رجال الأعمال فى اليابان من أجل التطبيع الكامل بتوقيع المعاهدة.

٥- إستعداد اليابان لإنتخابات ديسمبر ١٩٧٨م وكان ينافس فوكودا المستر أوهيرا وهو من المؤيدين للصين.

وفى ١٢ أغسطس عام ١٩٧٨م تم التوقيع فى بكين من قبل وزيرى خارجية اليابان والصين على معاهدة السلام والصداقة بين البلدين بعد ثلاث سنوات من توقف المفاوضات الخاصة بها. وعندما أستؤنفت المفاوضات فى الأسبوع الأخير من يوليو فإن عملية الصياغة إستغرقت ثلاثة أسابيع وتولى ذلك السفير اليابانى فى بكين ونائب وزير الخارجية الصينى. وينقسم هذا المطلب إلى ثلاثة أقسام :

١- معاهدة السلام – تحليل ومقارنة.

٢- زيارة تنج هسياوينج وتبادل وثائق التصديق.

٣- النتائج.

وتتكون المعاهدة من ديباجة وخمس مواد. تشير الديباجة إلى أن المعاهدة عقدت فى إطار البيان المشترك بين البلدين عام ١٩٧٢، ووفقاً لمبادئ الأمم المتحدة، وأن الهدف من عقدها تنمية علاقات السلام والصداقة بين الدولتين. وتطلع كل منهما للمساهمة فى السلام والإستقرار فى آسيا والعالم.

وتوضح المادة الأولى أن الطرفين سيطوران علاقات الصداقة والسلام بينهما على أساس مبادئ الإحترام المتبادل لسيادة وسلامة أراضى كل منهما، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية، وعدم الإعتداء والمساواة والمنفعة المتبادلة، والتعايش السلمى، وتسوية الخلافات بالطرق السلمية، وعدم اللجوء للقوة أو التهديد بها.

أما المادة الثانية فتنص على ((يعلن الطرفان المتعاقدان بأن أياً منهما لن يسعى للهيمنة فى منطقة آسيا الباسيفيك أو على أية منطقة أخرى، وأن كلا منهما يعارض جهود أية دولة أخرى أو مجموعة من الدول لإقامة مثل هذه الهيمنة)) وهذا هو الشرط الخاص بمناهضة الهيمنة، والذى كان العقبة الكؤود فى توقيع المعاهدة وأثار ثائرة الإتحاد السوفيتى.

والمادة الثالثة تتعلق بسعى كلا الطرفين لتطوير العلاقات الإقتصادية، والثقافية والإتصالات بين الشعبين.

والمادة الرابعة تنص على ((أن هذه المعاهدة لن تؤثر على موقف أى طرف متعاقد ازاء علاقاته بدول أخرى)) وقصد بهذه المادة التخفيف من وقع المادة الثالثة بتوضيح أنها ليست موجهة ضد أى طرف ثالث وبخاصة الإتحاد السوفيتى.

أما المادة الخامسة فهى تتعلق بتبادل وثائق التصديق وبالمدة المبدئية للمعاهدة وهى عشر سنوات وأن تظل سارية بعد ذلك مالم يخطر أى من الطرفين الطرف الآخر، عند إتمام المرحلة المبدئية أو فى أى وقت بعدها على أن يكون الإخطار كتابة قبل عام من الإلغاء[cxxiii].

والنظرة المتأنية للمعاهدة يمكن أن تكشف النقاط التالية :

١- المبادئ التى أشارت إليها المعاهدة مثل الإحترام المتبادل للسيادة وسلامة الأراضى، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية، والمساواة والمنفعة المتبادلة والتعايش السلمى، وعدم اللجوء لإستخدام القوة فى المنازعات التى تنشأ من علاقتهما الثنائية والتعايش السلمى لم يأت بجديد فهى مبادئ عامة، وإن كان القصد منها ربما إرساء هذه المبادى فى ضمير كلتا الدولتين، والعمل بها فى علاقاتها مع الدولة الأخرى، ومن ثم التوصل بطريق غير مباشر لحل المشاكل التى لم تتم تسويتها بعد مثل الخلاف حول السيادة على جزر سنكاكو أو الوضع النهائى لتايوان بإعتبار أن اليابان ذكرت فى البيان المشترك لعام ١٩٧٣م أنها تتفهم تماماً، وتحترم وجهة نظر الصين فى هذا الشأن ولم تذكر أنها تعترف أو تقبل بها.

٢- أن المادتين الثانية والرابعة وهما الخاصتان بما سمى بالشرط المناهض للهيمنة - وهو التعبير الصينى الموجه ضد الإتحاد السوفيتى وسياسته خاصة فى الباسيفيك الأسيوى - ليستا جديدتين فقد سبق أن تضمنهما البند (٧) من بيان عام ١٩٧٢م مع إختلاف طفيف فى التعبير إذ نص ذلك البند على ((أن تطبيع العلاقات بين الصين واليابان ليس موجهاً ضد دولة أخرى. ولا يجب على أى من الدولتين أن تسعى للهيمنة فى إقليم الباسيفيك الأسيوى وأن كلاهما يعارض جهود أية دولة أخرى أو محموعة من الدول لإقامة مثل هذه الهيمنة)). والإختلاف مع نص المادتين ٢، ٤ يتمثل فى :

(أ) إضافة عبارة ((أو على أية منطقة أخرى)) فى المادة الثانية وهذه الإضافة تنازل صينى لإرضاء اليابان لتواجه الإتحاد السوفيتى بأن المقصود من تعبير الهيمنة ليس هو وليس سياسته فى آسيا وإنما هو مبدأ سياسى عام إلا أن هذا النص لم يخدع أو يرضى الإتحاد السوفيتى الذى كان يدرك معنى الإصرار الصينى وراء النص، ومن ثم هدد بإتخاذ رد فعل إنتقامى ضد اليابان لحماية مصالحه وإن كان البيان الذى نشرته وكالة تاس فى ١٥ أغسطس ١٩٧٢م ترك الباب مفتوحاً بقوله ((أن المستقبل سيظهر ما إذا كانت اليابان ستكون قادرة على إتباع سياسة خاصة مستقلة)).

وصرح نائب رئيس الوزراء الصينى تنج هيساوينج فى ٦ سبتمبر ١٩٧٨م بأن الصين ستنهى معاهدة التحالف مع الإتحاد السوفيتى قبل أبريل ١٩٧٩م وأنه يؤيد إحتفاظ اليابان بقوة الدفاع الذاتى. وهذا التصريح منطقى لأن المعاهدة الصينية السوفيتية كانت موجهة ضد اليابان والعسكرية اليابانية ولو من الناحية القانونية على الأقل.

(ب) وفى مقابل التنازل الصينى قدمت اليابان تنازلاً فى المادة الرابعة إذ نصت على ((أن المعاهدة لن تؤثر على موقف أى طرف)) بينما كان البيان المشترك لعام ١٩٧٢م ينص على ((أن تطبيع العلاقات غير موجه ضد دولة أخرى)) وكانت اليابان تطالب بأن يكون نص هذه المادة ((بأن المعاهدة غير موجهة ضد دول أخرى)).

(جـ) بينما تضمن البند ٧ من البيان المشترك كلا المبدأين فإن معاهدة السلام خصصت لهما مادتين ليس فقط مستقلتين بل وأيضاً منفصلتين بالمادة الثالثة التى تتناول العلاقات الثنائية بينهما. وكأنه قصد بطريق غير مباشر أضعاف الرابطة بين مبدأ مناهضة الهيمنة ومفهوم كون أن المعاهدة لا تؤثر على علاقات أى طرف بالدول الأخرى. وبعبارة أخرى فإن المفهوم المتضمن فى المادة الرابعة يمكن القول بأنه من قبيل تحصيل الحاصل إذ أنه من المبادئ القانونية المقررة ألا يؤثر تعاقد دولة على تعاقداتها مع دولة ثالثة ليست طرفاً فى التعاقد الأول لأن العقد شريعة المتعاقدين، كما أن فكرة عدم التأثر نابعة من مبدأ إحترام سيادة كل طرف فلو إفترضنا تأثر علاقات اليابان بالدول الأخرى بالمعاهدة مع الصين فإن ذلك معناه أن الصين لا تلتزم بإحترام مبدأ السيادة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لليابان أو أن دولة ثالثة ليست طرفاً فى تعاقد يترتب عليها إلتزام أو يقع عليها ضرر ومن ثم فإنها تستطيع أن تطالب بتعويض عن مثل هذا الضرر الناتج عن تعاقد ليست طرفاً فيه ولا تعترف به.

والخلاصة أن تعصر مباحثات معاهدة السلام بين اليابان والصين بسبب ما سمى بشرط مناهضة الهيمنة لم يكن له مبرر منطقى أو قانونى فليس هذا الشرط بجديد، وأنه يمكن إرجاع هذا التعثر إلى رغبة اليابان فى تطوير علاقاتها مع الإتحاد السوفيتى وتوقيع معاهدة سلام معه تؤدى لإستعادة الجزر الشمالية، وعندما لم تتمكن من ذلك قبلت بما سبق أن وافقت عليه فى البيان المشترك مع تعديل طفيف لكى تحتج به فى مواجهة الإتحاد السوفيتى بأنه ليس مقصوداً به وكانت اليابان تفسر رفضها قبول الشرط الخاص بالهيمنة بأن هذه معاهدة ثنائية ولا معنى للإشارة لطرف ثالث فيها لأن مثل هذه الإشارة مخالفة للممارسة الدولية[cxxiv].

٣- يثور تساؤل حول معاهدة السلام والصداقة بأنه إذا كان بيان عام ١٩٧٢م قد أنهى الحالة الشاذة فى العلاقات بين البلدين وأصبحت الصين واليابان على علاقات حسنة فما هو الداعى لمثل هذه المعاهدة ؟ وللرد على ذلك يرى البعض أن المعاهدة تعد بالنسبة لليابان تكملة وخروجاً من مأزق معاهدة السلام السابق توقيعها مع حكومة الصين الوطنية (فرموزا) بعد الحرب العالمية الثانية والتى لم تعترف بها الصين الشعبية، ولا تود اليابان إلغاءها رسمياً – رغم ما صرح به وزير خارجيتها عام ١٩٧٢م من أنها ((فقدت سبب وجودها وإنتهت)).

ولكن مثل هذا التصريح من قبل وزير الخارجية لا يلغى من الناحية القانونية معاهدة دولية وافق عليها البرلمان دون أن يقرر إلغاءها حتى الآن، ولا ترغب الحكومة فى إثارة القضية فى البرلمان حتى لا يعترض أنصار تايوان.

٤- أن مقارنة معاهدة السلام والصداقة مع الصين الشعبية بمثيلتها مع تايوان والمسماة معاهدة ((السلام)) فقط الموقعة فى ٢٨ أبريل ١٩٥٢م، توضح عدة فروق تتمثل فى :

(أ) أن معاهدة السلام والصداقة مختصرة وعامة بعكس معاهدة السلام مع الصين الوطنية (تايوان) فقد تضمنت ديباجة وأربعة عشر مادة عرضت تفصيلاً لوضع العلاقات الذى ساد بين الصين واليابان كذلك نصت على كيفية تسوية أى إختلافات فى التفسير أو منازعات ناشئة عن تطبيق المعاهدة كما نصت على أنها حالة الحرب. والحق بالمعاهدة بروتوكول يوضح مفهوم كل من الطرفين لبعض بنود المعاهدة فيما يتعلق بالأراضى والتجارة. ولعل هذا الإختلاف فى حجم المعاهدة ومضمونها مرجعة لعدة إعتبارات :

الأول : أن معاهدة السلام مع تايوان كانت بالفعل بعد فترة من الحرب الحقيقية بين الصين واليابان بعكس معاهدة السلام مع بكين فكانت بعد أكثر من ثلاثين عاماً من الإنتهاء الفعلى للحرب وأن لم تقم العلاقات الرسمية سوى عام ١٩٧٢م فإن هناك علاقات غير رسمية كانت قائمة بل وذات فعالية فضلاً عن أن العلاقات الرسمية الثنائية تطورت فى الفترة من ١٩٧٢ حتى ١٩٧٨م إذ تم تقد إتفاقات تجارية، وصيد، وطيران ونحو ذلك.

الثانى : أن معاهدة السلام مع بكين يمكن إعتبارها وحدة مكملة لبيان إقامة العلاقات عام ١٩٧٢م بعكس معاهدة السلام مع تايوان التى كانت أول إتصال حقيقى بين الدولتين.

(ب) أن معاهدة السلام مع تايوان كانت مرتبطة بمعاهدة السلام اليابانية مع الدول الغربية الموقعة فى سان فرنسيسكو بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٥١م، كما أنها مرتبط من الناحية السياسية بالعلاقات اليابانية مع الولايات المتحدة بعكس معاهدة السلام مع بكين التى تعكس الإستقلال الحقيقى لكلا البلدين عن القوتين الأعظم بل أن الإتحاد السوفيتى كان يعارض أحد بنود هذه المعاهدة والخاص بالهيمنة حيث أعتبره موجهاً ضده.

(جـ) أن المعاهدة مع بكين سميت ((معاهدة السلام والصداقة)) بعكس معاهدة تايوان سميت ((معاهدة السلام)) فقط وهذا الإختلاف فى التسمية ليس شكلياً بل أنه يعكس الرغبة الحقيقية لكلا الدولتين فى بناء علاقات متينة من الصداقة وهذا هو ما جعل الدول الأخرى وخاصة الإتحاد السوفيتى يتخوف بصورة واضحة من تلك المعاهدة أما الولايات المتحدة وإن لم تعلن تخوفها فهى تخشى من أن تتطور العلاقات بين الصين واليابان إلى علاقات تحالف فى المستقبل يمكن أن تؤثر على مصالحها فى المنطقة.

(د) أن المعاهدة مع الصين الوطنية وقعت فى طوكيو وتم تبادل وثائق التصديق فى تايبيه بعكس المعاهدة مع الصين الشعبية التى وقعت فى بكين وتم تبادل وثائق التصديق فى طوكيو وهذا يمكن تفسيره على أنه يعكس ثقل الطرف الذى وقعت المعاهدة فى عاصمته فى مواجهة الطرف الآخر.

(هـ) أن المعاهدة مع الصين الوطنية أعدت بلغات ثلاث اليابانية والصينية والإنجليزية وفى حالة الخلاف يحتكم للنص الإنجليزى (المادة ١٤) أما المعاهدة مع الصين الشعبية فأعدت بالصينية واليابانية ولم يشر لكيفية الإحتكام فى حالة الخلاف فى أى نص لها. ولعل مرجع ذلك أمرين :

أولهما : إعتداد كل من الدولتين بلغتها الوطنية فى حين أنه فى حالة الصين الوطنية كان النفوذ الأمريكى هو السائد فى كلا الدولتين آنذاك.

ثانيهما : أن معاهدة السلام والصداقة مع بكين تضمنت مبادئ عامة بعكس معاهدة السلام مع تايوان فكانت تفصيلية الأمر الذى يجعل الخلاف يمكن أن يثور بصدد تفسير المعاهدة الثانية وليس الأمر كذلك بالنسبة للمعاهدة الأولى.

(و) أن معاهدة السلام والصداقة مع بكين مدتها عشر سنوات مع إمكان إستمرارا سريانها ما لم يخطر أحد الطرفين برغبته فى إنهائها كتابة قبل سنة من الإلغاء. أما معاهدة السلام مع تايوان فلم يحدد لها مدة معينة ولم ينص على كيفية إلغائها وهذا منطقى فلا يمكن أن يكون هناك سلام بين دولتين يحدد بأجل معين وإلا كان هدنة وليس سلاماً. وربما يمكن تفسير المدة الزمنية فى المعاهدة ليس تحالفاً ضد أى دولة وإنما هى أشبه ما تكون بإعلان نوايا لتنمية وتطوير العلاقات[cxxv].

وقام المستر تنج هسياو ينج نائب رئيس الوزراء الصينى بزيارة لليابان لمدة ثمانية أيام فى الفترة من ٢٢-٢٩ أكتوبر ١٩٧٨م حيث قام وزيرا خارجية الصين واليابان بتبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام والصداقة بين البلدين فى حضور رئيس الوزراء اليابانى، ونائب رئيس الوزراء الصينى.

وألقى المستر فوكودا كلمة ذكر فيها أن تطبيع العلاقات بين اليابان والصين عام ١٩٧٢م قد فتح صفحة جديدة فى تاريخ الإتصالات الوثيقة المستمرة بين البلدين والتى ترجع لأكثر من ألفى عام، وأن توقيع معاهدة السلام والصداقة أضاف صفحة جديدة أكثر إشراقاً لهذه العلاقات وسيكون لها تأثيرها بعيد المدى ليس فقط على تقوية العلاقات بين الدولتين بل أنها تعكس أيضاً الآمال المشتركة لكلاهما نحو المساهمة فى السلام والإستقرار فى آسيا والعالم. وما إعترى تلك العلاقات فى بداية هذا القرن داعياً إلى عدم السماح لما حدث بأن يتكرر أبداً. ورد تنج هسياو ينج بكلمة أشاد فيها بالعلاقات القوية بين البلدين عبر التاريخ وكرر ما نصت عليه المعاهدة بأن كلتا الدولتين تعهدتا بعدم السعى للهيمنة ومعارضة مثل هذه الجهود من قبل أية دولة أخرى، وأبرز أن المعاهدة ضربة قوية ضد سياسة الهيمنة التى تمثل التهديد الرئيسى للأمن، والسلام للدولتين.

وقد دعا فوكودا للحفل الذى أقامه لتنج هسياو ينج جميع زعماء الأحزاب المعارضة إلا أن رئيس الحزب الشيوعى اليابانى المستر كينجى **Kenji** لم يحضر، أما الحفل الذى أقامه تنج هسياوينج فلم توجه فيه الدعوة لرئيس الحزب الشيوعى اليابانى. كما رفضت اليابان السماح لإثنين من المراسلين التايوانيين المعتمدين فى طوكيو بحضور الحفل أو تغطية الزيارة.

وقد عقد فوكودا وتنج جولتين من المباحثات. الأولى يوم ٢٣ حيث شرح فيها فوكودا موقف اليابان مؤكداً أن سياستها الخارجية المتعددة الإتجاهات لا تعنى الحفاظ على علاقات متساوية مع الجميع ولكن فقط مجرد تجنب العلاقات العدائية مع أية دولة. وأكد أن معاهدة السلام والصداقة لا تعنى علاقات خاصة بين الدولتين من أجل التواطؤ.

كما لا تعنى أنها تؤثر عكسياً على علاقات أى منهما بالدول الأخرى. وفى الإجتماع الثانى يوم ٢٥ أكتوبر تحدث تنج حيث أبرز الحاجة لإنسحاب القوات الأمريكية من كوريا الجنوبية وذلك لتسهيل الحوار بين الكوريين بما يؤدى لتوحيد البلاد. وإن الإنسحاب الأمريكى لن يؤثر بدرجة ملحوظة على الوجود الأمريكى فى الباسيفيك الغربى فهو إنسحاب فقط لمسافة ٢٠٠ ميل. كما وعد بأن الصين لن تتخذ إجراءات ملموسة فى كوريا لتأييد الشمال، كما وافقت الصين على الترتيبات الدفاعية اليابانية فى ظل معاهدة الأمن مع الولايات المتحدة وأيضاً السياسة اليابانية الخاصة بتقوية دفاعها الذاتى.

وإستقبل إمبراطور اليابان ((هيروهيتو)) نائب رئيس الوزراء الصينى يوم ٢٣ أكتوبر حيث تحدث الإمبراطور فى المقابلة عن الصداقة التاريخية الطويلة بين البلدين رغم الأشياء السيئة التى وقعت فى فترة ما، وهى جميعا تعتبر أحداثاً مضت ((ورد تنج بأن)) ما حدث فى الماضى إنتهى وأنه يجب أن نأخذ الإتجاه بالنظر نحو المستقبل لبناء علاقات سلمية بين بلدينا. ((وعلقت مجلة النيوزويك الأمريكية على لقاء تنج مع الإمبراطور كان بمثابة مانح الصفح والغفران عن الماضى العدوانى اليابانى. وفى محادثاته مع فوكودا المفاوض البارع، وفى جولاته فى المصانع اليابانية للصلب، والسيارات كان التلميذ اليقظ المتطلع لمعرفة التكنولوجيا الحديثة، وفى زياراته للعواصم اليابانية القديمة مثل كيوتو ونارا **Kyoto & Nara** كان سائحا ممتازاً.

ومما لفت الأنظار أن تنج هسياو ينج كان فى غاية التواضع فى مؤتمره الصحفى فإعترف بأن بلاده متخلفة، وأن أمامها الكثير يمكن أن تتعلمه من التكنولوجيا اليابانية وذكر بأنه ليس على درجة كبيرة من الذكاء، وأنه إذا كان غير واضح فى حديثه فينبغى أن يصححوه أو يستوضحوه.

وأثناء الزيارة وجه تنج الدعوة لفوكودا لزيارة بكين الذى وعد بذلك ووجه بدوره الدعوة لهواكيوفنج رئيس وزراء الصين، ورئيس الحزب الشيوعى لزيارة اليابان وكذلك زار تنج عدداً من الشخصيات اليابانية البارزة التى ساهمت بدرو فى تطوير العلاقات بين اليابان والصين مثل تاناكا وأوهيرا وشكرهما على مساهمتهما فى تطبيع العلاقات عام ١٩٧٣م، كما التقى تنج بعدد آخر من الشخصيات فى حفل إقامة رئيسا مجلسىـ الدايت وحفلات أخرى أقامتها الدوائر الإقتصادية فى طوكيو وفى كانسى Kansai وكذلك منظمات الصداقة اليابانية الصينية فضلاً عن زيارته لعدد من المصانع[cxxvi].

وفى يوم ٣٥ أكتوبر عقد تنج هسياو ينج مؤتمراً صحفياً حضره أكثر من ٤٠٠ صحفى أعلن فيه أنه بالرغم من الفترة السيئة بين الصين واليابان التى عانى فيها الشعب الصينى من كوارث ضخمة وأن الشعب اليابانى عانى أيضاً من ذلك فإن هذه الفترة مقارنة بالتاريخ الطويل للصداقة بين البلدين تعتبر قصيرة وعابرة. وركز فى حديثه على التهديد الحقيقى الذى يواجه البلدين وهو خطر الهيمنة، وأن تضمين المعاهدة هذا المبدأ أمراً فى غاية الأهمية فى ظل الوضع الدولى الراهن. وأبرز أن الصين ما تزال دولة متخلفة، وأن مستوى النمو الصناعى والزراعى فيها ما زال منخفضاً للغاية، وأنها على إستعداد للتعلم من الشعب اليابانى العظيم. وعن مشاكل الشعوب المنقسمة مثل كوريا ذكر أنها ستحل عاجلاً أم آجلاً ، وهناك دولة تحتل ١% من الأراضى اليابانية (مشيراً للإتحاد السوفيتى دون أن يذكره بالإسم). وعن أهداف الصين أكد أنه يجب الإعتراف أولاً بأنها دولة متخلفة وأن هذا الإعتراف الأمين هو أساس الأمل، وعلى الصين أن تتعلم الكثير من اليابان وإستطرد فى رده على الصحفى الأوروبى الذى وجه له السؤال عن أهداف الصين. أن الأصدقاء الأوروبيين يمكنهم منافسة اليابان فى هذا الشأن وعن جزر سنكاكو ذكر أن الجيل القادم ربما يكون أكثر حكمة من جيله فى إيجاد حل مقبول لها، وأوضح أن الإختلاف فى وجهة نظر البلدين قائم حتى بالنسبة للتسمية فالصين تسميها بتاويو Tiaoyu.

هذا وقد حظيت زيارة تنج بإهتمام كبير من الصحف وأجهزة الإعلام فى كلا البلدين، وأبرزت كونها أول زيارة على هذا المستوى يقوم بها مسئول صينى لليابان. وأصدرت وزارة المواصلات فى الصين طوابع تذكارية بمناسبة هذا الحدث كما نقل التليفزيون الصينى وقائع تبادل وثائق التصديق مباشرة عن طريق الأقمار الصناعية. ومهد تنج هسياو ينج لزيارته بإستقبال العديد من القيادات اليابانية ورجال الأعمال الذين وفدوا إلى بكين فى الفترة التى أعقبت توقيع المعاهدة وأبرزت الصحف الصينية ذلك والإحتفالات التى أقيمت فى بكين بمناسبة المعاهدة. كما أعدت مجلة بكين ريفيو تقرير مطولاً عن مدى توقيع المعاهدة فى مختلف أنحاء العالم مبرزة أهمية المادة الخاصة بمناهضة الهيمنة. وأشارت المجلة إلى أن الهجوم على معاهدة السلام والصداقة بين الصين واليابان هو المهمة الأساسية لأجهزة الدعاية السوفيتية[cxxvii].

ولا شك أن معاهدة السلام والصداقة بين الصين واليابان تمثل منعطفاً تاريخياً هاماً ليس فقط فى تطور علاقات البلدين بل فى علاقات كل منهما مع الدول المؤثرة كالولايات المتحدة، والإتحاد السوفيتى، ومن ثم على بناء الأمن فى شرق آسيا والباسيفيك بوجه خاص، والقارة الأسيوية بوجه عام.

ومن أولى تلك النتائج أنها مثلت دافعاً للإسراع بتطبيع العلاقات مع الولايات المتحدة، وزيارة تنج هسياو ينج وإقامة التمثيل الدبلوماسى الكامل بين البلدين على مستوى السفراء من أول مارس ١٩٧٩م وذلك أسوة باليابان كحليف، وقد رحبت اليابان بذلك عبر رئيس وزرائها أوهيرا عن تقديره للرئيس كارتر لإبلاغ اليابان بذلك مقدماً وأكد أن هذا الحدث لن يؤثر على علاقات اليابان بتايوان. ورحب أيضاً المسئولون فى وكالة الدفاع اليابانية بهذا التطور فى علاقات الولايات المتحدة باليابان وأعلنوا أنها خطوة تساهم فى الإستقرار العسكرى فى الشرق الأقصى إذ أن الولايات المتحدة ربما تتخذ بعض الخطوات خاصة البحرية لمواجهة تزايد القوة السوفيتية فى المنطقة وإن عبروا عن قلقهم إزاء رد الفعل السوفيتى فى المدى البعيد موضحين :

(أ) أن إقامة تنسيق ثلاثى بين أمريكا واليابان والصين ربما يجعل الأخيرة فى وضع أفضل فى حالة نزاعها مع الإتحاد السوفيتى.

(ب) أن تحديث الصين بمساعدة اليابان سيساهم فى تحديث قواتها المسلحة وفى إطار اليابان المرتبطة عسكرياً بالولايات المتحدة فإن الإتحاد السوفيتى قد يرغب فى إتخاذ إجراءات مضادة لليابان.

(جـ) أن هناك خوفاً من رد الفعل التايوانى إزاء أى محاولة سوفيتية للإتصال بها. وهذا سيؤثر على اليابان إذ أن الطريق البحرى الذى يمر بالقرب من تايوان لا غنى عنه لبقاء اليابان ونتيجة لذلك فإن الصراع بين الشرق والغرب حول شبه جزيرة كوريا سيفقد كثيراً من أهميته وربما يتحول إلى مسألة محلية.

وهناك نوع آخر من التخوف اليابانى من تطبيع العلاقات الأمريكية الصينية وهو المنافسة الأمريكية لليابان على الأسواق الصينية. وبالفعل وقعت الصين والولايات المتحدة إتفاقاً تجارياً فى ١٤ مايو ١٩٧٩م وكانت صادرات الولايات المتحدة للصين وصلت إلى ٨٢٤ مليون دولار ووارداتها من الصين بلغت ٣٢٤ مليون دولار عام ١٩٧٨م ولم تظهر الإحصاءات عن عام ١٩٧٩م ولكن من المتوقع أن تصل الزيادة إلى ٢٠% عن عام١٩٧٨م نتيجة للإتفاق التجارى المذكور والذى لابد وأن يكون له تأثيره أيضاً فى تدفق رؤوس الأموال والتكنولوجيا الأمريكية على الصين[cxxviii].

ومن الجدير بالذكر أن اليابان أصبحت الأولى فى التجارة مع الصين حيث بلغت صادراتها ٣٠٤٩ مليون دولار ووارداتها ٢٠٣٠ مليون دولار بإجمالى ٥٠٧٩ مليون دولار عام ١٩٧٨م بينما جاءت المانيا الإتحادية فى المكان الثالث والولايات المتحدة ثم استراليا وإحتل الإتحاد السوفيتى المكان الخامس تليه كندا، وفرنسا، وإيطاليا، وبريطانيا وهولندا[cxxix].

أما النتيجة الثانية فهى تتعلق بتطور الصراع فى الهند الصينية. إذ قام الإتحاد السوفيتى بعقد معاهدة صداقة وتعاون مع فيتنام فى نوفمبر ١٩٧٨م وقدم لها الكثير من المساعدات الإقتصادية والعسكرية الأمر الذى أثر فى إتجاه فيتنام المعادى للصين والمؤيد للإتحاد السوفيتى. ثم جاء الغزو الفيتنامى لكمبوديا – المتعاطفة مع الصين – ليست للدول الأسيوية، بطريق عملى، بأن الصين لا تسطيع الدفاع عن حلفائها وليؤكد أيضاً بروز فيتنام كقوة إقليمية مؤثرة فى منطقة الهند الصينية، وجنوب شرق آسيا. وعندما هاجمت الصين فيتنام فى مارس ١٩٧٩م لم يحظ العمل الصينى بتأييد العامل حيث عارضته معظم الدول بما فى ذلك الولايات المتحدة[cxxx] خشية أن يؤدى إلى حدوث إحتكاك كبير بين الصين، والإتحاد السوفيتى الذى يؤيد فيتنام وتربطه بها معاهدة تعاون، ومساعدة متبادلة. ومن ثم فإن الصين

كانت أسرع إدراكاً ووعياً بسحب قواتها من فيتنام، ورفض إغراء التورط العسكرى المباشر فى مشاكل الهند الصينية.

والنتيجة الثالثة تتعلق بالخوف من رد الفعل السوفيتى ضد اليابان خاصة فى حالة تطور العلاقات اليابانية الصينية إلى علاقات تعاون عسكرى مما يؤثر على ميزان القوى فى منطقة شرق آسيا والمحيط الهادى. إذ يرى البعض أن معاهدة السلام والصداقة مع الصين جرت اليابان إلى لعبة صراع القوى بين الولايات المتحدة، والإتحاد السوفيتى والصين وأن اليابان بذلك إتخذت جانب القوى المضادة للإتحاد السوفيتى ولكن يرد على ذلك بأن :

(أ) المعاهدة بين اليابان والصين هى معاهدة ثنائية وليست جماعية وأن نصها الخاص بمعارضة الهيمنة (المادة ٣) يضعف من تأثيره ما ورد فى المادة الرابعة من أنها لا تؤثر فى علاقات أى من الدولتين مع غيرهما من الدول؟، وبعبارة أخرى فإن المعاهدة لا تمنع الصين من إتخاذ موقف ضد الإتحاد السوفيتى ولا تحول دون سعى اليابان لتطوير وتحسين علاقاتها مع الإتحاد السوفيتى الوقت نفسه.

(ب) أن اليابان بحكم ثقلها الإقتصادى والسياسى تجد نفسها متورطة بالفعل بوعى أو بغير وعى فى لعبة صراع القوى دون ما حاجة إلى المعاهدة مع الصين لتدفعها فى هذا المجال. وأن دراسة البروفسور راى كلين من جامعة جورج تاون عن تقدير القوى العالمية عام ١٩٧٧م أظهرت أن الإتحاد السوفيتى يمتلك أكبر معدلات (٥٢٣ نقطة) وتليه الولايات المتحدة (٤٢١) ثم المانيا الإتحادية (١٦٨) فاليابان (١٤٤) وتحتل الصين المركز السابع بمعدل (١٢٠ نقطة).

ونتيجة لهذا التورط سعت اليابان فى عهد تاكيو فوكودا لإتباع ما أسمته بالدبلوماسية متعددة الإتجاهات Omnidirection Diplomacy وهو تعبير جديد يقصد به أن يكون الإهتمام الدبلوماسى لليابان موجهاً بالتساوى نحو جميع الدول. وإستهدف هذا مواجهة الضغوط التى يمارسها كل من الإتحاد السوفيتى والصين على اليابان بخصوص ما سمى بشرط الهيمنة وترتب على ذلك إدخال نص المادة ٤ فى المعاهدة وهو عدم قيام الإتحاد السوفيتى برد فعل إنتقامى ضد اليابان بعد التوقيع عليها. [cxxxi]

الفصل السادس

الفلبين من مطلع العصور الحديثة حتى القرن العشرين

أولاً ـ الملامح الجغرافية والسكانية

ثانياً ـ الاستعمار الأسبانى للفلبين ومقاومته

ثالثاً ـ أطماع إنجلترا فى الفلبين

رابعاً ـ أمريكا والفلبين

خامساً ـ المشكلات المعاصرة فى الفلبين

الفصل السادس

الفلبين من مطلع العصور الحديثة حتى القرن العشرين

١ ـ الملامح الجغرافية والسكانية

تقع الفلبين في جنوب شرقى آسيا بين خطى عرض ٥ o ـ ١٨ o شمال خط الاستواء وبين خطى طول ١٢٧ o ـ ١٢٠ o شرقى خط جرينتش، وتظهر الفلبين كأرخبيل تمدد من جنوب شرقى آسيا . وأول جزيرة فيها من الشمال هى جزيرة (يامى Yami) التى تبعد ٧٨ ميلاً من فرموزا ،وآخر جزيرة من الجنوب هى جزيرة (سالوج Saluog) التى تبعد ٣٤ ميلاً من برنيو، ومجموع جزر الفلبين ٧١٠٠ جزيرة ،وهى تشبه تقريباً شكل مثلث متساوى الساقين طوله من الشمال إلى الجنوب ١١٥٢ ميلاً، ومن الشرق إلى الغرب ٦٨٨ ميلاً.

وأكبر الجزر هـــى جزيرة (لوزون) التى فيها عاصمة الفلبين (مانيلا) ومساحتها ٤٠٨١٤ ميلاً مربعاً ،وتليها جزيرة (منداناو) ومساحتها ٣٦٩٠٦ ميلاً مربعاً والثالثة جزيرة (سمر) ومساحتها ٥١٢٤ ميلاً مربعاً.

ومن الجزر الكبيرة جزيرة نجرو) ومساحتها ٤٩٠٣ ميلاً مربعاً وجزيرة (بلاوان) ومساحتها ٤٥٠٠ ميلاً مربعاً ،وجزيرة (باتاى) ومساحتها ٤٤٤٨ ميلا وجزيرة (مندور) ومساحتها ٣٧٩٤ ميلاً مربعاً وجزيرة (ليبات) ومساحتها ٢٧٩٩ ميلاً مربعاً . ومجموع مساحة الفلبين ١١٥٦٠٠ ميلاً مربعاً .

ومعظم أرض الفلبين جبال مكسوة بالغابات منها سبعة ضخمة أكبرها جبل (سرى مدر Sierra Madra) فى (لوزن) وأعلاها جبل (أبو Apa) فى منداناو وارتفاعه ٩٦٩٠ قدماً، ويبلغ أقصى عمق للبحر فى شمال شرقى منداناو وهى ٣٤٣١٧٨ قدماً تحت الأرض .

وفى الفلبين كثير من الموانى الطبيعية والخلجان ففيها ٦١ ميناء جيد، وفى خلجان ومنها خليج (مانيلا) الذى يعتبر من أحسن الموانى فى الشرق الأقصى . ولا يوجد صحارى جافة أو خليجية فى الفلبين ،ومعظم الجزر فيها الأنهار التى تمدها بالمياه العذبة، وأطول نهر فيها نهر (كاجيان) إذ يبلغ طوله ٣٥٢ ميلاً وكثير من الانهار الأخرى طويلة أيضاً (cxxxii) .

أما السكان فى الفلبين يتكونون من أجناس مختلفة فهم نتيجة اختلاط بين الزنوج والأندونيسيين، والهنود، والصينيين، واليابان، والعرب، والاوربيين، والأمريكان ،وقد قدر السلالات نسبة الدم الذى يجرى فى عروق الفلبينيين بما يأتى : [cxxxiii]

١ ـ الزنوج ١٠ %   ٢ ـ أندونيسيا ٣٠ %   ٣ ـ الملايا ٤٠ %

٤ ـ الصين ١٠ %   ٥ ـ الهنود ٥ %   ٦ـالأوربيين والأمريكان ٣ %

٧ ـ العرب ٢ % .

أما عن الأجناس التى استوطنت الفلبين فقد تنوعت إلى :

١ ـ الإنسان الأول :

علماء الآثار يرون أن أول من استطون الفلبين فيما قبل التاريخ هو الإنسان الأول منذ حوالى ٢٥٠,٠٠٠ سنة بطريق البر من آسيا، ومعهم الأفيال والكركدن وكثير من الحيوانات الثديية .

وفى ذلك الوقت كانت جزر الأرخبيل لا تزال متصلة ببعض الكبارى أو القناطر الرطبة مع أرض الملايو التى هى جزء من آسيا .

والإنسان الأول كان ضخم الجسم قوى العضلات كثير الشعر وكانت لهم ثقافة ساذجة يلبس ملابس غير كافية لستر الجسد، ويعيش فى الكهوف مثل الحيوانات ويستعمل أسلحة من الحجارة، ويأكل من طعام الغابات والأنهار مثل السمك والحيوانات المتوحشة التى يصطادها بأسلحته الحجرية.

وقد ظهرت آثار هذا الإنسان الأول فى الحفريات التى أجريت هناك

٢ ـ الجنس البجمى :

منذ حوالى ٢٥,٠٠٠ إلى ٣٠,٠٠٠ سنة أتى جنس آخر من آسيا إلى الفلبين من ناحية الجنوب خلال السدود، والقناطر الرملية، وقد صاروا من سكان الفلبين القدامى، ومازالت بقاياهم موجودة وهم الذين يعرفون بالنجرو Negritos وهم من أقصر الناس على الأرض حيث أن أطولهم حوالى ٤ أقدم ومعنى كلمة Pygmioe (الناس الصغار) ولونهم أسود وأنفهم قصيرة وشعرهم أسود مجعد وشفاهم ضخمة وأقدامهم صغيرة وكذلك أيديهم وجسمهم متناسق .وهذا الجنس ذو حضارة فطرية تتبع العصر الحجرى . ليس لهم عادات منظمة ولا حكم منظم، ولا طريقة للكتابة، وليس لهم فن أو علم ولا طريقة .

فهم يتجولون فى جماعات صغيرة خلال الغابات وهم يعيشون على الصيد للأسماك والحيوانات ومنتجات الغابات ،وأسلحتهم كانت الحراب والسهام المصنوعة من الحاجرة، والبامبو، والخشب ، وملابسهم من أوراق الشجر، ولكنهم استطاعوا أن يعرفوا النار بواسطة احتكاك عصاتين إلى أن تتولد الحرارة فى العشب اليابس .

٣ ـ الجنس الإندونيسى : The Indonscias

بعد فترة طويلة من وصول الجنس (البجمى) هاجر إلى الفلبين فى السفن الشراعية من جنوب شرق آسيا الجنس الإندونيسى الذى قدم من جزر (المحيط الهندى) وقد هاجر إلى الفلبين على مرتين : المرة الأولى منذ حوالى ٥,٠٠٠ سنة ،والهجرة الثانية منذ حوالى ٣,٥٠٠ سنة . هذا الجنس ينتمى إلى الجنس المنغولى الممتزج بتجنس القوقزى . ويعتبر الجنس الإندونيسى من أطول الأجناس التى وطدت الفلبين فطوله يتراوح من ٦ بوصة و ٥ قدم إلى ٢ بوصة و ٦ قدم وهو ينقسم إلى نوعين الأول ضخم ولون بشرته أسود غليظ الشفة طويل الأنف عظيم الفكين .

وهو أكثر ثقافة من الجنس البجمى لأنه ينتمى إلى العصر الحجرى الحديث Neolithie فهم يعيشون فى بيوت مبنية من الخشب على الأرض او الأشجار كما يزرعون الأرض، وخاصة الأرز ، وملابسهم مصنوعة من الشجر المندوف المزين . كما يطبخون طعامهم فى أنابيب البامبو ، لأنهم يعرفن النار، وإن كانوا لا يعرفون شيئاً عن الفخار ،ومن أدواتهم الفأس الحجرى المصقول، والقادوم، والأزميل . ومن أسلحتهم الحرية، والسهم ولهم حيوان واحد مستأنس وهو الكلب .

٤ ـ الجنس الملايوى : The Malaya

أن آخر الأجناس التى هاجرت إلى الفلبين فى عصر ما قبل التاريخ بواسطة البحر وهو الجنس الملايو . وكلمة الملايا مأخوذة من كلمة Malayaوهى تعنى الحرية . وقد عبروا إلى جنوب الفلبين فى عدة حملات بواسطة السفن الشراعية التى تدعى Boragaya ووصلوا إلى الفلبين فى عدة هجرات بدأت حوالى سنة ٢٠٠ قبل الميلاد واستمرت إلى سنة ١٥٠٠ بعد الميلاد والجنس الملايوى . قمحى اللون متوسط الطول رفيع ذو جسم قوى، وثمره مستقيم، وعيونه عسلية، وأنفه مفلطح.

والملايويون أكثر حضارة من جميع الأجناس السابقة لأنهم جاءوا فى العصر البرونزى . وقد مارسوا الرى والزراعة، كما عرفوا صناعة الأسلحة، وصناعة النسيج، وصنع الحلى.

كما زرعوا الحاصلات الزراعية، والنباتات الطبية ليستفيدوا منها فى عمل الأدوية وزرعوا أشجار الفاكهة والتوابل كما إستأنسوا بعض الحيوانات، وخاصة الكرباو والكلب . كما أن بيوتهم منظمة ولهم أنظمة فى الحكم يتبعونها، ويحتكمون إليها، ولهم دينهم، وأدبهم المكتوب . ويحبون الموسيقى، والفن، والعلم ، والثقافة، والصناعة، وملابسهم مصنوعة فى المصانع ويتحلون بالحلى الذهبية . كما ينظمون الخرز عقوداً وقلائد ،وعندهم الكئوس الزجاجية الملونة ويزينون أجساهم بالوشم . أما أسلحتهم فمنها الحربة، والسهم، والسيف، والسكين، والرمح، والدرع .

وقد بلغ تعداد السكان فى الفلبين سنة ١٩٣٩ (١٦,٠٠٠,٣٠٣) مليون نسمة وفى سنة ١٩٤٨ م بلغ (١٩,٢٣٤,١٨٢) مليون نسمة .

وفى سنة ١٩٦٠ م بلغ تعداد السكان (٢٧,٠٨٦,٦٨٥) ملين نسمة .

وفى سنة ١٩٧٠ م بلغ تعداد السكان (٣٧,١٥٨,٠٠٠) مليون نسمة .

ويؤرخ السكان حسب معتقداتهم فى الإحصاء الأخير سنة ١٩٧٠ م كالآتى :

الطوائف الدينية	العدد الكلى	النسبة المئوية
الكاثوليك	٢٧,٨٦٨,٥٠٠	%٧٥
المسلمون	٤,٤٥٨,٩٦٠	%١١
الأجليبايان	٢,٦٠١,٠٦٠	%٧
الوثنيون	١,٦٣٤,٩٥٢	%٤,٤
البروتستانت	٣٨١,٥٨٠	% ١
البوفيون	١١١,٤٧٤	%٠,٣
الشينتو	٧٤,٣١٦	%٠,٢
طوائف أخرى	٣٧,١٥٨	%٠,١
المجموع	٣٧,١٥٨,٠٠٠	%١٠٠

ثانياً:الاستعمار الأسبانى للفلبين ومقاومته

وصل الإسلام إلى الفلبين عن طريق التجارة البحرية، ورسخ أقدامه بصورة عامة أولاً فى جزر المحيط الهندى القريبة إلى مراكز الإسلام القديمة، فقد وجد التجار المسلمون فى أكثر جزر المنطقة الماليزية أو أرخبيل الملايو (الذى يشمل جزر الملايو، وجزر إندونيسيا وبرنيو، والفلبين)، وفى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى وجدت جالية إسلامية كبيرة فى شمال سومطرة، وما أن حل القرن الرابع عشر حتى كان حكام ووجهاء بعض المقاطعات فى سومطره، وربما جاوه أيضًا من المسلمين، وطبقًا للدراسات الأثرية، والمعلومات التاريخية بشأن ذلك يمكن القول أنه فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى تم العثور على مستوطنات للمسلمين فى جزيرة هولو جنوبى الفلبين، وأخرى فى شمال سومطرة. ولعل القبر الذى لا يزال موجودًا فى جبل داتو فى جزيرة سولو والذى كتب عليه بالعربية (من مات غريبًا مات شهيدًا هذا قبر الشهيد تمهار وأنه توفى فى شهر رجب المعظم سنة ٧١٠هـ) يدل على أن الإسلام قد وصل إلى الفلبين فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى، وإن كثيرًا من المسلمين قد وصلوا إلى الفلبين، وعملوا على تبليغ الدعوة الإسلامية، واعتنق الإسلام بعض أبناء الفلبين[cxxxiv].

ولقد سلك المسلمون الذين قدموا إلى جزر الفلبين أقوم السبل لنشر الإسلام فى هذه البلاد فتعلموا لغة السكان وعرفوا كثير من عادات الأهالى وتزوجوا من نسائهم واشتروا العبيد ليرفعوا من قيمتهم الشخصية ونجحوا آخر الأمر فى أن يصيروا من زمرة الزعماء الذين يتبوءون أرفع مكانة فى الدولة وعملوا على توحيد كلمتهم بحذق وتناسق أكثر مما كان بصنعه الأهالى فزاد ذلك من قوتهم شيئًا فشيئًا، وساعدهم امتلاكهم لعدد من العبيد على أن يؤلفوا فيما بينهم نوعًا من الحلف ويؤسسوا ضربًا من الحكومات الملكية وجعلوها وراثية فى أسرة واحدة. وزادوا من قوتهم بأن تراضوا على شروط ودية من الطبقات الغنية القديمة ضمنت لهم حريتهم وأكسبتهم تأييد هذه الطبقات لهم. ومن هنا نرى أن المسلمين الذين استوطنوا أرخبيل الملايو قد وضعوا أساسًا سياسيًا واجتماعيًا ثابتًا لجهودهم فى سبيل نشر تعاليم الإسلام أنهم لم يقدموا على هذه البلاد غزاة كما فعل الأسبان بعد ذلك فى القرن السادس عشر، ولم يستخدموا السيف أداة لتحويل الناس إلى الإسلام بل لم يدعوا لأنفسهم حقوق جنس أسمى يتمتع بالغلبة والسيادة لكى يحطوا بذلك من شأن السكان الأصلين ويسلبوهم حقوقهم. بل قدموا فى زى التجار واستخدموا كل ما لديهم من ذكاء ومدنية مزدهرة فى سبيل دينهم ونشره أكثر من أن يستخدموا ذلك وسيلة لتوسيع نفوذهم الشخصى أو لتنمية ثرواتهم[cxxxv].

وقد استطاع التجار جذب قلوب الأهالى بتعلم لغتهم، ومجاراتهم فى أخلاقهم وعاداتهم ساعدهم على أن ينشروا معارف دينهم فى رفق وتدرج بأن بدءوا يحولون إلى الإسلام نساء البلاد اللاتى تزوجوا منهن والأشخاص الذين ارتبطوا معهم بعلاقات تجارية. وبدلاً من أن يعتزلوا الأهالى فى أنفه وكبرياء امتزجوا شيئًا فشيئًا فى مهمة الشعب واستخدموا كل ما يتميزون به من تفوق فى العقلية والحضارة فى القيام بأعمال التحويل إلى الإسلام وطبقوا مبادئ دينهم وسلوكه تطبيقًا حاذقًا واجتهدوا فى أمور كانوا يرونها لازمة لتقريب هذا الدين إلى أذهان الشعب الذى كانوا يرغبون فى هدايته ومن هذا الواقع "كان دعاة المسلمين على جانب عظيم من الحكمة والروية. وإلى جانب التجار كانت هناك جموع ممن يصح أن نسميهم الدعاة المحترفين وهم الفقهاء والقضاة والحجاج، وكان الحجاج فى السنين الأخيرة نشطين فى نشر تعاليم الدعوة بنوع خاص وذلك بحث مواطنيهم على لون من الحياة الدينية أكثر نشاطًا وأشد تمسكًا وبتطهيرها من بقايا عادات الوطنية ومعتقداتها، وأن عدد الذين يذهبون إلى مكة لأداء فريضة الحج من كل جهات الأرخبيل آخذة فى الزيادة على الدوام وتبع ذلك نمو التأثير الإسلامى والفكرة الإسلامية نموا مناسبًا[cxxxvi].

وتعزى الزيادة فى عدد الحجاج إلى اليسر فى المواصلات بين مكة وأرخبيل الملايو وأدى ذلك إلى أن كثيراً من هؤلاء الحجاج صار أكثر الماماً وأشمل معرفة بمبادئ الإسلام وأكثر حماسًا لنشر مبادئ الإسلام وحث غير المسلمين على الدخول فى الإسلام.

وإلى جانب الحجاج الذين كانوا يقنعون بمجرد زيارة البقاع المقدسة وتأدية الشعائر اللازمة يوجد الذين يقضون وقتًا أطول فى مكة والمدينة لاتمام دراساتهم الدينية كما يوجد فى مكة فى الوقت الحاضر جالية كبيرة من أهالى الملايو الذين اتخذوا مقامهم فى المدينة المقدسة واستقروا فيها وهم على اتصال دائم بمواطينهم فى أوطانهم. ولجهودهم أثر فعال فى تطهير الإسلام فى أرخبيل الملايو من شوائب العادات الوثنية ووسائل التفكير الوثنى التى بقيت من العهود القديمة. كذلك طبعت فى مكة مجموعة كبيرة من الكتب الدينية باللغات المختلفة التى يتكلمها مسلمو الملايو وأرسلت إلى كل جهات الأرخبيل، وفى الواقع أن تأثير مكة فى الحياة الدينية فى هذه الجزر كان أقوى منه فى تركيا أو الهند أو بخارى. وأصبح الحجاج العائدون من مكة سواء أكانوا تجارًا أم معلمين دينيين دعاة إلى الإسلام فى البقاع التى كانوا يتصلون فيها بالأهالى الوطنيين – أضف إلى ذلك أن الجماعات الدينية بسطت نظامها على أرخبيل الملايو بل لقد وجدت أحد هذه الجماعات عهدًا وهى السنوسية أتباعا لها فى أقصى الجزر ومما يدل على تأثيرها أن كثيراً من سكان الملايو يتسمون باسم سنوسى على حين كانوا فى مكة يبدلون أسماءهم الوطنية بأخرى عربية. وقد ذكر أحد المؤرخين أن أمريكا بعد احتلالها للفلبين سنة ١٨٩٨م طلب والى الفلبين إلى الحكومة العثمانية إرسال مرشدين يهذبون مسلمى الفلبين وينورون أفكارهم نظرًا لما هم عليه من الجهل ،وكانت الدولة العثمانية وقتئذ تعتنى بأمور المسلمين بقدر إمكانها فأرسلت المشيخة الإسلامية أحد مأموريها وهو الفاضل المرحوم وجيه أفندى زيد الكيلانى النابلسى أشبه بشيخ الإسلام فى الفلبين. وقد وصل إلى الفلبين سنة ١٩١٢م واستقبله المسلمون بفرح يفوق الوصف واستمر فى الفلبين إلى سنة ١٩١٦م حيث بذل جهودًا كبيرة لتعليم الناس أمور دينهم. وبعد الكيلانى توالى قدوم المرشدين والعلماء من الأقطار العربية والإسلامية منهم الشيخ محمد منيب كزبرى من دمشق وهو مصلح يجيد قراءة القرآن الكريم وتعلم منه عدد كثير من أهل لاناو وكثر فى عهده المسلمون. ومنهم الشيخ محمد سمنودى وهو مدرس القرآن بالحرم المكى الشريف وتعلم منه عدد كبير من أهل كوباتو ومنهم العالم الحاج نور من الملايو وتعلم منه بعض طلبة العلم الفقه والتفسير والحديث(cxxxvii).

وبعد الحرب العالمية الثانية بدأ المسلمون فى الفلبين يرسلون أولادهم إلى الحجاز من سنة ١٩٤٨م حتى بلغ عدد المنتسبين منهم فى مختلف المدارس والمعاهد بمكة المكرمة إلى ثمانية وعشرين طالبًا معظمهم فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. كما أرسلوا إلى القاهرة أولادهم ليدرسوا اللغة العربية والعلوم الإسلامية مع الثقافة الحديثة حتى بلغ عدد المنتسبين منهم فى مختلف المعاهد والجامعات إلى مائة وتسعة عشر طالبًا معظمهم فى الجامعة الأزهرية وذلك منذ سنة ١٩٥١م وما زالت البعثات الخارجية من طلاب العلم تتدفق إلى مصر والسعودية حتى الآن كما كانت هناك بعثات لطلاب العلم قدمت لمسلمى الفلبين من البلاد العربية الأخرى مثل ليبيا وتونس والجزائر والمغرب والأردن وسوريا والسودان والبحرين وقطر والكويت وغير ذلك من الدول الإسلامية مثل باكستان واندونيسيا(cxxxviii).

كما قام الأزهر بدور واضح فى نشر الإسلام فى الفلبين حيث قدم منح لأبناء والمسلمين بالفلبين للدراسة فضلاً عن العلماء الذين أرسلهم أيضًا للفلبين لتعليم المسلمين، وتثقيفهم فى شئون دينهم(cxxxix).

وقد صل الأسبان إلى الفلبين فى ١٧ مارس ١٥١٢م عندما وضع ماجلان قدمه على جزيرة جنوب جزيرة سمر بالفلبين. ثم بدأت رحلة ماجلان فى ٢٥ مارس نحو الجنوب الغربى فوصل إلى جزيرة ليماساوا فى ٢٨ مارس واستطاع أن يعقد اتفاقًا مع حاكمها كان بمثابة أول اتفاق فلبينى أسبانى فى التاريخ. بذل ماجلان جهدًا كبيرًا لنشر المسيحية بالجزر المكتشفة بالفلبين، فاعتنق ملك سيبو وأتباعه المسيحية كما تنصر حوالى خمسمائة من أهل سيبو فى ١٤ أبريل سنة ١٥٢١، وقد أقيم صليب كبير على الشاطئ، وزاد عدد المتنصرين ثمانمائة من رجال، ونساء، وأطفال، وبعد عدة أيام طلب ماجلان من أهل سيبو أن يحرقوا صنمهم، لكنهم رفضوا ذلك لأنهم مازالوا يقدمون الضحايا لأجل أن يشفى الصنم أخا الملك، من مرض خطير، ولكى يحمى ماجلان عقيدة المسيحيين الجدد ذهب إلى الرجل المريض وعالجه ثم نصره هو وأسرته ففقد الناس ثقتهم فى الصنم، وأشعلوا فيه النار.

وبعد النجاح الذى حققه ماجلان فى سيبو والجزر المجاورة ظهر لابولابو حاكم جزيرة صغيرة بجوار سيبو وهى جزيرة مكتن الذى رفض الخضوع لماجلان فقرر مقاومة الأسبان فأرسل ماجلان رجاله، وأحرقوا القرى هناك لكن لم يستسلم لابولابو فقرر ماجلان إعلان الحرب لكنه حاول فى بداية الأمر أن يرسل إلى لابولابو ليعطيه فرصة أخيرة للسلام وطلب منه الاعتراف بسيادة الأسبان، ودفع الجزية فأجاب لابولابو بجرأة أنه لا يخضع لأى ملك ولا يدفع الجزية لأى قوة، وإذا كان العدو يملك رماحًا فنحن نملك رماحًا أيضًا، وشعلاً نارية[cxl].

فأمر ماجلان بعض رجاله بحرق بيوت أهل مكتن ليخيفهم فيذعنوا له، ولكن ذلك أتى بنتيجة عكسية لأنهم عندما رأوا منازلهم تحرق ضاعفوا شجاعتهم، وهاجموا المغيرين بجرأة وبسالة أدت إلى رجحان كفتهم فلما رأى ماجلان أن النجاح ليس فى صفة أمر رجاله بالانسحاب، لكنه لقى مصرعه فى هذه المعركة فكان انتصار لابولابو فى مكتن صدمة وكارثة للأوربيين فهذا أول نجاح للدفاع عن استقلال الفلبين ضد الاستعمار الغربى وأول نصر سجله الجيش الفلبينى على الغرب بفضل لابولابو أول بطل يستطيع فى تاريخ الملايو، ويهزم ماجلان هازم البحار. وبعد موت ماجلان سنة ١٥٢١ آثر الأسبان العودة إلى بلادهم مكللين بذل الهزيمة، والخزى، ولكنهم حاولوا العودة ثانيًا لاحتلال الفلبين عدة مرات، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك إلى أن وصل القائد الأسبانى (ليجزبى كانونا) فى مارس سنة ١٥٦٥ على رأس حملة حربية مجهزة بالمدافع المحمولة على عجلات واستطاع أن يخضع ملكى جزيرة بسهول، وجالا ويوضح لهما أنه ليس كالبرتغاليين وأنه إنما جاء قاصدًا السلام، ولا يبغى سلبًا، أو نهبًا، أو إفسادًا فى الأرض، وبذلك استطاع خداعهم، وتمكن من أن يعلن معاهدة صداقة معهم. اختار ليجزبى سيبو مقرًا لحملته لما تتمتع به من موقع استراتيجى كميناء طبيعى، لكنه دخل فى نزاع مع أهل هذه الجزيرة تمكن من التغلب عليهم فانسحب أهل سيبو إلى الجبل تاركين ممتلكاتهم وبيوتهم تأكلهما النيران، وفى ٤ يونية سنة ١٥٦٥م استطاع القائد الأسبانى أن يعقد معاهدة صداقة مع أهل سيبو اعترفوا له فيها بسيادة أسبانيا عليهم، وبدفع ضريبة لهم مقابل حمايتهم من أعدائهم، وبإقامة علاقة تجارية بينهم وبين أسبانيا. وبذلك تفرغ القائد الأسبانى لبناء مستعمرة أسبانية فى سيبو لتكون حصنًا منيعًا للأسبان كما حفر بئرًا تزودهم بالماء النقى، وأقام كنيسة للقسس، وبيوتًا للجنود الأسبان، وسمى هذه المدينة (المدينة المقدسة).

لكن قامت حروب طاحنة بين الأسبان وبين المسلمين فى الفلبين استمرت فترة طويلة.

من الحروب الطاحنة فى الفلبين تلك الحروب المنكرة التى وقعت بين الأسبان وبين مسلمى الفلبين، ومما أدى إلى بشاعتها أنها كانت حربًا دينية بين الهلال والصليب كما يقولون حتى إن الأسبان حملوا مسيحى الفلبين على قتال

إخوانهم مسلمى الفلبين كما كانت كل قوى الأسبان هناك معدة لقتال المسلمين الذين صمدوا وحاربوا فى منداناو وسولو أكثر من ثلاثة قرون والمسلمون يحاولون خلال هذه الحرب أن يحموا حرية دينهم وثقافتهم من أن يعتدى عليها الأسبان أو أن يتمكنوا من استعمار بلادهم.

وقد أطلق الأسبان على المسلمين فى الفلبين كلمة مورو بمعنى المسلمين ويطلقها الأسبان قديمًا على المسلمين فى أسبانيا وشمال أفريقيا وأخيرًا أطلقوها على المسلمين فى الفلبين والمورو أو المسلمون الذين يقطنون فى جنوب الفلبين يقسمون إلى[cxli]:

ماجنداناو: الذين يسكنون كوتاباتو.

مرناو: الذين يسكنون حول بحيرة لاناو.

سمال: الذين يسكنون على شاطئ سمونجا والجزر القريبة شمال سمونجا وتاوى تاوى.

سانجل: الذين يسكنون خليج داباو.

يكن: الذين يسكنون باسيلان.

هلوانو: الذين يسكنون سولو.

ويمكن أن نرجع أسباب الحروب بين الأسبان وبين المسلمين إلى ما يأتى[cxlii]:

الخصومة التى يراها المسيحيون بين المسيحية والإسلام ومن هنا اتصلت الحرب واستمرت عندما حضر الأسبان بصليبهم إلى سكان لا يدينون بالصليب.

دفاع المسلمين عن أرضهم عندما جاءت حملات الأسبان إليها ليحموا أرضهم ويحافظوا على حريتهم ولذلك دافعوا بدون خوف عنها.

حب مسلمى الفلبين للمغامرات الجريئة وممارسة الحرب منذ فجر التاريخ.

وقد وجه الملك فيليب الثانى ملك أسبانيا إلى الحاكم الأسبانى للفلبين خطاباً وضح مقصد الأسبان من هذه الحرب ويوضح هدف الأسبان منها فيقول فيه: "لقد سمحنا لك بأن تستعبد المسلمين وأن تستولى على ممتلكاتهم وتصادرها ويمكنك أن تجعلهم عبيدًا لكم خاصة إذا أرادوا أن يبشروا بدينهم المحمدى (الإسلامى) أو يحاربوك أو يحاربوا الهنود رعايانا". وقد أجابه الحاكم بخطاب يطلب فيه المدد لأجل القضاء على الدين المحمدى (الإسلامى). ومن هنا يتضح لنا أن الحرب التى شنها الأسبان على المسلمين فى الفلبين كانت حربًا صليبية يبغون منها القضاء على الإسلام هناك ثم استعمار البلاد واستغلال ثرواتها ونهب خيراتها. وقد شجع الأسبان على مواصلة الحرب ما خدعوا به أنفسهم من اتصافهم بالشجاعة، كما غرهم انتصارهم السريع على سكان البسايا ولوزون فى الشمال الذين لم يكونوا على درجة كبيرة من النظام بخلاف المسلمين الذين كانوا يقطنون الجنوب فى سولو ومنداناو. حيث هب المسلمون فى سولو ومنداناو ليدافعوا عن دينهم وعن حريتهم الوطنية التى لا يجدون أغلى منها ولكن يبذلوا فى سبيلها دماءهم ويسترخصوا أرواحهم حفاظًا عليها ودفاعا عنها وأن يقدموا فى سبيل ذلك كل ما يملكون[cxliii].

وبعد أن استقر الأسبان فى سيبو بدأوا يوسعون نفوذهم الاستعمارى المسيحى فيها فقامت معركة فى سنة ١٥٦٩ قريبًا من سيبو بين الأسبان وبين المسلمين من هولووبرنيون. كما قامت معركة أخرى فى سنة ١٥٧٠م بين الأسبان وحلفائهم من البسايا وبين المسلمين فى جزيرة مندور وقد تمكن الأسبان فى هذه المعركة من التغلب على المسلمين وحرق قراهم والاستيلاء على كثير من متاعهم. ولقد شجع هذا الانتصار القائد الأسبانى ليجازبى على أن يستمر فى توسيع نفوذه نحو الشمال فى جزيرة لوزون حيث تقع مملكة مانيلا الإسلامية ومملكة تندر الإسلامية وهما يعدان من أقوى الممالك الإسلامية فى الشمال وكان يحكم الأولى الملك راجا سليمان كما يحكم الثانية عم راجا سليمان الملك "راجالاكان دولا". وقد وجه القائد الأسبانى إلى هاتين المملكتين حملة مكونة من ستمائة جندى من البسايا الفلبينيين ومائة وعشرون جنديًا من جنود الأسبان حيث توجهت من جزيرة بناى إلى مانيلا فى مايو سنة ١٥٧٠م. وكما هى عادة الاستعمار فى خداعة ومكره نزل قائد الحملة جايتى إلى الشاطئ لكى يتفاوض مع الملك راجا سليمان وعمه زاعمًا لهما أنه جاء لمصادقتهما وبدؤا فى عقد اتفاقية بينهم غير أن راجا سليمان رفض أن تتم الاتفاقية عندما تبين له أن الصداقة مع الأسبان تعنى دفع الضريبة والعبودية لأسبانيا. ولذلك ثار الملك راجا سليمان معلنا أنه سيقاتل بدلاً من أن يدفع الضريبة ويقبل الحماية الأسبانية.

وقد اشتعلت نار الحرب عندما أطلق القائد الأسبانى نيران مدافعه على سفينة لكى يدعوها إليه فظن الملك راجا سليمان أن المملكة قد احترقت فبدأت الحرب بشراسة ووحشية. ولكن لسوء الحظ تغلب الأسبان المجهزون بأسلحتهم مع جنود البسايا على جنود راجا سليمان. واضطر الأخير إلى الانسحاب تاركاً منازله تشتعل فيها النار بعد أن استشهد من رجاله مائة شهيد وأسر ثمانون منهم بعض الصينيين واليابانيين كما غنم الأسبان بعض المدافع والسفن الحربية. ولكن رئيس الحملة لم يستقر فى مانيلا طويلا خوفًا من هبوب العواصف مع احتمال رجوع راجا سليمان لكى يسترد مملكته. فرجع إلى جزيرة بناى فخورًا بهذه الانتصار العظيم والغنيمة الثمينة[cxliv].

سر القائد للحملة الأسبانية بالانتصار على راجا سليمان ولذلك قرر نقل مقر القيادة من سيبو إلى مانيلا. وفى إبريل سنة ١٥٧١م تحركت الحملة الثانية بقيادة القائد العام ليجازبى مبحرة من جزيرة بناى بأسطول مكون من سبع عشرة سفينة عليها مائتان وثمانون جندياً أسبانياً وعدة مئات من جنود البسايا بالإضافة إلى قوات الحملة السابقة واتجهت كل هذه القوى إلى خليج مانيلا حيث قابل لاكان دولا - حاكم مملكة تندو وعم راجا سليمان - الحاكم العام الأسبانى فى سفينة شراعية ورحب به فقابله الحاكم الأسبانى بلطف ووعده أنه سوف يعفو عن راجا سليمان لمقاومته للقائد الأسبانى فى العام السابق. ولكن شخصًا خائناً يدعى ديمندول ذهب إلى القائد الأسبانى وأخبره أن راجا سليمان يستعد للحرب. فاتجه ليجازبى إلى مانيلا فتمكن من السيطرة عليها ونصب نفسه حاكمًا عليها. لم يتنازل راجا سليمان عن مملكته سلميًا وبدون قتال بل قاتل إلى آخر قطرة من دمه بكل شجاعة وبسألة وقدم روحه فى سبيل وطنه وأثر الموت الشريف على الحياة الذليلة حياة العبودية والتبعية. فبينما كان القائد العام الأسبانى مشغولاً بإعادة بناء مانيلا والعمل على استقرار حكمه. جمع راجا سليمان المحاربين من رجال فى القوارب عند خليج بجوار قرية من مانيلا واستعان بحكام الأقاليم فلبى نداءه للحرب دفاعًا عن حرية الوطن داقو مكابيب حاكم هانجانوى وداتوبرانجايس حاكم بمنجا. وفى يونية سنة ١٥٧١م زحف راجا سليمان بقواته البحرية إلى الشاطئ الشمالى لخليج مانيلا وتقابل مع القائد الأسبانى فى قنال بنكوساى. حيث دارت رحى الحرب الضروس فى هذا النهر وقاتل الأسبان بأسلحتهم الحديثة

يعاونهم حلفاؤهم من البسايا حتى كسبوا المعركة. وسقط راجا سليمان شهيدًا فى ميدان الحرب دفاعًا عن حرية وطنه كما استشهد معه ثلاثمائة جندى وأسر الباقى من رجاله بعد المعركة وكان مـن الأسرى ابنـه وابنـى أخـت الملـك لاكـان دولا. وباستشهاد راجا سليمان بطل مانيلا وهزيمتـه فى الموقعـة فى يونيـة ١٥٧١م أعلـن سـقوط المملكـة الإسـلامية فى مانيلا، وفقدت مانيلا حريتها وصارت المقر الرئيسى للاستعمار الأسبانى حيث بنى فيها كنيسة للقسس وقصراً للحـاكم الأسبانى ومائة وخمسين منزلاً للمستعمرين الأسبان، كما أقيم حصن راجا سليمان ثانيًا وهكذا أقيمت مدينـة أسـبانية على حطام المملكة الإسلامية فى مانيلا. وبنهاية هذه الحرب لم يقم للمسلمين قائمة بعد ذلك فى أكبر جزيـرة فى شـمال الفلبين وهى جزيرة لوزون[cxlv].

استطاع الأسبان أن يقضوا على المسلمين فى شمال الفلبين ويزيلوا منها المملكة الإسلامية وبعد سبع سنوات مـن قضائهم على المسلمين فى لوزون واستقرارهم فى مانيلا راودهم الأمـل فى أن يقضـوا عـلى سـلطان المسـلمين فى جنـوب الفلبين كما قضوا عليه فى شمال البلاد وبذلك يتحقق لهم امتداد استعمارهم إلى جميـع جـزر الفلبـين وتختفـى الرايـة الإسلامية منها لا يرتفع فيها إلا الراية المسـيحية ولـذلك تتابعـت حمـلات الأسـبان بضراوة وعنـف عـلى المسـلمين فى الجنوب. ولكن المسلمين قابلوا هذه الحملات بإيمان ثابت وقلب غيور على حماية بلادهم ودينهم وجميع مقدسـاتهم واستمرت الحرب الضروس أكثر من ثلاثة قرون مملوءة بالدماء والأشلاء لإرضاء نزعـات دينيـة مسـيحية حاقـدة عـلى الإسلام والمسلمين وموغلة فى التعصـب للقضـاء عـلى المسـلمين وطمـس التعـاليم الإسـلامية. وقـد تتابعـت الحمـلات الأسبانية المجهزة بالأسلحة الحديثة التى وجهوها نحو المسلمين فى الجنوب حيث اعتصم المسلمون بـدينهم وتمسـكوا بعقيدتهم وكتبوا بدمائهم الطاهرة الزكية أعظم واجل صفحات مضيئة فى التاريخ الفلبينى والتى تشهد بحبهم للحرية واستمساكهم بها وإيثارهم الموت على أن تستعمر بلادهم أو يعتدى على عقيدتهم الصحيحة فى صدق الدين الإسلامى الحنيف الذى يدينون به.

هذا ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تتابعت المعارك بين الطرفين، ففى سنة ١٥٧٨م أرسل القائد الأسبانى العام حملة أسبانية تحت قيادة الضابط أستيبان دى فيجورا لتهاجم مدينة هولو فوصلت إليها فى يونية سنة ١٥٧٨م، وتولى السلطان محمد حليم بنجيرن سلطان سولو قيادة المسلمين للدفاع عن المدينة ومع أن الأسبان اسـتطاعوا أن يسـتولوا على جزء من المدينة إلا أنهم فشلوا فى الاستيلاء عليها نظرًا لما قام به المسلمون من مقاومة عنيـدة، وأقسـم السـلطان بالانتقام من الغزاة فأعلن حرباً شاملة ضد الأسبان الذين آثروا الانسحاب من هولـو. وفى سـنة ١٥٩٦ حصـل الضـابط "دى فيجيور" من الحاكم العام الأسبانى على حق مطلق لاستعمار جزيرة منـداناو وأن يكـون الحـاكم الأسـبانى عليهـا ومن ثم توجه من جزيرة أيلو أيلو فى فبراير سنة ١٥٩٦. حملة حربية كبيرة مكونة من ألف وخمسمائة جندى فلبينـى ومائتي وأربعة عشر جنـديًا أسـبانيا واثنـين مـن القساوسـة - قاصـدًا جزيـرة منـداناو، واسـتطاع أن ينـزل الحملـة فى ريجراندا فى كوتابانو ومن هناك سار إلى بوهاين حيث قامت معارك حامية ومناوشات متتالية قاد المسلمين فيها داتـو سيلانج واستطاع أوبل أخو القائد المسلم أن يقتل قائد الحملة الأسبانية ولكن الحملة عززت بقـوة أخـرى مـن مـانيلا لتتابع مشروعها الاستعمارى فى منداناو.

غير أن المسلمين استطاعوا مع حلفائهم أن يقذفوا بالأسبان فى البحر فاضطر القائد الأسبانى "رنجيلـو" أن يحـرق الاستحكامات والحصون التى أقامها الأسبان قريبًا من كوتابلتو وانسحب إلى كلدرا قريبًا من سمونجا حيث بنى حصناً

فيها وكان بناء هذا الحصن هو نتيجة الحملة الأولى لاستعمار منداناو بعد خيبتهم فى أن يحتلوا كوتاباتو[cxlvi].

وقد أثار غزو الأسبان للأرض الإسلامية فى كوتابوتو هياج المسلمين فى منداناو سولو وحرك عداوتهم وحقدهم وأشعل نار غيظهم فأعلنوا الحرب والجهاد الدينى ضد الأسبان وبدأوا مشروعًا لتخريب كل المدن والقرى الأسبانية المسيحية فى لوزون وبسايا.

وفى يولية سنة ١٥٩٩م جهز اثنان من أمراء المسلمين حملة مكونة من ثلاثة آلاف مسلم أقلعت بهم خمسون سفينة للانتقام من الأسبان فى الشمال حيث تمكنوا من سلب ونهب قرى الشواطئ فى جزر بناى، ونجروس. وسيبو. وأثاروا الرعب فى تلك الأماكن وأحرقوا المنازل والكنائس وأسروا الرجال والأطفال وقتلوا كثيراً من أهلها بقسوة وعنف وانتهكوا حرمتها جزاء لاعتداء الأسبان على بلادهم. ثم قاموا بحملة أخرى سنة ١٦٠٠م عدتها تسعون سفينة وأربعة آلاف مقاتل للانتقام من الأسبان ولكن لم يحالفهم النجاح كما حالفهم النجاح فى الحملة الأولى. وقد أثارت أخبار تحرك المسلمين بغاراتهم على الجزر السابقة للثأر من الأسبان حفيظة الأسبان وخاصة الحاكم الأسبانى العام فى مانيلا فأخذ يرسل حملة بعد الأخرى للهجوم على أرض المسلمين فى الجنوب وكانت أولى هذه الحملات بقيادة قائد محنك هو الضابط كاليناتو وبقوة تعدادها مائتا جندى أسبانى وأعداد كثيرة من جنود الفلبين المسيحيين. وقد توجهت تلك الحملة إلى هولو فى فبراير سنة ١٦٠٢م وحاولت أن تحتل المدينة وضربت حولها الحصار ثلاثة ولكن المسلمين صمدوا لتلك الحملة ما اضطر القائد إلى فك الحصار والعودة من حيث أتى. وقد تتابعت الحملات الأسبانية بعد ذلك على هولو بغية الانتصار على المسلمين فيها وحملهم على اعتناق المسيحية. وقد بلغ عدد تلك الحملات من سنة ١٥٧٨م إلى سنة ١٨٧٦م أكثر من ستة عشرة حملة كلها كانت تبوء بالفشل سوى الحملة الأخيرة التى تمكنت من احتلال سولو. وكما وجه الأسبان حملات أخرى إلى منداناو. وقد مكن الأسبان من ذلك استيلائهم على سمونجا وجعلها مركزًا استراتيجيًا لهم تسهل الإغارة منه على المسلمين فى هولو ومنداناو. ومن الحملات التى استطاع الأسبان أن ينتصروا فيها على المسلمين ويحققوا بعض النصر الحملة التى توجهت مرة إلى لاناو ومرة إلى هولو بقيادة القائد الأسبانى كركورا[cxlvii].

وعندما عجز الأسبان عن كبت قوى المسلمين وهزيمتهم بدأت القوات الأسبانية تتفاوض مع المسلمين وقد عقدت عدة معاهدات بينها وبين المسلمين منها اتفاقية سنة ١٧٢٥م وبمقتضاها أصبحت التجارة حرة بين المسلمين والأسبان ويتعهد المسلمون بإطلاق سراح الأسرى المسيحيين.

وفى سنة ١٧٣٧ وقع السلطان علم الدين الأول سلطان سولو والحاكم الأسبانى العام اتفاقا مكونًا من خمس مواد ويقتضى[cxlviii]:

بإقامة سلام دائم بين الدولتين وكل مخالفة أو ظلم أو تعد من القوتين يسوى سلميًا.

أن يقدم كل منهما للأخر العون ضد أى عدو أجنبى والدول الأوروبية مستثناه من هذا الشرط.

حرية التجارة بين الدولتين للتجار الذين يحملون جواز سفر، من الدولة.

أن تكون كل دولة مسئولة عن هتك السلام بين الدولتين بأحد رعاياها.

تبادل الأسرى بين الدولتين وإعادة تماثيل الكنائس وزخارفها التى يملكها أهل سولو.

وهناك معاهدات أخرى أبرمت فى سنة ١٧٤٦، ١٨٠٥، ١٨٣٦، ١٨٥١، ١٨٧٨.

وقد قام السلطان علم الدين سلطان سولو بإصلاحات كثيرة منها تهذيب قانون أهل سولو ونظم القضاء فيها وترجم بعض نصوص القرآن الكريم وكتب اللغة العربية إلى لغة أهل سولو. كما حث الناس على إتباع دينهم وإقامة الصلوات الخمس. وأمر العلماء بأن يتعلموا العربية وأن يعدوا قاموسًا عربيًا سوليًا كخطوة أولى لجعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية كما سك النقود ونظم جيشاً صغيراً وحاول أن يقيم أسطولاً بحريًا ولذلك يتذكره أهل سولو دائمًا ويذكرون عظيم أعماله.

وفى اتفاق سنة ١٧٤٦ حضر رسول خاص من مانيلا إلى السلطان علم الدين يحمل رسالة من الملك فيليب الخامس ملك أسبانيا يرجو فيها أن يسمح للقسس بأن يأتوا إلى هولو ويعظوا بالمسيحية لأهل هولو وقد عمل السلطان لرسول الملك حفله تكريم، ووافق على أن يعظ القسس فى هولو بل ذهب إلى أبعد من ذلك إذ سمح لهم بأن يقيموا كنيسة فى هولو. وفى مقابل ذلك على أسبانيا أن تساعد السلطان فى إقامة أسطول بحرى بمبلغ ستة آلاف بيزو وتمده باثنى عشر مدفعًا عيار ١٢٣ رطلاً وكمية من المسامير والحديد وقد حضر القسس الجزويت إلى هولو تنفيذا لهذه الاتفاقية. ومع رضا السلطان عن ذلك إلا أن الناس قابلوا ذلك باستياء عظيم وتكون حزب معارض بقيادة الداتو بانتيلان الذى قاد حملات منظمة ضد الأسبان حيث تركت خرابًا فى كل مكان واستطاع أن يدخل الرعب والفزع فى كل القرى المسيحية فى منداناو وبسايا ولوزون حتى شوارع مانيلا نفسها حيث نزل المسلمون إلى شاطئ مانيلا تحت سمع وبصر السفن الحربية الأسبانية واستطاعوا أن يردوا على الحملات المسعورة التى قادها الأسبان على المسلمين فى الجنوب(cxlix).

وفى سنة ١٨٤٨ بنى حاكم الفلبين الأسبانى ثلاث سفن بخارية وسفينتين استكشافيتين وثلاث سفن نقل للجنود وقد بنت إنجلترا هذه السفن لحاكم الفلبين وهى سفن تسير أسرع من السفن الشراعية التى يستعملها المسلمون وكان ظهور هذه السفن فى المحيط الهادى بداية لنهاية سيادة المسلمين على البحار إذ بهذه السفن وبقوة كبيرة من الجنود تهاجم الأسبان المسلمين فى هرل ودمروا استحكاماتهم واستولوا عليها فاضطر سلطان هولو والأمراء أن يعقدوا معاهدة مع الأسبان فى ١٨٥١م اتفق فيها على سيادة الأسبان على هولو وأن يرفع السلطان العلم الأسبانى وألا يعقد اتفاقا مع أية دولة أخرى وفى مقابل ذلك يقدم الأسبان للسلطان وللأمراء معاشًا لأجل الحياة وأن يسمحوا للمسلمين بمزاولة شعائرهم الدينية ويضمنوا للسلطان أن يرث أبناؤه عرش هولو. ومع ذلك فإن هذه المعاهدة لم تنه الحرب بين الأسبان والمسلمين إذ بمجرد جفاف حبر هذه المعاهدة عاود المسلمون حربهم ضد الأسبان وهزموا الأسبان فعاود الأسبان الكرة على المسلمين فى سنة ١٨٧٦م حيث هاجموا هولو بقوة كبيرة مكونة من تسعة آلاف جندى أسبانى وفلبينى بسفن بخارية حربية مجهزة بمدافعها. وقد دافع المسلمون عن المدينة دفاع الأبطال ولكنهم منوا بمذبحة فظيعة من الأسبان. وفى هذه المرة سقطت هولو سقوطًا تامًا واستولى عليها الجنود الأسبان ونقل المسلمون السلطة إلى ماينبون فى جانب سولو الأخر ووقع السلطان معاهدة سلام مع الأسبان سنة ١٨٧٨م ولكن ذلك لم يمنع المسلمون الأحرار من أن ينغصوا على الأسبان حياتهم وجعلوا إقامتهم فى هولو جحيمًا ففى سنة ١٨٨٢م ذبح المسلمون كثيراً من جنود الأسبان فى شوارع هولو قدر الذين قتلوا من الجنود المسيحيين بأيدى المسلمين من سنة ١٨٩١ إلى سنة ١٨٩٩ بثلاثمائة جندى مسيحى. أما فى منداناو فقد جرد الأسبان حملة عليها فى سنة ١٨٨٦م تمكنت من تخريب بعض استحكامات المسلمين وبيوتهم ولكنهم فشلوا فى احتلال أرض المسلمين فعادوا لأسباب الكره سنة ١٨٩١، حيث

استطاعوا أن يستولوا على كوتاباتو ولكن بعد وقت قصير تمكن المسلمون من طردهم منها وأرغموهم على الرجوع إلى سمونجا. فجرد الأسبان حملة أخرى سنة ١٨٩٥ ضد المسلمين فى لاناو ولكنها باءت بالفشل. وأخيراً قامت الحرب بين أمريكا والأسبان سنة ١٨٩٨م حيث كان الأسبان والمسلمون يموتون فى الغابات لما اتصف به الأسبان من اعتداء وتعصب ولما آمن به المسلمون من دفاع عن أرضهم ووطنهم وحفاظًا على دينهم وعقيدتهم وبعد أكثر من ثلاثمائة سنة من الغارات المحمومة والحملات المتكررة فشل الأسبان فى أن يحتلوا أرض المسلمين أو يتمكنوا من تنصير المسلمين الشجعان. وفى مايو سنة ١٨٩٩ احتل الجيش الأمريكى هولو ثم سمونجا وعاد الجنود الأسبان من ميدان القتال إلى أسبانيا بخفى حنين يحملون الخيبة والفشل[cl].

ثالثاً: أطماع انجلترا فى الفلبين

استطاعت إنجلترا أن تحتل مانيلا سنة ١٧٩٢م بدعوى حمايتها من غارات المسلمين والصينين ولكنهم عادوا وسلموها للأسبان بموجب معاهدة باريس سنة ١٧٦٣ وفى سنة ١٧٧٢م ظهر طمع الإنجليز فى سولو وطلبوا من السلطان السماح لهم أن يقيموا مصنعًا فى هولو ولكن السلطان رفض طلبهم. فعمدوا إلى جزيرة صغيرة فى أرخبيل سولو واستولو عليها وأقاموا فيها الاستحكامات وجعلوها قاعدة حربية وقد استطاع الإنجليز البقاء فى هذه الجزيرة. ولكن فى سنة ١٧٧٥م هاجم داتو تنتج – ابن أخت السلطان – المستعمرة الإنجليزية فى تلك الجزيرة وقتل المستوطنين الإنجليز وكل من فى المعسكر ولم ينج من الإنجليز سوى ستة أفراد هربوا فى سفينة صغيرة وغنم المسلمون غنائم كثيرة منها خمسة وأربعون مدفعا وعدة سفن إنجليزية. وقد عاو الإنجليز مهاجمة سمونجا سنة ١٨٠٢م ولكنهم فشلوا فاحتلوا بقوة كبيرة الجزيرة السابقة التى طردوا منها فى أرخبيل سولو وأقاموا مركزا تجاريًا ومعسكرا حربيًا. ولكن عداوة المسلمين والأسبان لهم وعدم نجاح المركز التجارى جعلهم يتنازلون عن مشروعهم الاستعمارى ويجلون عن أرض المسلمين فى ديسمبر سنة ١٨٠٦م[cli].

رابعاً: أمريكا والفلبين

بعد أن انتصرت أمريكا على الأسبان فى الفلبين دفعت أمريكا إلى أسبانيا مائتى مليون دولار لتحل محلها فى الفلبين وتحرر بذلك عقد أبرم فى باريس فى ١٠ ديسمبر سنة ١٨٩٨م وقد قاوم المسلمون الغزاة الجدد من أمريكا بدون هوادة وقدموا الشهداء من أبنائهم وأمرائهم فى السنين المتتالية فقد تقابل المسلمون مع قوى الاحتلال الأمريكى فى موقعة قريبة من هولو سنة ١٩٠٦ حيث استشهد من المسلمين أكثر من ستمائة شهيد من الرجال والنساء والأطفال وكانت الموقعة الثانية من هولو أيضًا فى سنة ١٩١٣ وقدم فيها المسلمون كثيراً من الشهداء وثبت خلال هذه المعركة تفوق الأسلحة الأمريكية على أسلحة المسلمين وغيرت أمريكا بعد هذه الموقعة من سياستها فاختارت حكامًا من المدنيين لتهدئة شعور المسلمين واستطاع (فرانك كرينتر) أول محافظة أمريكى لجزيرة سولو ومنداناو أن يظهر الصداقة ويكون سنة ١٩١٤ وزارة خاصة بشئون منداناو وسولو للإشراف فى المناطق الإسلامية ، واستطاع (فرنك كرينتر) أن يعقد معاهدة مع السلطان جمال الكرم سلطان سولو فى سنة ١٩١٥ تنازل فيها السلطان عن سلطاته الدنيوية واعترف فيها بالنفوذ الأمريكي فى بلاده مقابل إعطائه معاشًا والاعتراف به سلطان روحى لمسلمى الفلبين. وبذلك أفل نجم السلاطين المسلمين. ثم بذلك الوزارة الخاصة بشئون منداناو وسولو وضمت إلى مكتب شئون القبائل سنة ١٩٣٠م. لقد استطاع (فرانك كرينتر) بحسن إدارته وحكمته وتقديره لشخصية المسلمين أن يحقق فى سنين قليلة ما لم تستطع سيوف الأسبان أو مدافع الأمريكيين تحقيقه من نشر السلام والطاعة فى أرض المسلمين.

وفى سنة ١٩٢٦ وافقت أمريكا على استقلال الفلبين تدريجيًا مع الإبقاء على المصالح الأمريكية. وبعد استقلال الفلبين ١٩٤٦م جعلت إدارة شئون المسلمين فى يد رئيس الدولة الكاثوليكى اعتباراً من سنة ١٩٥٠م فأخذ يعمل على تفتيت القوى الإسلامية وحرمانها من الحقوق التى تتناسب مع تعدادها بالنسبة لمجموع سكان الفلبين. وكان ذلك من الأسباب التى أدت إلى تأخر المسلمين لعدم قيام الدولة بأية مشروعات إصلاحية تؤدى إلى تقدمهم كما أدى ذلك إلى ضياع كثير من أراضيهم، ففى عام ١٩٠٨م كان المسلمون يسيطرون على ٩٢% من مجموع مساحة مينداناو ولكنهم فى سنة ١٩٧٠ نتيجة لسياسة القهر والاضطهاد وإخراج المسلمين من أراضيهم ومنحها للمهاجرين المسيحيين فإن مساحة الأرض التى يعترف لهم بها لا تزيد على ٣٥% وإن كانوا يضعون أيديهم فعلاً على ٦٥% من مجموع مساحة الأرض كلها. والمسلمون لا يتركون أرضهم إلا بعد أن يقدموا كثيراً من أبطالهم شهداء فى مقاومة جماعة (ايلاجاس) وهى تنظيم سرى هدفه الاستيلاء على الأرض التى يملكها المسلمون وقد درب أفراد هذه الجماعة على حرب العصابات فى إسرائيل ووجد كثير من المدافع الرشاشة الإسرائيلية فى حوزتها وهذه الجماعة تعد من أخطر الجماعات الكاثوليكية تعصبا ضد المسلمين حيث يصلون على إبادة المسلمين والاستيلاء على أرضهم. وتحت ضغط قواهم المتفوقة على المسلمين فى العدد والسلاح يترك المسلمون أرضهم لينضموا إلى معسكرات اللاجئين المسلمين التى تضم اليوم ما يزيد على خمسين ألف لاجئ[clii].

٥ ـ المشكلات المعاصرة فى الفلبين

تعانى الفلبين من مشكلات سياسية، وعسكرية، واقتصادية، واجتماعية فضلاً عن المشكلات الطائفية، والمناطقية . وتعانى الأقلية الإسلامية من هذه المشكلات مجتمعة ، فضلاً عن مشكلاتها المتعلقة بالتخلف الثقافى، والتنموى ،و تعدد اللغات المحلية ، والخلاف بين الزعامات الإسلامية ،والجهل بتعاليم الإسلام[cliii].

فبالإضافة إلى مشكلة التخلف العام فى الفلبين ، فهناك تخلف من نوع خاص فى المناطق الإسلامية نتيجة الحروب العديدة التى شنتها قوى الاستعمار على المسلمين . ومن بين هذه الحروب المدمرة للمجتمع الإسلامى " تنظيم إيلاجاس الكاثوليكى السرى "[cliv] (clv) الهادف إلى طرد المسلمين من الفلبين ،و السيطرة على مناطقهم، وأراضيهم . وقد استطاعت هذه الجماعات المتطرفة من إجلاء عشرات الألوف من المسلمين عن مناطقهم وانضمامهم إلى معسكرات، ومخيمات اللاجئين المسلمين . ومنذ عام ١٩٧١ تبين أن هناك تأمراً مشتركاً بين الرئيس الفلبينى ماركوس، وبين جماعة إيلاجاس التى تزايد وجود عناصرها فى جزيرة ميندناو الإسلامية ، بحيث ارتفع العدد إلى أكثر من أربعين ألف مقاتل ، استطاعوا قتل الآلاف من المسلمين ،وحرق ممتلكاتهم ،وإحراق مساجدهم ،وتهجيرهم من قراهم .

هذا وقد أشارت الإحصاءات أن عدد المذابح والحوادث الدامية بحق المسلمين فى جنوب الفلبين قد بلغت بين أعوام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٥ أكثر من (٥٠٠) حادثة ، بخلاف الحوادث غير المسجلة ، فضلاً عن أكثر من خمسين ألف نسمة من الشهداء ، وأكثر من خمسين ألف مهجر ، لهذا فإن المسلمين كانوا باستمرار يجددون مطالبتهم بالإستقلال فى جزرهم الإسلامية منذ عام ١٩٦٨ بقيادة " أوتوج ماتالم " وجبهة تحرير بنجسامورو أى " جبهة تحرير أمة المسلمين " . ونظراً لخطورة أوضاع المسلمين فى الفلبين ، فقد تحركت ليبيا بالتعاون مع الأزهر الشريف للإطلاع على واقع المسلمين ، و من أجل ذلك عرضت مشكلة المسلمين فى جنوب الفلبين على مؤتمرات وزراء خارجية الدول الإسلامية ، ابتداء من

مؤتمر كوالا لمبور عام ١٩٧٤ إلى مؤتمر فاس عام ١٩٧٩ ،ومؤتمرات القمة الإسلامية فى الثمانينات والتسعينات . وأوصت هذه المؤتمرات بإعطاء المسلمين حقوقهم الدينية، والمدنية المشروعة ،وضرورة تطبيق العدل والمساواة ،وإعطائهم حكماً ذاتياً فى إطار احترام السيادة الوطنية لجمهورية الفلبين ووحدة أراضيها على أن يشمل ذلك ثلاثة عشرة إقليماً[clvi].

ولكن جميع الوفود، والوساطات الإقليمية، والدولية الإسلامية منها والعربية، والدولية لم تسفر عن وضع حد نهائى لأعمال العنف ، خاصة وأن الجبهة الإسلامية فى الفلبين قد انشقت إلى عدة جبهات منها :

١ـ جبهة مورو الإسلامية .

٢ ـ جبهة هاشم سلامات .

٣ ـ جبهة نور مسوارى .

٤ ـ جبهة أبو سياف بقيادة زعيمها عبد الرسول سياف .

٥ ـ جماعة بنداتون وديماس ورشيد لقمان .

غير أن أهم هذه الحركات هى حركة مورو الإسلامية وحركة ور مسوارى التى انشقت عنها[clvii].

لهذا فإن الاجتماعات التى عقدت بين مختلف الأطراف فى مكة المكرمة عام ١٩٧٩ لم تسفر عن أية نتيجة ، كما أن اتفاق طرابلس الغرب عام ١٩٧٦ لم يحقق الحكم الذاتى للمسلمين . وقد استطاع ماركوس استغلال الخلافات بين القيادات الإسلامية للتخلص من كل اتفاق أو توصيات .

والأمر الملاحظ أن العلاقة بين الحكومة الفلبينية والحركات الإسلامية مرت بمراحل وتطورات عديدة ، شهدت فيها فترات من العنف والسلم ،ومن الحرب والهدنة لاسيما فى الفترة الممتدة بين أعوام ١٩٤٦ – ١٩٦٤ ، ومن ثم فى الفترة الممتدة بين أعوام (١٩٦٥ ـ ٢٠٠٠) . وقد شهدت الفترة الثانية حكم رؤساء أربعة هم على التوالى :

١ ـ فرديناند ماركوس(١٩٦٥ ـ ١٩٨٦) .

٢ ـ السيدة كورازون أكينو (١٩٨٦ ـ ١٩٩٢) .

٣ـ فيدل راموس (١٩٩٢ ـ ١٩٩٨) .

٤ ـ جوزف اتسردادا (١٩٩٨ ـ   ) .

ومما يلاحظ أن استراتيجيات احتواء المسلمين عتمدت بالدرجة الأولى على الأوضاع الاقتصادية المتردية للمسلمين فى الفلبين ،ومحاولة الحكومة تحسين هذه الأوضاع وتحسين الأوضاع الاجتماعية والتربوية والثقافية . كما اعتمدت سياسة الاحتواء على التناقضات بين الحركات الإسلامية ذاتها ، فضلاً عن التوازنات الإقليمية والدولية بما فيها التوازنات مع العالم الإسلامى ، غير أن كل المفاوضات، ومحادثات السلام ، بما فيه التقديمات الاقتصادية، والاجتماعية الشكلية لم تحل مشكل المسلمين بالرغم من عقد عدة اجتماعات بين حكومة الفلبين، وممثلى المسلمين منها :

١ ـ محادثات السلام الرسمية فى جاكرتا عاصمة إندونيسيا عام ١٩٩٣ .

٢ ـ محادثات السلام الرسمية فى جاكرتا عامى ١٩٩٤ ، ١٩٩٥,

٣ـ محادثات السلام الرسمية فى مدينة دافاو الفلبينية ذات الغالبية المسيحية عام ١٩٩٦ ، واتفاق السلام عام ١٩٩٦ فى مانيلا .

كانت طموحات المسلمين فى جنوب الفلبين من خلال جميع هذه المباحثات التوصل إلى حكم شبه مستقل عن الحكومة المركزية ، أو حكم ذاتى يمارس فيه المسلمون تنظيم شؤونهم السياسية، والمالية، والتعليمية، والاقتصادية ،وتطبيق الشريعة الإسلامية ،و المشاركة فى البرلمان الوطنى ،وقد تم الاتفاق فى مباحثات عام ١٩٩٦ على الأمور التالية[clviii].

١ ـ إنشاء كيان إدارى للحكم فى جنوب الفلبين ويضم (١٣) منطقة إسلامية .

٢ ـ يعهد لجبهة مورو الوطنية إدارة هذا الكيان لفترة انتقالية مدتها ثلاث سنوات .

٣ ـ يعقب المرحلة الانتقالية إجراء استفتاء حول الحكم الذاتى .

٤ ـ إنشاء قوة شرطة محلية من المسلمين فى جنوب الفلبين .

٥ ـ انضمام المسلمين إلى الجيش الفلبينى .

ومما يلاحظ أنه بالرغم من التوصل إلى هذا الاتفاق ، غير أن الحكومة الفلبينية وضعت بعض الشروط بهدف عدم العمل به ، وإجهاضه قبل أن يبصر النور . وفى هذا الاطار فإننا لا يمكن أن نغفل دور إسرائيل فى إفشال الاتفاقات بين المسلمين، وحكومة الفلبين، ذلك أن إسرائيل ترتبط بعلاقات وطيدة مع حكومة مانيلا ، إذ يوجد خبراء عسكريون إسرائيليون فقى الفلبين منذ بداية الحرب ضد المسلمين ، كما أرسلت إسرائيل عدداً كبيراً من خبرائها العسكريين إلى مانيلا بهدف تدريب قوات خاصة لحكومة كورازون أكينو يطلق عليها " الجيش الأصفر " حيث أرسلت وحدات من هذا الجيش فى عهد أكينو لمحاربة المسلمين فى الجنوب . ولهذا فإن إسرائيل قامت ـ وما تزال ـ بدور فاعل فى الفلبين ضد المسلمين لا سيما فى المجال العسكرى .

ومن الأهمية بمكان القول ، إن المسلمين فى الفلبين ما يزالون يعانون من اضطهاد ومحاربة الحكومة الفلبنية بشتى الوسائل العسكرية، والسياسية، والاقتصادية، والتنموية ، ومن الملاحظ أنه بالرغم من تباين وجهات نظر الحركات الإسلامية فى كيفية التعامل مع حكومة مانيلا ، غير أن الجميع متفق على تحقيق الحكم الذاتى للمسلمين ،والحركة الوحيدة التى تدخل فى مفاوضات مع الحكومة الفلبينية هى " الجبهة مورو " للتحرير الوطنى " فى حين أن هذه الحركات تؤمن إيماناً مطلقاً بأن المفاوضات ولت إلى غير رجعة ،وأن الكفاح هو الحل الوحيد للحصول على الحكم الذاتى بالرغم من أن هذه الحركات تعانى من عدم جدوى تأييد العالم الإسلامى لمطالبهم التاريخية ، ومن نقص حاد فى التمويل لهذا فقد أقدمت جماعة أبو سياف التابعة لحركة مورو الإسلامية منذ ٢١ نسيان (إبريل) عام ٢٠٠٠ ولشهور عديدة على اختطاف عدد من السياح الأجانب مطالبين بفدية مالية كبيرة عن كل رهينة ، فضلاً عن هدف تحريك قضيتهم ومشكلتهم أمام العالم ،ومطالبتهم بإنشاء دولة إسلامية فى مناطقهم . وقد نقلت الرهائن بما فيه اللبنانية مارى معربس من منتجع ماليزى إلى منطقة جولو الإسلامية فى جنوب الفلبين . وذكرت المعلومات أن ليبي ـ الوسيطة فى هذه القضية ـ دفعت مبلغ (٢٥) مليون دولار لقاء إطلاق سراح الرهائن .

وبالرغم من أن ليبيا نفت هـذه المعلومـات وأن عملهـا هـو عمـل إنسـانى بحـت ، غـير أن الدبلوماسـيين الغـربيين فى طرابلس الغرب أكدوا أن ليبيا ستدفع تلك المبالغ لتصحيح صورتها أمام العالم . مع العلم أن ليبيا أكدت أن مبلـغ ال (٢٥) مليون دولار ستستخدم فى بناء مشروعات إنمائية فى المناطق ذات الأغلبية المسلمة جنوبى البلاد .

والحقيقة فإنه بالرغم من تأييد العالم، والعالم الإسلامى لقضية المسلمين فى الفلبين ، غير أن خطف الأبريـاء مـن مختلف الجنسيات لم تفعل القضية الإسلامية فى الفلبين ، ولم تؤد إلى تطور فاعل أو حاسم لها ، بل إن بعض الأوساط الدولية، والإسلامية استنكرت مثل هذا العمل[clix].

الحواشى

حواشى الفصل الأول

قائمة المراجع

- أحمد بشير: تاريخ الإسلام فى الفلبين، الدار العربية للطباعة والنشر، والتوزيع، بيروت، د.ت.
- أدوين أولد فاذر ريشاور : تاريخ اليابان من الجذور حتى هيروشيما ، ترجمة يوسف شلب الشام، دار علاء الدين، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٠.
- بين تشستر: الشرق الأقصى، ترجمة حسين الحوت، مراجعة فريد عبد الرحمن، مجموعة الألف كتاب (٥٩) بإشراف إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٥٨ .
- تيدمان، آرثر، اليابان الحديثة. ترجمة وديع سعيد ومراجعة على رفاعة الأنصارى، سلسلة الألف كتاب، القاهرة، د.ت.
- جلال يحيى : الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١.
- جلال يحيى : العالم المعاصر منذ الحرب العالمية الثانية، الدول الغنية الرأسمالية الغربية والإشتراكية واليابان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨.
- حسن محمد جوهر، وعبد الحميد بيومى، الصين، مجموعة شعوب العالم، دار المعارف بمصر، د.ت.
- خليل عبد الحميد عبد العال: تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر دراسات وقراءات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥.
- خيرى عزيز، الإنفتاح والتحديث فى الصين الجديدة صـ٥٦-٨٢ السياسة الدولية العدد ٥٩ فى يناير ١٩٨٠م.
- عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار : التاريخ الأوروبى الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينيا، دار النهضة العربية، ١٩٧١.
- عفاف مسعد العبد: دراسات فى تاريخ الشرق الأقصى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- فاروق عثمان أباظة : محاضرات في تاريخ الشرق الأقصى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧.
- فوزى درويش : اليابان – الدولة الحديثة والدور الأمريكى، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤.
- فوزي درويش : الشرق الأقصى الصين واليابان (١٨٥٣ - ١٩٧٢) ، ١٩٩٤.
- ك . م . بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، أحمد خاكى ، وزارة الثقافة ، د. ت.
- محمد عبد القادر أحمد : المسلمون فى الفلبين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٣.
- ول ديورانت : قصة الحضارة، الجزء السابع، الشرق الأقصى، الصين، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، جامعة الدول العربية، د.ت.
- محمد على القوزى، حسان حلاق : تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.
- محمد محمود زيتون : المسلمون فى الشرق الأقصى ، دار الوفاء للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٥.

- محمد نعمان جلال : الصراع بين اليابان والصين ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٩.

(i) عفاف مسعد العبد: دراسات فى تاريخ الشرق الأقصى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص٩

(ii) فاروق عثمان أباظة : محاضرات في تاريخ الشرق الأقصى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص ١٠ – ١٢

(iii) بين تشستر: الشرق الأقصى، ترجمة حسين الحوت، مراجعة فريد عبد الرحمن، مجموعة الألف كتاب (٥٩) بإشراف إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٥٨ ، ص ١، ٢ .

(iv) فوزي درويش : الشرق الأقصى الصين واليابان (١٨٥٣ – ١٩٧٢) ، ١٩٩٤ ، ص ١٣ – ١٤ .

(v) حسن محمد جوهر، وعبد الحميد بيومى، الصين، مجموعة شعوب العالم، دار المعارف بمصر، د.ت، ص٤٥.

(vi) فوزى درويش : الشرق الأقصى، صـ١٧.

(vii) نفسه ، ص١٩ .

(viii) نفسه، صـ٢٢.

(ix) محمد على القوزى، حسان حلاق : تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، صـ٨٠.

(x) فاروق عثمان أباظة : المرجع السابق، صـ٣١، ٣٢.

(xi) نفسه ، صـ٣٢، ٣٣.

(xii) نفسه، صـ٣٣، ٣٤.

(xiii) نفسه، صـ٣٤ – ٣٦.

(xiv) نفسه، صـ٣٦، ٣٧.

(xv) نفسه، صـ٣٧-٣٩.

(xvi) عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار : التاريخ الأوروبى الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينيا، دار النهضة العربية، ١٩٧١ ، صـ٢٤٧، ٢٤٨.

(xvii) بين – تشستر : المرجع السابق، صـ٥٠.

(xviii) فوزى درويش : الشرق الأقصى، صـ٤٦.

(xix) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صـ٨٢، ٨٣.

(xx) نفسه، صـ٨٣، ٨٤.

(xxi) فاروق عثمان أباظة : المرجع السابق، صـ٢٧.

(xxii) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صـ٨٤، ٨٥.

(xxiii) نفسه : المرجع السابق، صـ٨٥، ٨٦، خليل عبد الحميد عبد العال: تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر دراسات وقراءات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥، صـ١١٠-١١٤.

(xxiv) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صـ٨٦-٨٨.

(xxv) جلال يحيى : الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١، ص ٥١ .

[xxvi] محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صـ٨٨، ٨٩، خليل عبـد العـال، المرجـع السـابق، صـ١١٩، ١٢٠، ول ديورانت : قصة الحضارة، الجزء السابع، الشرق الأقصى، الصين، ترجمـة محمـد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، جامعة الدول العربية، د.ت، صـ٢٩١.

[xxvii] محمد القوزى وآخر : المرجع السابق، صـ٩٠، ٩١.

[xxviii] بين تشستر : المرجع السابق، صـ٧٣، ٧٤.

[xxix] نفسه، صـ٧٩.

[xxx] محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صـ٩٢-٩٤.

[xxxi] نفسه، صـ٩٤، ٩٥.

[xxxii] فوزي درويش : الشرق الأقصى، صـ١٢٠.

[xxxiii] خليل عبد العال : المرجع السابق، صـ١٥٥-١٦٢، محمد على القوزى وآخر : المرجع السـابق، صـ٩٥-٩٧.

[xxxiv] فوزى درويش : الشرق الأقصى، صـ١٢٣.

[xxxv] ول ديورانت : المرجع السابق، صـ٢٩٦.

[xxxvi] محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صـ٩٨-١٠٠.

[xxxvii] ول ديورانت : المرجع السابق، صـ٢٩٨، ٢٩٩.

[xxxviii] محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صـ١٠٠، ١٠١.

[xxxix] ول ديورانت : المرجع السابق، صـ١٠٣.

[xl] نفسه، جـ٤، صـ١٠٣.

[xli] محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صـ١٠٢، ١٠٣.

حواشى الفصل الثانى

(xlii) فوزى درويش : الشرق الأقصى ، ص١٣٢ ، ١٣٣ .

(xliii) ك . م . بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، أحمد خاكى ، وزارة الثقافة ، د. ت ، ص٢٩١ ، ٢٩٢ .

(xliv) فوزى درويش : المرجع السابق ، ص١٣٢ – ١٣٤ .

(xlv) نفسه ، ص١٣٥ ــ ١٤٠ ، محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق ، ص١٠٣ ــ ١٠٧ .

(xlvi) محمد نعمان جلال : الصراع بين اليابان والصين ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص٥٠٧ .

(xlvii) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق ، ص١٠٨ ــ ١١١ .

(xlviii) نفسه : المرجع السابق ، ص١١١ ــ ١١٢ .

(xlix) فوزى درويش : الشرق الأقصى ، ص٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(l)نفسه ، ص٢٢٣ .

(li) نفسه ، ص٢٢٣ ــ ٢٢٥ .

(lii) نفسه ، ص٢٢٥ ــ ٢٢٧ .

(liii) نفسه ، ص٢٢٧ ــ ٢٢٩ .

(liv) نفسه ، ص٢٢٩ ــ ٢٣١ .

(lv) نفسه ، ص٢٣١ ــ ٢٣٣.

(lvi) نفسه ، ص٢٣٣ ــ ٢٣٥ .

(lvii) نفسه ، ص٢٣٦ .

(lviii) نفسه ، ص١٨٧ ــ ١٩٨ ، محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق ، ص١١٧ ــ ١٢١ .

(lix) فوزى درويش : الشرق الأقصى ، ص١٩٩ ــ ٢٠٠ ، محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق ، ص١٢١ ــ ١٢٣ .

(lx) نفسه ، ص٢٠٠ ، ٢٠١ .

(lxi) نفسه ، ص٢٠١ ــ ٢٠٥ .

(lxii) نفسه ، ص٢٠٥ ــ ٢١٣ .

(lxiii) نفسه ، ص٢١٣ ــ ٢١٥ .

(lxiv) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق ، ص١٣٠ ، ١٣١ .

حواشى الفصل الثالث

(lxv) خليل عبد العال : المرجع السابق، صــ١٦٨، ١٧١، ١٧٢.

(lxvi) تيدمان، آرثر، اليابان الحديثة. ترجمة وديع سعيد ومراجعة على رفاعة الأنصارى، سلســلة الألــف كتاب، القاهرة، د.ت، صــ١؛ فوزى درويش : الشرق الأقصى، صــ٣٠.

(lxvii) فوزى درويش : الشرق الأقصى ، صــ٣١، ٣٣.

(lxviii) خليل عبد العال : المرجع السابق، صــ١٧٢، ١٧٣.

(lxix) فوزى درويش : الشرق الأقصى، صــ٦٧ – ٦٩.

(lxx) تيدمان، أرثر: المرجع السابق، صــ١٦، ١٧؛ فوزى درويش : الشرق الأقصى، صــ٦٩، ٧٠.

(lxxi) فوزى درويش : الشرق الأقصى، صــ٧٠، ٧١.

(lxxii) عفاف مسعد العبد : المرجع السابق، صــ١٣٢-١٣٤.

(lxxiii) نفسه، صــ١٣٤-١٣٦.

(lxxiv) نفسه، صــ١٣٦-١٣٨.

(lxxv) فوزى درويش : الشرق الأقصى، صــ٩٠، ٩١.

(lxxvi) محمد على القوزى وآخر المرجع السابق، صــ٣٩ ، ٤٠.

(lxxvii) نفسه . ص ٤١ – ٤٤ .

(lxxviii) أدوين أولد فاذر ريشاور : تاريخ اليابان من الجذور حتى هيروشيما ، ترجمة يوسف شلب الشــام، دار علاء الدين، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠٠، صــ١٣٧-١٣٩.

(lxxix) أودين أولدفاذر ريشاور : المرجع السابق، صــ١٣٩-١٤١.

(lxxx) نفسه : المرجع السابق، صــ١٤٢،١٤١.

(lxxxi) نفسه : المرجع السابق، صــ١٥٢، ١٥٣.

(lxxxii) نفسه، صــ١٥٣، ١٥٤.

(lxxxiii) عفاف مسعد العبد : المرجع السابق، صــ١٣٩، ١٤١.

(lxxxiv) نفسه : المرجع السابق، صــ١٤١-١٤٣.

[lxxxv] محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صــ٤٥-٤٧.
[lxxxvi] نفسه : ، صــ٤٧-٤٩.
[lxxxvii] نفسه، صــ٤٩-٥١.
[lxxxviii] نفسه، صــ٥١-٥٣.
[lxxxix] محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صــ٥٣، ٥٤.
[xc] عفاف مسعد العبد : المرجع السابق، صــ١٢٨.
[xci] فوزى درويش : الشرق الأقصى، صــ٢٥٤-٢٥٥.
[xcii] نفسه، صــ٢٥٥-٢٥٧.
[xciii] نفسه صــ٢٥٧-٢٥٩.
[xciv] تيدمان، آرثر : المرجع السابق، صــ٢٠، ٢١.
[xcv] عفاف مسعد العبد : المرجع السابق، صــ١٤٦-١٤٨.
[xcvi] فاروق عثمان أباظة : المرجع السابق، صــ١٥٨-١٦١.
[xcvii] نفسه، صــ١٦١-١٦٤.
[xcviii] فوزي درويش : الشرق الأقصى ، ص ٩٤ .
[xcix] نفسه، صــ٩٧-٩٩.
[c] محمود السروجى : سياسة الولايات المتحدة الخارجية، الاسكندرية، ١٩٤٥صــ٧٩، ٨٠.
[ci] فوزى درويش : الشرق الأقصى، صــ٩٩-١٠١.
[cii]نفسه، صــ١٠١ ،١٠٢.

حواشى الفصل الرابع

[ciii] فوزى درويش : اليابان – الدولة الحديثة والدور الأمريكى، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤، صــ١٩٣.
[civ] محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صــ٥٦،٥٧.
[cv] محمد نعمان جلال : المرجع السابق، صــ٩٥.
[cvi] محمد نعمان جلال، صــ١١٦-١٢٦.
[cvii] محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صــ٥٩، ٦٠.
[cviii] جلال يحيى : العالم المعاصر منذ الحرب العالمية الثانية، الدول الغنية الرأسمالية الغربية والإشتراكية واليابان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م، صــ٥١٧.
[cix] محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صــ٦١.
[cx] محمد نعمان جلال : المرجع السابق، صــ١٨٥-١٩١؛ محمد على القوزى : المرجع السابق، صــ٦١-٦٣.
[cxi] محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صــ٦٣، ٦٤.
[cxii] نفسه، صــ٦٦.
[cxiii] نفسه، صــ٦٦، ٦٧.
[cxiv] محمد على القوزي وآخر: المرجع السابق: صــ٦٧-٦٩.
[cxv]محمد على القوزي وآخر: المرجع السابق: صــ٦٩، ٧٠.

حواشى الفصل الخامس

(cxvi) فوزى درويش : الشرق الأقصى، صـــ١٤٩، ١٥١.

(cxvii) نفسه صـــ١٥١-١٥٣.

(cxviii) نفسه، ص ١٥٤ ، ١٥٨ – ١٦٠ .

(cxix) نفسه، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

(cxx) نفسه ، صـــ١٦٢-١٦٤.

(cxxi) نفسه ، صـــ١٦٤-١٦٧.

(cxxii) نفسه، صـــ١٦٧، ١٦٨.

(cxxiii) محمد نعمان جلال : المرجع السابق، صـــ٣٢٦ – ٣٢٨.

(cxxiv) نفسه، صـــ٣٢٩ – ٣٣١.

(cxxv) نفسه، صـــ٣٣١-٣٣٤.

(cxxvi) نفسه، صـــ٣٣٤-٣٣٧.

(cxxvii)نفسه، صـــ٣٣٧-٣٣٨.

(cxxviii) نفسه ، صـــ٣٣٩-٣٤٢.

(cxxix) خيرى عزيز، الإنفتاح والتحديث فى الصين الجديدة صـــ٥٦-٨٢ السياسة الدولية العـــدد ٥٩ فـــى يناير ١٩٨٠م صـــ٧٨.

(cxxx) رغم أن الدول الغربية وكثيراً من دول العالم الثالث لم تؤيد الغزو الفيتنامى لكمبوديا إلا أنها عارضت رد الفعل الصينى المضاد لفيتنام وبما كان ذلك تحت التأثير النفسى لمشكلة فيتنام عبر أكثر من ثلاثة عقود متتالية من الحروب. وأيضاً كان هذا التأثير النفسى لمشكلة فيتنام عبر أكثر من ثلاثة عقود متتاليـــة مـــن الحروب. وأيضاً كان هذا التأثير السيكولوجى للمشكلة الفيتنامية أحد الدوافع الرئيسية – فى إعتقاد الباحث – لسحب الصين لقواتها من فيتنام، فضلاً عن الإعتبارات الدولية الأخرى بلا شك.(انظر : محمـــد نعمـــان جلال ، المرجع السابق ، ص٣٤٢) .

(cxxxi)محمد نعمان جلال : المرجع السابق ، ص٣٤٣ .

حواشى الفصل السادس

(cxxxii) خليل عبد العال : المرجع السابق ، ص٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(cxxxiii) نفسه ، ص٣٦١ ـــ ٣٦٥ .

(cxxxiv) نفسه ، ص٣٦٧، ٣٦٨.

(cxxxv) نفسه: ص٣٧٠.

(cxxxvi) نفسه: ص٣٧١.

(cxxxvii) نفسه: ص٣٧١- ٣٧٢.

(cxxxviii) أحمد بشير: تاريخ الإسلام فى الفلبين، الدار العربية للطباعة والنشر، والتوزيـــع، بيـــروت، د.ت؛ خليل عبدالحميد عبدالعال: المرجع السابق، ص٣٧٢، ٣٧٣.

(cxxxix) خليل عبدالحميد عبدالعال: المرجع السابق، ص٣٧٤، ٣٧٥.

(cxl) نفسه: ص٣٧٨، ٣٧٩.

(cxli) نفسه ، ص٣٨٣.

(cxlii) نفسه: ص٣٨٣- ٣٨٤.

(cxliii) نفسه: ص٣٨٥- ٣٨٦.

(cxliv) نفسه: ص٣٨٦، ٣٨٧.

(cxlv) نفسه: ص٣٨٧- ٣٩٨.

(cxlvi) نفسه: ص٣٩٠.

(cxlvii) نفسه: ص٣٩١.

(cxlviii) نفسه: ص٣٩٣- ٣٩٤.

(cxlix) نفسه: ٣٩٤- ٣٩٥.

(cl) نفسه: ص٣٩٥- ٣٩٦.

(cli) نفسه: ص٣٩٧.

(clii) نفسه: ص٣٩٨- ٣٩٩.

(cliii) محمد عبد القادر أحمد : المسلمون فى الفلبين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص٣٧ ، ٣٨ .

(cliv) قامت جماعات هذا التنظيم بالتدريب على حرب العصابات فى إسرائيل ،وتملكت أسلحة إسرائيلية ، كما أنها تلقت دعماً من حكومة الفلبين (انظر : محمد على القوزى وآخر ، المرجع السابق ، ص٢٦٨) .

(clv) قامت جماعات هذا التنظيم بالتدريب على حرب العصابات فى إسرائيل ،وتملكت أسلحة إسرائيلية ، كما أنها تلقت دعماً من حكومة الفلبين (انظر : محمد على القوزى وآخر ، المرجع السابق ، ص٢٦٨) .

(clvi) محمد محمود زيتون : المسلمون فى الشرق الأقصى ، دار الوفاء للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص٥٦ .

(clvii) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق ، ص٢٦٩ .

(clvii) نفسه ، ص ٢٦٩ ــ ٢٧١ .

(clviii) نفسه ، ص ٢٦٩ ــ ٢٧١ .

(clix) نفسه، ص٢٧١ ــ ٢٨٣ .